بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

إلى الأخ المهندس/

محمد منصور

مع تحياتي الخالصة

أخوك

رفعت العوضي

٢/٢/٢٠٠١

الإعجاز القرآني في مجال الإقتصاد

« المنظومة المعرفية لآيات الربا في القرآن الكريم »

الطبعة الأولى
(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

رقم الإيداع : ١٤٣١٨ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى : ٨ - ٩١ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧

الإعجاز القرآنى فى مجال الاقتصاد

« المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم »

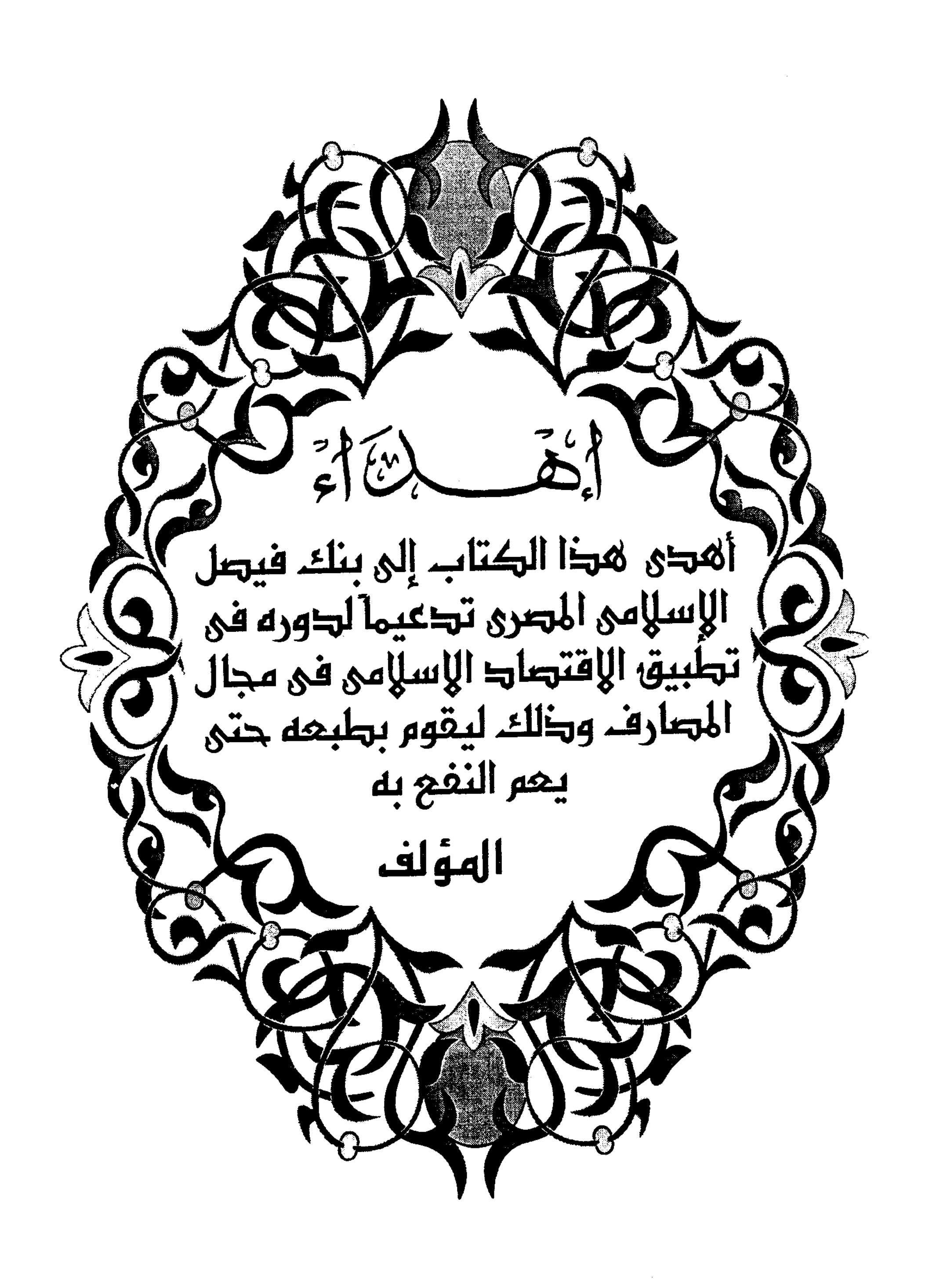
دكتور

رفعت السيد العوضى

بنك فيصل الإسلامى المصرى

القاهرة

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م



إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى بنك فيصل الإسلامى المصرى تدعيماً لدوره فى تطبيق الاقتصاد الإسلامى فى مجال المصارف وذلك ليقوم بطبعه حتى يعم النفع به

المؤلف

فهرس اللوحات البيانية

الرقم	الموضوع	الصفحة

تصـــــدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد . .

فيهدف هذا المشروع إلى دراسة صيغ المعاملات المصرفية والاستثمارية، والمالية المستخدمة فى المؤسسات الإسلامية ، وخاصة فى البنوك وشركات الاستثمار .

يتمثل نتاج هذا المشروع فى عدد من البحوث ، التى يغطى كل منها ناحية أو موضوعاً محددا من الصيغ التى تنظم علاقات هذه المؤسسات ، سواء أكانت مع غيرها من الأفراد والمؤسسات الأخرى، أم فى جانب استخداماتها للأموال المتاحة لها أم فى جانب الخدمات الأخرى غير التمويلية التى تقوم بها ، ويقدر - مبدئياً - أن يصل عدد البحوث المطلوبة إلى حوال ٤٠ بحثاً تغطى النواحى التالية :

فى جانب موارد أموال المؤسسة ، تخصص أبحاث لرأس المال الفردى ، والذى يأخذ شكل شركة رأسمالية ، أو تعاونية ، أو شرعية ، وكذلك في صورة رأس المال المساند .

كما تخصص أبحاث لكل من أنواع الودائع الجارية وحسابات التوفير ، والودائع الاستثمارية العامة ، والمخصصة سواء قطاع ، أو إقليم ، أو مشروع معين ، وتقدر بحوث هذا المجال بخمسة عشر بحثا .

فى جانب استخدامات المؤسسة للأموال المتاحة لها تخصص بحوث لكل نوع من هذه الاستخدامات، سواء فى ذلك ما يتم على الصعيد المحلي ، أو ما يتم في السوق الدولية، وتشمل صيغ المشاركة، والمضاربة ، والبيع، والإيجار بكافة صورها ، والتي لا داعى لتفصيلها هنا ، وتقدر بحوث هذا المجال ، بخمسة عشر بحثاً .

وفى جانب الخدمات غير التمويلية ، التى تقوم بها هذه المؤسسات تخصص أبحاث لكل نوع من أنواع هذه الخدمات مثل : إصدار وبيع وصرف الشيكات السياحية ، وإصدار بطاقات الائتمان ، وصرف العملات الأجنبية وتحويل الأموال ، سواء إلى عملتها أو إلى عملة أخرى ، وإصدار الشيكات المصرفية ، سواء بالعملة المحلية أو بعملات أخرى ، وإصدار الضمانات المصرفية ، وفتح ، وتبليغ ، وتثبيت الاعتمادات المستندية ، وشراء وبيع الذهب ، والفضة والمعادن النفيسة ، وفتح الحسابات الجارية بالمعادن النفيسة ، وإصدار شهادات الودائع بها ، وقبول تحصيل سندات الدفع ، والأوراق التجارية ، وتأسيس الشركات، وطرح الأسهم للاكتتاب ، وتقديم الخدمات

الإدارية للشركات القابضة ، وشراء وبيع وحفظ وتحصيل أرباح الأسهم لحساب العملاء، وتقديم الاستشارات، فيما يتعلق باندماج الشركات أو شرائها ، وإدارة العقارات لحساب العملاء، وإدارة الأوقاف، وتنفيذ الوصايا ، وقبول الأمانات ، وتأجير الخزائن الحديدية، وخدمات الخزائن الليلية، ودراسات الجدوى الاقتصادية، وتقديم خدمة الاستعلامات التجارية، والترتيبات التأمينية ، والاستشارات الضريبية، والخدمات القانونية، وخطابات التعريف، وتحصيل القوائم التجارية لصالح العميل ، وأية أنشطة أخرى مما تقوم به البنوك فى مجالات البحث، والتدريب، والأعمال الاجتماعية ، والخيرية.

وتجمع بعض هذه الأنشطة - وفقاً لطبيعتها - فى بحوث موحدة، بحيث لايتجاوز عدد البحوث في هذا المجال ، عشرة بحوث .

ويشترط فى كل من البحوث المطلوبة فى هذا المشروع أن تغطى عناصر معينة ، على وجه التحديد هى :

- وصف للوظيفة الاقتصادية للعقد ، أو العملية، أو النشاط موضوع البحث ، أى للفائدة المستهدفة من كل منها .

- وصف تحليلى للإطار القانونى للعقد ، أو العملية ، أو النشاط ، أى للأحكام القانونية الوضعية، التى تحكم كلا منها، وتنظمها .

- بيان الحكم الشرعى للعقد ، أو العملية ، أو النشاط ، فإن كان الحكم الشرعى هو الإباحة بصورة مبدئية - ولكن يشوب العقد ، أو العملية ، أو النشاط ، بعض المخالفات الشرعية الجزئية - فينبغى أن يشمل البحث بياناً بالتعديلات ، أو التحفظات المقترح إدخالها لإزالة الاعتراض الشرعى ، وكذلك بحث مدى قبول هذه التعديلات للتطبيق ، من الناحية القانونية الوضعية التى تحكم العملية .

- أما إذا كان الحكم الشرعى ، هو الحرمة من الناحية المبدئية وتعذر تصحيحها شرعياً بإجراء تعديلات أو تحفظات فينبغى أن يشمل البحث اقتراح البديل المقبول شرعاً والذى يؤدى نفس الوظيفة الاقتصادية للعقد أو العملية أو النشاط ، وكذلك بحث مدى قبول هذا البديل ، للتطبيق من الناحية القانونية الوضعية ، التى تحكم العملية.

- ينبغى أن يشتمل البحث كذلك على نموذج ، أو نماذج لصيغة العقد البديل المقترح كما في البند السابق أعلاه ، أو التعديل المقترح كمافى البند الذى يسبقه ، مع توضيح إجمالى للإطار القانونى الوضعى ، المقبول شرعاً ، مع الإحالة إلى رقم

القانون، ورقم المادة ما أمكن ، كما يوضح – تفصيلاً – الأحكام الشرعية ، مع بيان الدليل الشرعي والمرجع الفقهي ، موضحاً بالطبعة، والجزء ، والصفحة .

– ونظراً لتعذر القيام بهذه البحوث بصورة شاملة لجميع المؤسسات المصرفية والاستثمارية والمالية الإسلامية في جميع البلاد فيكتفى بإجراء البحوث بصورة مقارنة على أساس انتقائي لدولتين أو ثلاث أو أربع ، ويراعى في اختيارها أن يكون إطارها القانوني ممثلاً لنموذج معين من العقد، أو العملية، أو النشاط موضوع البحث .

ويراعى في اختيار هؤلاء الأفراد تكامل التخصصات المصرفية والقانونية والشرعية .

واتبع المعهد العالمي للفكر الإسلامي منهجاً حرص فيه على خروج الأبحاث بشكل علمي جيد ، فتم تشكيل لجنة ضمت في عناصرها : أساتذة من الجامعات في مختلف التخصصات الاقتصادية ، والمحاسبية ، والإدارية ، والشرعية ، بجانب عدد من الخبراء المصرفيين في المصارف الإسلامية ؛ وذلك لمناقشة مخططات الأبحاث المقدمة من الباحثين، وتقديم الاقتراحات العلمية الدقيقة لهم ؛ حتى تخرج البحوث في النهاية متضمنة الجوانب النظرية ، والتطبيقية للمصارف الإسلامية .

بعد إتمام هذه الأبحاث يعهد بمراجعتها وتحكيمها إلى أشخاص أو هيئة و– غالباً – كان يتم تحكيم البحث من أكثر من شخص .

والبحث لا يقدم صيغة للتعامل في المصارف الإسلامية وإنما يوظف في كل الصيغ ويُرشِّد المنهجية فيها ، كما أنه يعمل بمثابة مرشد للعقلية التي تتعامل مع صيغ المصارف الإسلامية تنظيرا وتطبيقا، وقد اجتهد الباحث في أن يخرج البحث بالصورة المشرفة ، وقد أخذ في الاعتبار ، كل توصيات المعهد بشأن البحث، وأملنا أن ينتفع ببحوث هذه السلسلة ، في ترشيد مسيرتها ، ودعم خطواتها في بناء الاقتصاد الإسلامي ، والسعي دوماً نحو الرقي ، والتقدم للأمة الإسلامية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د. علي جمعة محمد

المستشار الأكاديمي

للمعهد العالمي للفكر الإسلامي

مكتب القاهرة

مبحث تمهيدي

أولا : موضوع الدراسة وعنوانها

ثانيا : هدف الدراسة

ثالثا : أسلوب الدراسة ومصادرها

رابعا : تعريف الربا وحكمه

خامسا : آيات الربا في سورة النساء

سادسا : الوقت الذى استغرقته الدراسة

أولا : موضوع الدراسة وعنوانها

الموضـــوع الذى يعمل عليه هو دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم ، من المعروف أن الربا جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سور أربع ؛ الروم وآل عمران والنساء والبقرة . نستهدف تقديم دراسة جديدة بحيث تضاف إلى الدراسات السابقة عن الإعجاز القرآنى وعن الربا فى القرآن الكريم .

عنوان الدراسة هو المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القران الكريم ، بهذا العنوان يتحدد نوع الدراسة التى نريد تقديمها . ليس موضوع الدرسة التعرف على تطور التشريع العامل علي الربا كما جاء فى القرآن الكريم مع أن هذا الجانب قد يخدم ، أيضا ليس موضوع الدراسة التعرف على حكم الربا كما جاء فى القرآن الكريم مع أن التعبيرات التى سوف تستخدم قد يجئ بها ما يعرف بهذا الحكم ، كذلك ليس مستهدفا بالدراسة التعرف على الربا كموضوع إقتصادى فى حد ذاته، وإن جاء عن هذا الأمر شئ فى الدراسة . موضوع الدراسة هو المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

ثانيا : هدف الدراسة

هدف الدراسة اثبات أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم جاءت على نحو معجز . هذا الهدف يجعل دراستنا ترتبط بموضوع إعجاز القرآن الكريم وهو موضوع عنه دراسات كثيرة ومتنوعة . نحاول أولا التعرف على وجه الإعجاز فى القرآن الكريم كما قاله المتخصصون فى هذا المجال وبعد ذلك نحاول تحديد وجه الأعجاز الذى تعمل عليه الدراسة .

١- فى كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز عرض مؤلفه أقوال العلماء فى وجوه اعجاز القرآن الكريم (١) (٢) .

القـول الأول : وجه إعجاز القرآن إنما هو الأسلوب ، فأسلوبه مخالف لسائر الأساليب الواقعة فى الكلام كأسلوب الشعر وأسلوب الخطب والرسائل .

القول الثاني : وجه إعجاز القرآن إنما هو خلوه عن المناقضة .

---

(١) الإمام يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى ؛ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، جـ ٣، مكتبة المعارف بالرياض ، ص ٣٨٧ - ٤٢٠ .

(٢) هناك مذهب فى وجه اعجاز القرآن هو المعروف بإسم الصرف ، ومعناه أن الله صرف العباد عن معارضة القرآن مع كونهم قادرين عليها ، وهذا رأى النظام والنصيبى من المعتزلة وهناك من تبعهم .

القول الثالث : وجه إعجاز القرآن إشتماله على الأمور الغيبية .

القول الرابع : وجه إعجاز القرآن هو الفصاحة ، وفسرت بسلامة الألفاظ عن التعقيد .

القول الخامس : الوجه فى الإعجاز هو إشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق التى لا تزال غضة طرية على وجه الدهر ما تنال لها غاية ولا يوفق لها على نهاية .

القول السادس : الوجه فى إعجازه هو البلاغة ، وفسرت بإشتماله على وجوه الإستعارة والتشبيه والفصل والوصل والتقديم والتأخير والإضمار والإظهار إلى غير ذلك .

القول السابع : الوجه فى إعجازه هو النظم ، فنظمه وتأليفه هو الوجه الذى تميز به من بين سائر الكلام .

القول الثامن : وجه اعجازه هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة وفى مبادى الآيات وفواصلها .

القول التاسع : وجه إعجاز القرآن هو مجموع هذه الأمور كلها فلاقول من هذه الأقوال إلا هو مختص به [1].

٢- من إعجاز القرآن منظومته المعرفية

كلما تقدم الإنسان وارتقى فى العلوم والمعارف تتبين له حقائق جديدة فى القرآن الكريم . يعنى هذا أن تقدم الإنسان معرفيا يكشف عن أسرار جديد للقرآن الكريم ، على سبيل المثال تقدم الإنسان فى العلوم الطبيعية مكنه من أن يفهم فهما جديدا بعض آيات القرآن الكريم التى تتكلم عن مراحل خلق الإنسان وتطوره . وما يقال عن علم الطب يقال عن علم الفلك وغيرهما من العلوم .

فى السنوات الأخيرة كان هناك توجه واضح من بعض المتخصصين فى العلوم المعملية (البحتة) لدراسة بعض ما جاء فى القرآن من زاوية تخصصهم ، لذلك قد يغلب على الذهن أنه عندما يقال أن تقدم الإنسان فى العلوم يكشف عن حقائق جديدة فى القرآن الكريم أن هذا القول موجه إلى العلوم المعملية ، لكن فى حقيقة الأمر إن

---

(١) المؤلف الذى أحلنا إليه فى عرض المذاهب المذكورة غاير فى الترتيب بين الثامن والتاسع ، ولكنا راعينا المعقولية فى الترتيب بينهما .وبعد تمام عرضه لخص المذاهب التسعة فى ثلاث خصائص تجمع وجه اعجاز القرآن الكريم هى : (١) الفصاحة فى الفاظه ، (٢) البلاغة فى المعانى ، (٣) جودة النظم وحسن السياق .

التقدم فى العلوم الإجتماعية والتى تسمى أحيانا بالعلوم الإنسانية يفتح أفاقا جديدة لفهم بعض أسرار القرآن الكريم فى مجالات تخصص هذه العلوم .

" المعرفة " تحقق فى دراساتها تقدم واضح ، والتراكمات المعرفية فيها كثيرة . يمكن توظيف التراكمات المعرفية عن المعرفة لمحاولة تقديم فهم جديد عن إعجاز القرآن الكريم ، هذه المحاولة الجديدة تقترح أن تكون تحت عنوان المنظومة المعرفية . هذه المنظومة تكون للموضوعات التى عرض لها القرآن الكريم وحيث أن الموضوع الذى تعمل عليه الدراسة هو الربا ، لهذا فإن موضوع هذه الدراسة هو الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

مصطلح المنظومة المعرفية يسع كل الأقوال التى ذكرت عن إعجاز القرآن الكريم ويضيف إليها جديدا ، من الجديد الذى تضيفه الدراسة تحت عنوان المنظومة هو إظهار الإرتباطات بين الموضوع محل الدراسة والموضوعات التى أحاطت به ، ومن هذا الجديد بيان كيفية صياغة هذه الإرتباطات ، ومن هذا الجديد تحديد الموضوعات وتحديد درجة إرتباطها بالموضوع محل الدراسة . ومن هذا الجديد الإطار الذى نظمت به هذه الإرتباطات ، ومن هذا الجديد جعل موضوع ما يمثل المحور الإرتكازى ثم إحاطته بأطر ولترتيب هذه الأطر منهجها .

مصطلح " المنظومة " يدخل فيه أيضا ما يمكن أن يقال عنه الوعاء أو الشكل أو الصيغة التى جاء فى إطارها الموضوع محل الدراسة والموضوعات التى ربطت به .

مصطلح المنظومة يسع أيضا فكرة " الأزمنة " للموضوع محل الدراسة ، إن كل تشريع له أبعاده الزمنية . العمل مع عنوان منظومة بالشمولية التى يعنيها هذا المصطلح يتيح إظهار البعد الزمنى فى النص الوارد به التشريع .

الإتساع فى مصطلح المنظومة وكذلك المنهجية فيها يتيح توظيف المعارف المكتسبة والمتعلقة بالموضوع محل الدراسة . يضاف إلى هذا أن العمل مع مصطلح المنظومة يلزم بإظهار كل الأبعاد المتعلقة بالموضوع بتعددها وتنوعها .

٣- بصدد تحديد هدف الدراسة فإنه تجدر الإشارة إلى أمر مستهدف بصفة رئيسية ، هذا الأمر هو تعميق المساهمات التى تعمل علي إظهار مساوئ التعامل بالربا ، وتعميق الإنتقادات الموجهة إليه . لذلك نعتبر أن هذه الدراسة تدخل فى هذه المساهمات.

ثالثا: أسلوب الدراسة ومصادرها

أ- أسلوب الدراسة

الأسلوب الذى اختير للكشف عن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم إعتمد المنهج التالى : إعتبار الآية أو الآيات التى ذكر فيها الربا وحده ، ثم درست هذه الآية أو الآيات تحت عنوان السياق الداخلى لآية أو آيات الربا ، وقد امتدت دراسة هذا السياق الداخلى بحيث تشمل كل الأبعاد التى رئى أنها تدخل فى الدراسة .

نظر بعد ذلك فى الآيات التى جاءت سابقة على آيات السياق الداخلى والآيات التى جاءت تالية ، ثم حللت بإعتبار أنها تمثل الإطار الذى أحاط بآيات السياق الداخلى ، أى أحاط بموضوع الربا . قسم الإطار إلى أطر متعددة بحسب الموضوعات التى ذكرت ، ثم ربطت الموضوعات التي جاءت فى الأطر بموضوع الربا وحللت تحليلا واسعا من أوجه متعددة .من هذه الأوجه طبيعة الموضوع ومجاله بل وارتباطه بالزمن .

بعبارة أخرى يمكن القول أن اسلوب الدراسة اعتبر أن موضوع الربا هو محور الإرتكاز ودرست الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها إطار لهذا الموضوع الإرتكازى .

فى هذا الصدد تجدر الإشارة إلي ما يلى : بشأن الموضوع الإرتكازى فإن أى موضوع جاء فى القرآن الكريم يمكن أن يعتبر محور الإرتكاز وتدرس الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها تمثل الإطار المحيط به . نرى فى هذا الصدد أن نذكر ما يلى:

١- بناء الدراسة على أساس وجود الموضوع الإرتكاى لن يجعل القرآن الكريم يفهم علي أنه مجموعة دوائر مستقلة عن بعضها ، بل إن الدوائر متداخلة ، ذلك أن الموضوع الإرتكازي فى دراسة ما يكون إطارا أو دائرة لموضوع إرتكازى فى دراسة أخرى .

٢- فكرة الموضوع الإرتكازى ؛ أى الموضوع الممثل لمحور الإرتكاز والأطر أو الدوائر المحيطة به له صلته بالدراسات القرآنية المعروفة بإسم دراسة السياق ، بعبارة أدق إنه تطوير لدراسة السياق ، إنه دراسة للسياق فى الشكل الجديد الذى نقترحه وهو المنظومة المعرفية .

بشأن تحديد أسلوب الدراسة تجدر الإشارة إلى أنه قد استخدمت اللوحات البيانية كأسلوب للتعبير فى هذه الدراسة . استخدام اللوحات البيانية يتيح العرض المركز فى لقطة واحدة لكل العناصر الفاعلة فى الموضوع ، ويساعد هذا فى تيسير إكتشاف الإرتباطات القائمة بين العناصر بعضها مع بعض وكذلك الإرتباطات بين العناصر والموضوع المحورى أى الإرتكازى .

ب- مصادر الدراسة

يتبين من اسلوب الدراسة الذى سبقت الإشارة إليه أن طبيعة هذا البحث أنه بشكل ما تطوير لدراسة السياق ، وهي فرع من الدراسات القرآنية ، هذا جانب . وجانت آخر أن هذا البحث يتبنى فرضية هى وجود موضوع محورى أو إرتكازى ، وأن هذا الموضوع المحورى له منظومته الداخلية ، وله أطره المحيطة به ، وهذه الأطر لها منظومتها التى تتكامل وتتناسق مع المنظومة الداخلية للموضوع المحورى أو الإرتكازى. ومن تتمة الفرضية أن هذه المنظومة بشقيها قد جاءت على نحو معجز . هذا الإعجاز له جوانبه المتعددة ، إثبات هذه الفرضية أى إثبات الاعجاز فى المنظومة للموضوع محل الدراسة وهو الربا يكون إثباتا فى شكل معرفى جديد للإعجاز القرآنى .

طبيعة البحث على هذا النحو المبين لا يتطلب مصادر أو مراجع ، ذلك أن البحث يعتمد على النظر العقلى لإستنباط المنظومة المعرفية للموضوع محل الدراسة . وهو نظر عقلى مجرد ليس تجميعا لآراء سابقة قدمت عن هذا الموضوع .

زيادة فى إيضاح هذه الفكرة نذكر الآتى : إن هذا البحث لم يتأسس على إختيار موضوع سبقت دراسته ، وفيه آراء تمثل مساهمات سابقة فيه ، وبالتالي يتطلب بحث هذا الموضوع عرض المساهمات السابقة بمراجعها ، ويعني هذا أن وجود مراجع أو مصادر للدراسة يكون أمرا ضروريا .

إن الدراسة التى نقدمها فى هذا البحث ذات طبيعة أخرى ، إنها تتبنى فرضية وتحاول إثبات هذه الفرضية بالنظر مباشرة فى القرآن الكريم . والبحث على هذا النحو لا يتطلب مصادرأو مراجع .

تطبيقا لذلك فإن هذا البحث لم تظهر فيه مصادر أو مراجع ، وما جاء منها فإنه كان لتفسير كلمة قرآنية اقتضت الضرورة الإحالة إلى مصدر فى تفسيرها وقد كان هذا الأمر محدودا للغاية .

رابعا : تعريف الربا وحكمه

هدف الدراسة إستنتاج المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم . بناء على هذا فإنه ليس مستهدفا تقديم دراسة فقهية عن الربا ؛ تعريفه وأنواعه وحكمه ، والمعاملات الحديثة التى دار حولها خلاف فقهى من حيث كونها ربوية أم لا ، هذه العناصر الفقهية عن الربا وغيرها ليست موضوع دراستنا . إن الدراسة موجهة كلية إلى اكتشاف المنظومة المعرفية للربا فى القرآن الكريم .

مع أن فقه الربا ليس موضوع الدراسة إلا أنه من مكملات البحث أن يعرض لتعريف الربا ولحكمه . إن عرض التعريف يعني تحديد معنى المصطلح الذى نتكلم عنه. ومع إقتراحنا بتقديم تعريف للربا ولحكمه إلا أنه قبل أن نقدم ذلك نرى أنه من الضرورى أن نذكر ما يلى :

١ – لن نذهب فى تعريف الربا إلي حد عرض الإختلافات الفقهية المعروفة فى هذا الصدد وإنما سنعمل على تقديم تعريف فى أضيق نطاق ممكن .

٢ – لن تدخل الدراسة فى مناقشة حول بعض المعاملات المعاصرة والتى يدور خلاف حول ربويتها أو عدم ربويتها .

٣ – لن تمد الدراسة لمناقشة الإختلافات الفقهية حول أنواع الربا .

بهذه التحفظات تستبقى الدراسة أو تحفظ الهدف الذى حدد وهو دراسة المنظومة المعرفية للربا فى القرآن الكريم .

أ – تعريف الربا

الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عمل فقهى علمى معاصر ، وهى مقبولة تحت هذا التصنيف أى موسوعة . وقد اختيرت عمدا لتقديم تعريف عن الربا محالا إليها ذلك أنه يحقق اشباع التحفظات المشار إليها [١] .

الربا فى اللغة معناه الزيادة ، أما فى إصطلاح الفقهاء فإنه يعرف على النحو الآتى:

عرفه الحنفية بأنه : فضل خال عن عوض بمعيار شرعى مشروط لأحد المتعاقدين فى المعاوضة .

عرفه الشافعية بأنه : عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل فى معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير فى البدلين أو أحدهما .

عرفه الحنابلة بأنه : تفاضل فى أشياء ونسأ فى أشياء ، مختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها ، أى تحريم الربا فيها نصا فى البعض وقياسا فى الباقى منها .

ب – حكم الربا

الربا محرم بالكتاب والسنة والاجماع ، وهو من الكبائر ، ومن السبع الموبقات ، ولم يؤذن الله تعالى فى كتابه عاصيا بالحرب سوى آكل الربا .

---

(١) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية ، جـ ٢٢ ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢، الكويت ، ص ٤٩ – ٥٠ .

قال الماوردى إن الربا لم يحل فى شريعة قط وقد حرم الربا بالكتاب ، كما ورد فى تحريمه أحاديث كثيرة ، واجمعت الأمة على أصل تحريمه ، وإن إختلفوا فى تفصيل مسائله وتبيين أحكامه وتفسير شرائطه .

أثر عن السلف أنهم كانوا يحذرون من الإتجار قبل تعلم ما يصون المعاملات التجارية من التخبط فى الربا . ومن المعروف أن باب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم .

خامسا: آيات الربا فى سورة النساء

ذكر الربا فى القرآن الكريم فى أربع سور، الروم والنساء وآل عمران والبقرة ، تركزت دراستنا على ثلاث سور : الروم وآل عمران والبقرة ، وقد درس الربا فى هذه السور الثلاث بتفصيلات واسعة . لخدمة هدف الدراسة نري أن نكتب فقرة مختصرة فى هذه المقدمة عن الربا فى سورة النساء وذلك لتكتمل دراسة الربا فى القرآن الكريم.

جاء ذكر الربا فى سورة النساء فى الآية ١٦١. الآية ١٦٠ وإن لم يذكر فيها الربا إلا أنها تكوّن وحدة واحدة مع الآية ١٦١. يقول الله سبحانه وتعالى :

" فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما " النساء : ١٦٠ - ١٦١

١- تحكى الآيتان عن اليهود وهم قوم عرفوا على طول التاريخ بأنهم يتعاملون بالربا ، بل ويسعون إلى نشره وتدعيم التعامل به . عرض القرآن الكريم قصص أمم كثيرة سابقة على نزول القرآن الكريم وقد حرص على تسجيل التعامل بالربا على اليهود ، وهو تسجيل فيه إدانة .

خص اليهود بالتسجيل عليهم فى القرآن الكريم بأنهم يتعاملون بالربا هو معجزة قرآنية . هذه المعجزة لها إثباتها التاريخى فى الماضى ، ولها إثباتها فى واقع الإقتصاديات المعاصرة .

٢- جمعت الآية ١٦١ بين الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، هذا الجمع هو صريح فى أن الربا هو نوع من أكل أموال الناس بالباطل .

٣- من المعانى التى تستنتج من الآيتين أن الربا قرين الظلم والآثار السيئة التى تترتب عليهما واحدة ،والعقاب عليهما متماثل .

٤- جمعت الآيتان بين الصد عن سبيل الله والتعامل بالربا . يفيد هذا الجمع التجريم القوى والعنيف للتعامل بالربا . ذلك أن الصد عن سبيل الله تجريمه واضح ويكون جمع التعامل بالربا معه فى سلة واحدة لبيان درجة التجريم فى هذا التعامل الربوى .

٥- تبين الآيتان أربعة أخطاء لليهود وترتب على الأخطاء الأربعة عقوبتان . العقوبة الأولى فى الدنيا وتتمثل فى تحريم طيبات كانت حلالالهم ، والعقوبة الثانية فى الآخرة وهى العذاب الأليم . يستنتج من هذا أن العقوبة على التعامل بالربا تكون فى الدنيا والآخرة .

٦- يمكن تصنيف الأخطاء الأربعة فى ثلاث مجموعات .

أ- المجموعة العقيدية ، ويشير إليها : وبصدهم عن سبيل الله .

ب- المجموعة السياسية والإجتماعية ويشير إليها : فبظلم من الذين هادوا . ذلك أن مصطلح الظلم عندما يستخدم فى الإشارة إلى أمة فإن المعنى السياسى يكون هو المعنى القريب .

جـ- المجموعة الإقتصادية ويشير إليها : وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .

إن مجئ آيتين قصيرتين فى القرآن الكريم بحيث تجمعان كل جوانب الحياة للإنسان ، العقيدية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية - هذا الأمر على هذا النحو هو شكل من أشكال الإعجاز القرآنى .

يضاف إلى هذا أن العقوبة إما أن تكون فى الدنيا أو فى الآخرة . أيضا أن تجمع هاتان الآيتان القصيرتان نوعى العقوبة المحتملة ، أى أنهما تحصران أنواع العقوبة فهذا أيضا شكل من أشكال الإعجاز القرآنى .

٧- الإطار الذى يحيط بالآيتين ١٦٠و١٦١ ، وهما آيتا السياق الداخلى شديد الإرتباط ، ذلك أن موضوع الآيات السابقة على آيتى السياق الداخلى هو حديث عن رسول ورسالة وموضوع الآيات التالية لآيتى السياق الداخلى هو حديث عن رسل ورسالاتهم .

سادسا : الوقت الذى استغرقته الدراسة

يرجع اهتمامى بموضوع القرآن الكريم والاقتصاد إلى سنوات بعيدة . ففى أوائل الثمانينات كتبت كتابا عن منهج الادخار والاستثمار فى الاقتصاد الإسلامى . يمكن القول أن الفقرة الخاصة بالضوابط العاملة على الاقتصاد فى هذا الكتاب قد جاءت دراسة فى موضوع القرآن والاقتصاد .

فى الربع الأخير من الثمانينات أتيح لى العمل فى مشروع التكشيف الإقتصادى للقرآن الكريم ، وهو مشروع تبناه المعهد العالمى للفكر الإسلامى . تواصل العمل فى هذا المشروع المبارك لفترة طولها ست سنوات ، وقد انجز مع بعض الأخوة الكرام بفضل الله سبحانه . فتح العمل فى هذا المشروع آفاقا واسعة بالنسبة لموضوع القرآن والإقتصاد كما آتاح الحصول على مادة علمية غزيرة عن جوانب اقتصادية متعددة في القرآن الكريم . فى الأعوام الثلاثة الأخيرة هيأ الله سبحانه وتعالى أن أقوم بتدريس مقرر القرآن والإقتصاد بالمعهد الدولى للاقتصاد الإسلامى التابع للجامعة الإسلامية العالمية - إسلامية آباد - باكستان . ومع هذه المرحلة انتقلت من مجرد جمع مادة علمية عن موضوع القرآن والإقتصاد إلى الكتابة عن موضوعات محددة ، ويعتبر موضوع الربا فى القرآن الكريم من أوائل الموضوعات التى بدأت الكتابة فيها .

يمكن القول أن هذه الدراسة التى أقدمها عن موضوع الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم هى ثمرة عمل متواصل لحوالى عشر سنوات مع الموضوع الأم وهو القرآن الكريم والاقتصاد .

فى لقاء مع الأخ الفاضل الدكتور على جمعه المستشار الأكاديمى للمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة تكلمت معه عن هذا الموضوع وهو الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم فأبدى موافقة كريمة بأن يقوم المعهد العالمى بنشره . ومنذ هذا اللقاء عملت على إعداد هذه الدراسة فى صورتها الأخيرة وقد استغرق ذلك عاما بكامله . والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى .

المبحث الأول
المنظومة المعرفية لآيات الربا
سورة الروم

الفرع الأول : المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لآيتى الربا – الروم

الفرع الثاني : الإطار المجاور المحيط بآيتى الربا – الروم (عقيدى اقتصادى)

الفرع الثالث ، الإطار العقيدى البحت المحيط بآيتى الربا – الروم



مقدمة :

سورة الروم مكية وآياتها ستون . ذكر الربا فيها فى الآية ٣٩ وجاء ذكره فى عبارة قصيرة محددة ، ولم يعرض له بالتفصيل على نحو ما جاء فى سورة البقرة التى هى سورة مدنية حيث ذكر الربا وبتفصيلات واسعة عنه .

المنهج المقترح لتتم به دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم هو منهج يعتمد على دراسة الآية أو الآيات التى ذكر فيها الربا و يسمى هذا دراسة السياق الدخلى لأية أو آيات الربا . ثم ينظر فى الآيات المحيطة بها ؛ قبلها وبعدها وذلك بقصد التعرف على السياق الذى جاء فيه الربا فى السورة موضع الدراسة . ويجرى البحث هذه الدراسة عن السياق تحت العنوان الآتى : الإطار أو الأطر المحيطة بآيات الربا . وحيث أن الدراسة تعتبر الآيات السابقة والآيات التالية لآيات الربا داخلة فى الإطار لهذا فإن كل إطار يكون له جناح سابق يتكون من الآيات المذكورة قبل آية أو آيات الربا ، ويكون له جناح تال يتكون من الآيات المذكورة بعد آية أو آيات الربا .

بناه على هذا المنهج فإن دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم سوف تتم على النحوالآتى .

أولا : دراسة السياق الداخلي لآياتى الربا ، وهما الآيتان ٣٨، ٣٩.

ثانيا : دراسة الإطار أو الأطر المحيطة بآيتى الربا .

بقصد تحديد الإطار أو الأطر المحيطة بآيتى الربا فى سورة الروم فقد درست الآيات السابقة والآيات التالية ، وذلك لتحديد بداية الإطار أو الأطر ، وكذلك لتحديد نهاية الإطار أو الأطر .

تبين من الدراسة أن آيتى الربا فى هذه السورة جاءتا محاطة بأطر وأن هذه الأطر تبدأ بالآية ٣٠ التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها " فأقم وجهك للدين حنيفا . ." وتنهى الأطر بالآيات التى يبدأ موضوعها بقوله سبحانه وتعالى : " فأقم وجهك للدين القيم . . . " موضوع هذه الآيات الأخيرة يستكمل إلى الآية ٤٥ .

بناء على هذا فإن الأطر المحيطة بآيتى الربا فى السورة موضع الدراسة تتكون أجنحتها السابقة من الآيات ٣٠ - ٣٧ ، وتتكون أجنحتها التالية من الآيات ٣٩ - ٤٥.

سوف تعرض الدراسة بالتفصيل الإعتبارات التى بنيت عليها بداية الأطر ونهايتها ، وكذلك الإعتبارات التى رتبت على أساسها الأطر . وسوف يجئ هذا فى موضعه إن شاء الله سبحانه وتعالى .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ «الروم»

موضوع الآيتين مقابلة بين الصدقة والربا ، مقابلة بين التكافل والإستغلال ، مقابلة بين عمل يرضى الله عنه وعمل لا يقبله ، مقابلة بين عمل يعتبر كل المجتمع وعمل يعتبر الفرد فى معناه الضيق الأنانى .

بناء على هذا فإن الآيتين تكونان وحدة واحدة ؛ أى موضوعا واحدا وعلى هذا يقبل اعتبار أن الآيتين تكونان السياق الداخلى لآيات الربا فى سورة الروم .

نحاول تحليل الآيتين لتحديد العناصر التى ذكرت مع الربا وذكرها معه لتكون فاعلة عليه ومؤثرة فيمن يتلقى التوجيه الذى تضمنته الآيتين عن الربا .

أولا : موضوعات تعتبر عند الحديث عن الربا

يمكن القول أن الآيتين تجمعان ثلاثة عناصر أو موضوعات .

١ - الإنفاق للتكافل الإجتماعى وعنصر عقيدى معه .

٢ - الربا وعنصر عقيدى معه .

٣ - الزكاة وعنصر عقيدى معها .

سورة الروم مكية ، ومن المعروف أن الزكاة فرضت بعد الهجرة إلى المدينة المنورة . على هذا يمكن القول أن الزكاة الواردة فى الآية مراد بها الصدقة بالمعنى العام وليس المراد المعنى الإصطلاحى للزكاة ، واستخدام الزكاة فى معنى الإنفاق التكافلى جاء كثيرا فى القرآن الكريم .

قبول هذا التوجيه للمعنى المراد بالزكاة يسمح بالقول أن الآيتين تجمعان ثلاثة عناصر .

١ - عنصر الإنفاق التكافلى

٢ - عنصر الربا .

٣ - عنصر عقيدى .

مجئ النظم القرآني بحيث يذكر أو يجمع مع الربا عنصر الإنفاق التكافلى وعنصر عقيدى - هذا النظم له دلالته ، إن الربا وكما يخبر القرآن الكريم ينبغى لمن يتلقى

التوجيه الخاص به أن يستحضر التشريعات والتوجيهات الإسلامية المنظمة للتكافل بين أفراد المجتمع وأن يستحضر كذلك أمر العقيدة . وليست القضية قضية إستحضار وإنما الأمر له دلالته الأعمق .

إن الجمع فى موضع واحد فى القرآن الكريم بين الربا وبين الإنفاق التكافلى وأمور عقيدية يعطى النتيجة التالية : الربا مناقض للتكافل بين أفراد المجتمع ، هذا جانب والجانب الآخر أن النظر فى الربا لا ينبغى أن يعتبر الأمور الاقتصادية وحدها وإنما ينبغى أيضا اعتبار أمور عقيدية .

يمكن تطوير النتيجة السابقة بحيث تعطى النتيجة التالية : الربا معاملة لا تقوم من حيث مصلحة الفرد وحده وإنما يجب أن يعتبر معها مصلحة المجتمع ، بل إن الآية التى نحن معها تتقدم إلى أبعد من هذا، إنها أعطت أولوية لمصلحة المجتمع ، إنها نفرت من الربا الذي تبدو المصلحة الفردية ظاهرة فيه وحثت علي الصدقة التى تبدو مصلحة المجتمع ظاهرة فيها ، هذا عنصر فى النتيجة المطورة .

العنصر الثانى فى النتيجة المطورة هو أن إثبات الخيرية لأمر ما ونفيها عنه إنما يؤخذ من الله سبحانه وتعالى ، إن الله أخبر فى الآية التى نحن معها أن الربا ليست فيه خيرية . بهذا الإخبار يحسم أمر الخيرية ولا ينظر فيه بعد ذلك .

هذه الدراسة تعتمد اللوحات البيانية كشكل أو لغة من لغات التعبير عن الفكرة . لهذا نحاول عرض عناصر السياق الدخلى لآيتى الربا فى لوحة بيانية . من فوائد استخدام اللوحات البيانية اظهار الإرتباطات القائمة بين العناصر ، وكذلك عرض الفكرة على نحو موجز وعميق .

تظهر اللوحة البيانية (١) أن الربا جاء فى آيتى السياق الداخلى بين أمرين : الأول الإنفاق التكافلى والثانى الزكاة . الإنفاق التكافلى ينتج الخيرية فى إبتغاء وجه الله وكذلك الفلاح وتنتج الزكاة الخيرية فى إبتغاء وجه الله وكذلك المضاعفة . لقد جاء الربا محصوراً بين هذين العنصرين ، وحيث نتيجته هى عدم القبول عند الله سبحانه وتعالى.

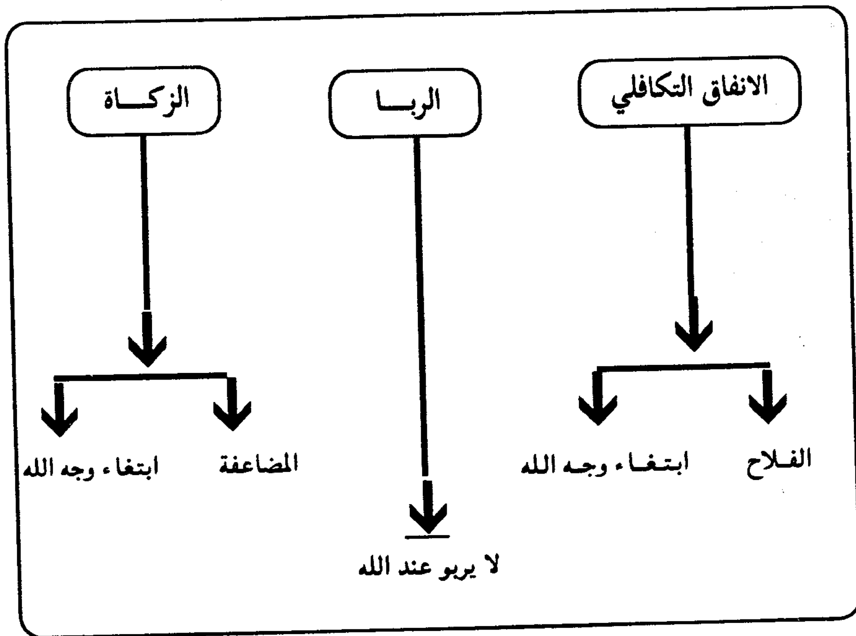
يستنتج أن المنظومة المعرفية للسياق الدخلي لآيات الربا فى سورة الروم قد جاءت صياغتها على نحو يستخدم أسلوبا من أساليب الإقناع على ضرر أمر ما، وهو أسلوب المقابلة . يمكن القول أن اسلوب الإقناع الوارد فى السياق الداخلى قد جاء على نحو معجز . إن الاعجاز فى هذا الأسلوب يظهر فى الآتى :

حصر الربا أو سجنه بين عنصرين يتناقضان معه ، هذا جانب ، والجانب الآخر أن العناصر الثلاثة المذكورة فى اللوحة ربطت بنتائجها، والمقابلة بين النتائج تجعل الربا مسلما برفضه ، حتى مع عدم إستخدام الآية نهيا صريحا عن هذه المعاملة .

اللوحة البيانية (١)

المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيتي الربا - الروم

(موضوعات تعتبر عند الحديث عن الربا)



ثانياً ترتيب موضوعات آيتي السياق الداخلي

تكرار النظر فى آيات القرآن الكريم ينتج دائما الحصول على معنى جديد أو فكرة جديدة . إن الآيتين موضع الدراسة وهما آيتا السياق الداخلى تخبر عن ثلاثة موضوعات؛ الانفاق التكافلى والربا والزكاة . الإنفاق التكافلى والزكاة من طبيعة واحدة أما الربا فمن طبيعة مغايرة . التفكير البشرى البسيط يقتضى أن تجئ الصياغة بحيث تجمع معا الانفاق التكافلى والزكاة ثم بعد ذلك يجئ الحديث عن الربا باعتباره من طبيعة مغايرة إلا أن النظم لم يجئ على هذا النحو من التفكير البسط ، لقد ذكر الانفاق التكافلى ثم ذكر الربا وأخيرا جاء ذكر الزكاة .

العقل البشرى يتعلم من هذا النظم القرآنى أن الموضوع المطلوب القضاء عليه يحاصر بين متشابهين يتغايران معه فى الطبيعة . إن النظم فى الآيتين يبدأ بالأمر بالتكافل لثلاثة أصناف ، النفس المؤمنة تتفاعل إيجابيا مع هذا الأمر بالتكافل . وفى هذا الوقت أو المناخ الذى تنفعل فيه النفس المؤمنة وتتفتح فيها قوي الخير وترقى في العلاقات الإنسانية - في هذا الموقف يذكر القرآن الكريم الربا وحيث الربا على

النقيض من كل الأحاسيس والانفعالات النورانية السابقة . النفس المؤمنة التى امتلأت خيرا ونورا مع التكافل تحس ببشاعة الإنفعالات مع الربا حيث الأنانية . ثم لا يترك القرآن الكريم النفس المؤمنة مع الربا طويلا حيث الموقف غير موات وإنما ينتقل بسرعة إلى الزكاة وحيث تشع النورانية والخيرية على نحو أعمق وأشمل .

صياغة المنظومة المعرفية للموضوعات الثلاثة على هذا الترتيب هو عمل لا يمكن أن ينشئه بداية العقل البشرى ، وإنما يحتاج أولاً أن يتعلمه وهذا نموذج للإعجاز القرآني في المنظومة المعرفية للآيات موضع الدراسة .

لا يمكن القول أن ترتيب الموضوعات الثلاثة : انفاق تكافلي ثم ربا ثم زكاة وهي أنفاق تكافلى – لا يمكن القول أن هذا الترتيب جاء على غير المألوف عقلا ، ذلك أنه بعد التوضيح السابق يتبين أن هذا الترتيب هو أعلا درجة فى المعقولية. إن العقل البشرى يألف ترتيبا في مستوي ملكاته ، أما الترتيب الوارد فى الآية فإن العقل البشرى يرقى أن يألفه بعد أن يعرف أن هذا الترتيب على هذا النحو يحقق الغرض المقصود بدرجة لا يحققها ترتيب أو نظم أخر .

القرآن الكريم بالترتيب السابق يعمل علي الرقى بالعقل البشرى من ترتيب فيه بساطة وقريب التناول إلى ترتيب يعلو فى العمق وغزارة المعنى وذلك لتحقيق المقصود على وجه آكد وأنجح .

نستنتج أن المنظومة المعرفية لآيتي السياق الداخلي للربا في سورة الروم من حيث ترتيب الموضوعات المذكورة فيها صيغت على نحو معجز وهذا أثبات لفرضية الدراسة وهي أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم جاءت صياغتها على نحو معجز، وهي بهذا تقدم دليلا على اعجاز القرآن الكريم . اللوحة البيانية (٢) تجسد التحليل السابق عن ترتيب الموضوعات الثلاثة .

اللوحة البيانية (٢)

المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيتي الربا – الروم

(ترتيب الموضوعات)

الانفاق
الربا
الزكـاة
التكافلى
طبيـعـة مـغـايرة السـابق واللاحق
من طبيعة واحدة

ثالثاً : درجات القرابة والإتساع المكاني للتكافل المذكور مع الربا

هدف الآيتين ٣٨ ، ٣٩ وهما آيتا السياق الداخلى هو إقامة مجتمع متكافل متعاون بعيد عن الأنانية ، وقد تضمنت الآيتان وسائل لذلك هى الأمر بالإنفاق التكافلى والتنفير من الربا والتحبيب فى الزكاة . نحاول أن نتعمق فى دراسة الموضوع الأول وهو الإنفاق التكافلى والموضوع الثالث وهو الزكاة ، ويعمل هذا التعمق فى ضوء الهدف المستنتج من الآيتين وهو إقامة مجتمع متكافل متعاون ومتحاب .

أمرت الآية ٣٨ بالإنفاق التكافلى لثلاثة أصناف ذى القربى والمسكين وابن السبيل. بدأت الآية بذى القربى وجعلتهم الصنف الأول أى أن الآية بدأت بالتكافل لصنف لا تنازع فيه الفطرة السليمة ، وبعد أن انفعلت ايجابيا الفطرة السليمة مع التكافل لهذه الفئة ، و يمكن القول بعبارة أخري أن الفطرة السليمة وضعت بهذا الصنف على نهج التكافل ككل ، أى أنها أصبحت على طريق التكافل إنها توجهت وجهة التكافل . البدء بالتكافل بهذا الصنف وفى ضوء هذه المناقشة يجعل صياغة المنظومة المعرفية من بدايتها معجزة .

يمكن القول أن المسكين يعتبر الصنف الأشد احتياجا وهذا على مستوى المقيمين، وابن السبيل هو الصنف المحتاج على مستوى غير المقيمين . الآية على هذا النحو جمعت الأصناف الثلاثة الذين تتمثل فيهم أشد صور الاحتياج . مجئ الصياغة على هذا النحو هو أمر معجز .

الأصناف الثلاثة تمثل درجات فى القرابة ودرجات فى الإتساع المكانى ؛ ذو القربى أقرب الفئات إلى الشخص الموجه إليه أمر التكافل ، المساكين يمثلون الدرجة الثانية للأخوة الإسلامية ، إن الإسلام يعتبر دائما التكافل يبدأ بالوحدة المحلية وهذه تأخذ أهمية درجة القرابة ، درجة المسافر تعتبر تالية لدرجة المسكين المقيم . إن ترتيب الأصناف الثلاثة بحيث يعطى هذا الترتيب فى الدرجات هو مثال للإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا .

يمكن القول أن ذا القرابة دائرة من حيث الإتساع المكانى ، المساكين يوسعون الدائرة ، بابن السبيل تتسع الدائرة درجة ثالثة ، إن ترتيب الأصناف الثلاثة فى الآية بحيث يكتشف العقل الإنسانى هذا الإتساع فى دوائر التكافل هو مثال للإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا .

تدخل الأية الثانية (رقم ٣٩) الزكاة فى تشريعات التكافل ، وسواء نظر للزكاة على أنها الفريضة الواجبة أو أنها تعني الصدقة بالمعنى العام فإن مصارف الزكاة على

كلتا الحالتين تعمل على دائرة أوسع من الأصناف الثلاثة المذكورة فى الآية الأولى (رقم ٣٨) . ان الزكاة حتى بالمعنى العام للصدقة تعمل على دائرة المجتمع الإسلامى كله ، فالزكاة يبدأ توزيعها محليا وتتسع دوائر توزيعها باستمرار حتى تغطى المجتمع الإسلامى كله .

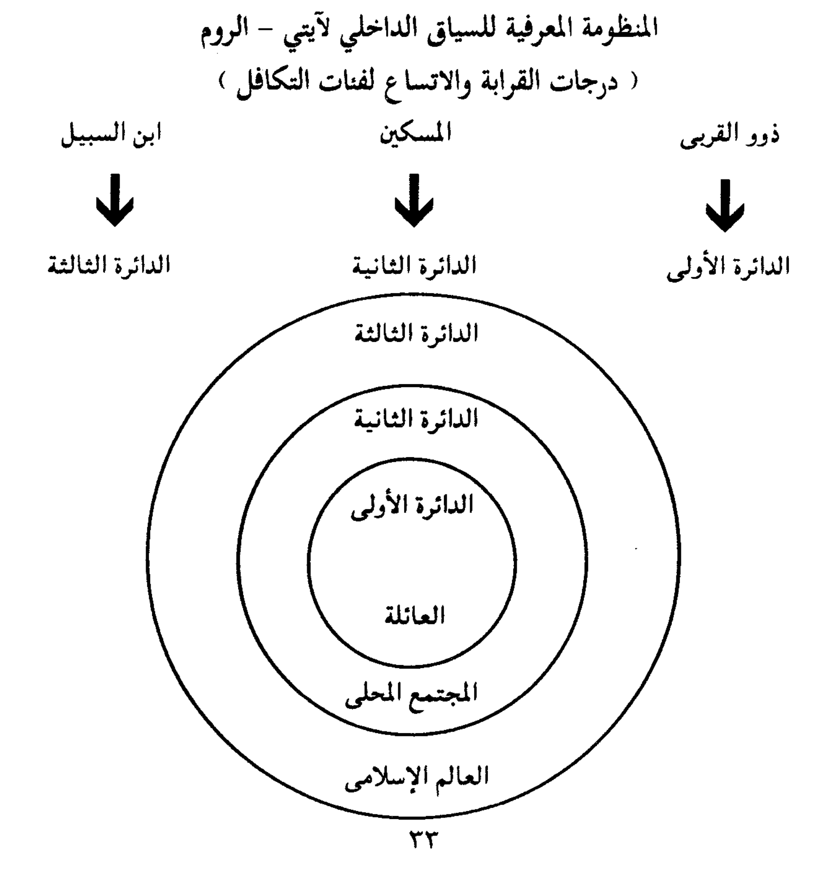
النتيجة التى نصل إليها من المناقشة السابقة هى أن الآيتين موضع الدراسة وهما آيتا السياق الداخلى على قصرهما قد جاءت صياغتهما للتكافل بحيث يغطى المجتمع الإسلامى كله في دوائر مرتبة من حيث الأهمية .

العقل البشرى يقف عاجزا أمام هذا النظم . وهذا دليل على أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم جاءت صياغتها للموضوعات من حيث الترتيب على نحو معجز . بعبارة آخرى هذا مثال للاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم . اللوحة البيانية (٣) تظهر درجات القرابة والاتساع التكافلى السابق توضيحها .

اللوحة البيانية (٣)

المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيتي - الروم

(درجات القرابة والاتساع لفئات التكافل)



رابعاً : صيغ الطلب والنهي في آيتي السياق الداخلي

هدف آيتى السياق الداخلى هو إقامة مجتمع متكافل خال من الأنانية وجاء بالآيتين ثلاثة موضوعات تعمل لتحقيق هذا الهدف وهى الانفاق التكافلى والربا والزكاة . يتبين من تحليل الآيتين موضع الدراسة أنهما مع إيجازهما الشديد قد تضمنتا ثلاث صيغ لطلب الفعل أو الإمتناع عنه . الصيغة الأولى هي صيغة الأمر بالفعل وجاءت مع الانفاق التكافلى " فآت ذا القربى " . والصيغة الثانية هى صيغة الترهيب وجاءت مع الربا « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله. والصيغة الثالثة هى صيغة الترغيب وجاءت مع الزكاة ، « وما آتيتم من زكاة فأولئك هم المضعفون » .

إن آيتين بهذا الإيجاز تستخدمان ثلاث صيغ أو ثلاثة درجات أو أنواع للأمر بهذا التنوع هو مثل للإعجاز المعرفى ويتأكد الأعجاز عند دراسة كيفية توظيف الصيغ الثلاثة للعمل على تحقيق الهدف المحدد وهو إقامة مجتمع متكافل خال من الأنانية . الصيغة الأولى كانت أمرا بطلب فعل والبدء بالأمر لأنه يضمن الحد الأدنى هذه هى الوظيفة التى أديت ليس بصيغة الأمر بل بالبدء بهذه الصيغة ، مع الأمر يمكن القول أن المجتمع المنشود قام بالفعل فى هذه اللحظة تجئ صيغة الترهيب ووظيفتها تنقية المجتمع الذى وجد بالفعل أى تخليصه من شوائب أو من أعراض لا تتفق مع طبيعته . هذه هى الوظيفة التى أديت ليس بصيغة الترهيب بل بالمجئ بها بعد صيغة الأمر بالفعل .

بعد الأمر الذى يضمن قيام المجتمع المنشود متلوا بالترهيب الذى يؤمن المجتمع من انحراف عن الهدف المنشود يجئ الترغيب ووظيفته استكمال بناء المجتمع المنشود .

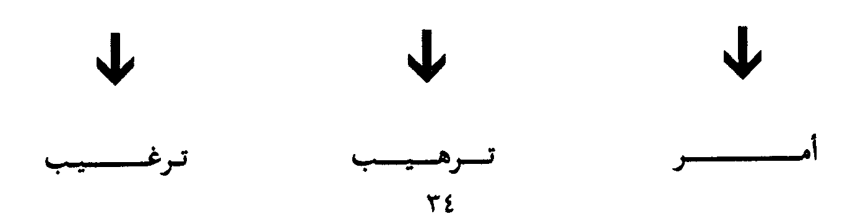
إن ترتيب الصيغ الثلاث للطلب أو للمنع على هذا النحو هو دليل على إعجاز المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم .

اللوحة البيانية (٤)

المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيتي الربا -الروم

الإعجاز في استخدام صيغ الطلب والنهى

التكافل | الربا | الزكاه



خامسا : اعتبار الحالة التي عليها المجتمع

مواصلة النظر فى أيتى السياق الداخلى وذلك بالربط بين الصيغ الثلاث والطبيعة أو المرحلة التى كان عليها مجتمع المسلمين عند نزول هذه الآيات يعطى عناصر جديدة للمنظومة المعرفية موضع الدراسة

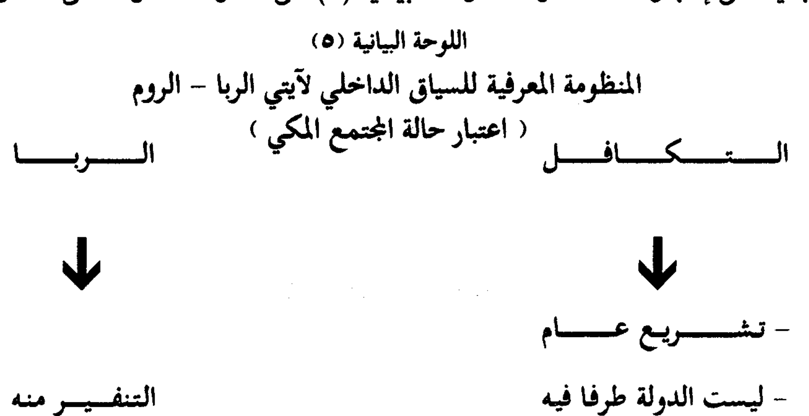
كان المسلمون فى مكة المكرمة عند نزول آيات الربا فى سورة الروم قلة، بل كانوا قلة مضطهدة ومطاردة . هذه الحالة التى كان عليها المسمون تتطلب أن يكون مجتمع المسلمين فى أقوى صور التكافل . لكن لم يكن للمسلمين دولة في هذا الوقت ، وهذا الأمر لا يتلاءم معه تشريع للتكافل يعتمد تنفيذه على الدولة وكذلك تشريع للتكافل مفصل وله الشمول فى الإلزام . هذا الأمر عالجه القرآن الكريم فى منظومة الآيات موضوع الدراسة على النحو الآتى : الزام بتشريع تكافلى على نحو عام وترغيب فى تشريع تكافلى تطور بعد ذلك ليصبح تشريعا الدولة هى الطرف الفاعل فى تنفيذه تحصيلا وإنفاقا .

المسلمون في مكة المكرمة عنذ نزول آيات الربا فى سورة الروم لم يكونوا ممثلين لمجتمع أصحاب رؤس الأموال ، حتى وإن كان فيهم أغنياء وأيضا لم يكن لهم سلطة تنفيذ تستطيع أن تتبنى سياسة لمنع فعل ما ثم أيضا اعمالا لمنهج التدرج فى التشريع في بعض الأمور ذات الطابع الإجتماعى ، هذه العوامل كلها تعامل معها القرآن الكريم بصيغة ترهيب فيما يتعلق بالربا ، هذه المعاملة التى كانت مغروسة فى حياة أهل مكة عند نزول أيات الربا فى سورة الروم . هكذا وظفت المنظومة المعرفية للآيات موضع الدراسة .

النتيجة التى تصل إليها المناقشة أن ربط المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم بحالة المسلمين فى مكة عند نزول هذه الآيات - هذا الربط يكشف عن عناصر جديدة فى إعجاز هذه المنظومة. اللوحة البيانية (٥) هى المقترحة للتعرف على المنظومة.

اللوحة البيانية (٥)

المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيتي الربا - الروم
(اعتبار حالة المجتمع المكي)



سادساً : المنظومة المعرفية العامة للسياق الداخلي لآيتي الربا - الروم

نوقش فى الفقرات السابقة بعض العناصر الفاعلة فى المنظومة المعرفية لآيتى الربا فى سورة الروم . نحاول فى هذه الفقرة تجميع العناصر التى نوقشت وذلك بقصد الحصول على لوحة مجمعة للمنظومة موضع الدراسة .

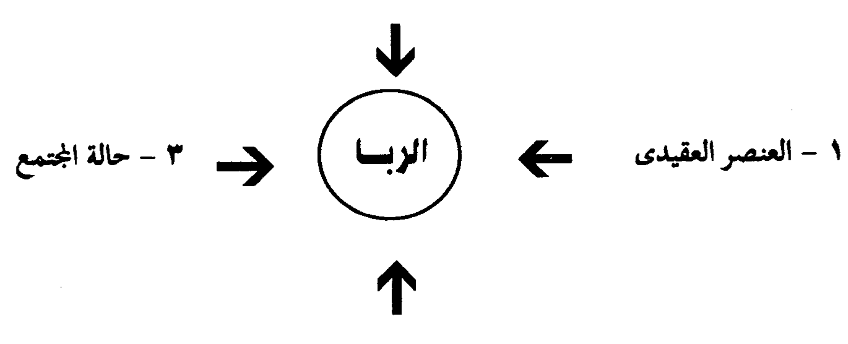
نقترح قبل عرض هذه اللوحة العامة أن نعيد التعريف بتصنيف الربا . إن الربا موضوع إقتصادى . وقد علمنا القرآن الكريم أن له إمتداداته إلي موضوعات أخرى كثيرة عقيدية واجتماعية وغير ذلك . عرض اللوحة الممثلة للمنظومة المعرفية العامة للسياق الداخلى لآيتى الربا يساعد فى التعلم في كيفية التفكير فى هذا الموضوع الإقتصادى . بعبارة أخرى إنه يساعد فى تعلم الفهم الصحيح لهذا الموضوع الاقتصادى ، كما يكون نموذجا لفهم الموضوعات الأخرى .

تظهر اللوحة (٦) المنظومة المعرفية العامة للسياق الداخلى لآيتى الربا ، يمكن بهذه اللوحة أن نحصل على النتائج التالية .

١- إن آيتى السياق الداخلى للربا قد جعلت الربا له إرتباطاته بأمور عقيدية، ولما كان الربا موضوعا اقتصاديا فإن الربط بينه وبين أمور عقيدية يمد إلي موضوعات الاقتصاد بصفة عامة . بعبارة أخرى إن آيتى الربا فى سورة الروم تقعد لفكرة أن التشريعات الاقتصادية لا ينبغى أن تعزل عن التشريعات الإسلامية ككل .

اللوحة البيانية (٦)

المنظومة المعرفية العامة للسياق الداخلي لآيتي الربا - الروم



صياغة الآية ٣٩ تجعل الحسابات المتعلقة بالربا لا تقتصر على الحساب الإقتصادى وإنما تلزم بالأخذ فى الإعتبار أمورا عقيدية .

٢- جاء ذكر الربا فى آيتى السياق الداخلي مسبوقا بالأمر بالتكافل الإجتماعى لبعض فئات المجتمع ، وكذلك متلوا بالزكاة التى هى أيضا من تشريعات التكافل ، ويمكن القول أن الربا جاء محاصرا بتشريعات متعلقة بالتكافل الاجتماعى .

صياغة المنظومة المعرفية لآيتى السياق الداخلى على هذا النحو تعلم ما يلى : أن الربا هو نقيض للتكافل بين أفراد المجتمع . ويمكن تطوير ذلك إلى النتيجة التالية : الربا تعبيرعن المصلحة الفردية الأنانية الضيقة .

٣- السياق الداخلى يتكون من آيتين ، خصصت الأولى منهما بالكامل للإنفاق التكافلي وجاءت الآية الثانية شركة بين الربا ونوع آخر من الإنفاق التكافلى هو الزكاة. نحاول أن نتعمق أكثر فى فهم الآية ٣٨ التى سبقت الآية التى ذكر فيها الربا .

(أ) موضوع الآية (٣٨) هو الإنفاق للتكافل الاجتماعى . المستهدف من هذا الإنفاق هو التربية الاجتماعية بين افراد المجتمع ؛ هذه التربية الإجتماعية النفسية والمادية بين أفراد المجتمع هي التهيئة الأقوى ملاءمة ومناسبة للإعداد للتنفير من الربا ؛ هذا الإعداد النفسى القوى مطلوب لأن الربا يبدو فى ظاهره أن للشخص فيه مصلحة ؛ أى أنه يمثل مصلحة خاصة للمتعامل به وهى مصلحة تتعارض مع مصلحة المجتمع ككل ، لذلك حرص القرآن على أن تسبق آية الربا بآية تعمل على التربية النفسية والمادية للفرد بحيث يضع فى الإعتبار مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، بعبارة أخرى يمكن القول أن موضوع الربا سبق بتشريع إقتصادى يقيم توازنا نفسيا وماديا بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد .

(ب) ختمت الآية (٣٨) بقوله سبحانه وتعالي " وأولئك هم المفلحون " . جاء الفلاح مطلقا وهذا يمكن من القول بأن الفلاح المترتب على الإنفاق للتكافل الإجتماعى يتحقق فى الدنيا كما يتحقق فى الآخرة . فلاح الدنيا يمكن أن يكون فى صورة مجتمع مستقر بعيدا عن الصراع بين فئاته ، كما يمكن أن يكون فى صورة تقدم اقتصادي للفرد وللمجتمع وهذا الإستقرار وهذا التقدم يمكن أن يكون ماديا أو معنويا أو كليهما معاً .

(جـ) فى الآية التى نحللها نجد أنه ذكر فيها ثلاث فئات للتكافل الاجتماعي ، ذو القربى والمساكين وابن السبيل . ومن المعروف أن الإنفاق للتكافل الاجتماعى أوسع من

هذا . وأكمل صورة له جاءت في الآية التي تحدد مصارف الزكاة والتي يقول الله سبحانه وتعالى فيها ،

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ التوبة .

يمكن تقديم تفسير لقصر الإنفاق التكافلي في الآية التي معنا على الفئات الثلاث المذكورة . سورة الروم مكية وفي مكة لم تكن للمسلمين دولة وأحوالهم كانت على النحو المعروف لذلك فإن الفئات الثلاثة المذكورة مثلت في ذلك الوقت كل الفئات المحتاجة من المسلمين . لزيادة ايضاح هذا التفسير وتقويته يمكن المقابلة مع ما جاء بسورة البقرة فقد جاء الإنفاق للتكافل الاجتماعي في هذه السورة في آيات كثيرة وجاء شاملا عاما مطلقا لأنه في ذلك الوقت كانت للمسلمين دولتهم فجاء تشريع الإنفاق التكافلي متلائما مع إتساع مسئوليات دولة .

د- يمكن القول أن الموضوع الاقتصادي الذي تضمنته الآية هو ذو مضمون إيجابي. من هذا المضمون الإيجابي يمكن استنتاج فكرة لها ارتباطها أو فاعلة في المنظومة المعرفية التي نحن بصدد الحديث عنها ، إن الربا من نوع لا تفعل بحيث يمكن القول أنه ذو مضمون سلبي ولقد سبقت آية الربا التي تتضمن هذا العنصر السلبي بآية فيها عنصر اقتصادي ذو مضمون إيجابي أي من نوع فعل .

المقابلة على مستوى المنظومة المعرفية بين افعل ولا تفعل فيها عنصر آخر ، إن افعل موضوعها الإنفاق للتكافل الإجتماعي ، أي أن الوحدة المعمول عليها هي المجتمع أي مصلحة المجتمع بينما لا تفعل موضوعها الربا فالوحدة المعمول عليها هي الفرد أي المصلحة الخاصة ، وهذا المعنى بشقيه افعل ولا تفعل يعمل مع القاعدة الأصولية : تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

إن هذه اللوحة العامة عن المنظومة المعرفية لآيتي السياق الداخلي للربا في سورة الروم تؤكد من جديد ما سبق إستنتاجه من أن هذه المنظومة جاءت على نحو معجز في كل عناصرها : من حيث الصياغة ومن حيث الموضوعات بل ومن حيث ترتيب الموضوعات .

المنهج المقترح لدراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم لا يقتصر على دراسة الآية أو الآيات التى ذكر فيها الربا وإنما يدرس آيات سابقة وآيات تالية باعتبارها تمثل السياق العام الذى جاء فيه ذكرالربا. هذا المنهج يدرس آية أو آيات الربا ويسمى هذا السياق الداخلى وقد درس هذا فى الفرع الأول ثم حسب هذا المنهج تدرس آيات سابقة وتالية والتى تمثل السياق العام الذى ذكر فيه الربا ويقترح أن تدرس هذه الآيات تحت عنوان الإطار المحيط بآيات الربا . دراسة الإطار المحيط بآيتى الربا فى سورة الروم موضوع هذا الفرع الثانى والفرع الثالث الذى سيجئ إن شاء الله .

يتبين من تحليل الآيات السابقة علي آيتى الربا فى سورة الروم وهما الآيتان ٣٨ و٣٩ أن الآيات من ٣٣ إلى ٣٧ موضوعها واحد ، أى أنها تمثل وحدة واحدة لذلك نعتبر أن هذه الآيات تمثل الإطار المحيط بآيتي الربا وهو إطار سابق ، ولما كانت هذه الآيات ملتصقة مباشرة مع آيتى الربا فإنها تعتبر الإطار المجاور ويمكن أن تسمى الإطار الأول .

تحليل الآيات التالية لآيتى الربا يبين أن الآيات من ٤٠ إلى ٤٢ موضوعها واحد فهى تمثل وحدة واحدة لذلك نعتبر هذه الآيات تمثل الإطار المحيط بآيتي الربا وهو إطار تال وبما أن هذه الآيات ملتصقة مباشرة بآيتى الربا فإنها تعتبر الإطار المجاور .

للتعامل مع تصنيف مقبول وواضح فإنه يقترح أن تكون الآيات ٣٣ - ٣٧ تمثل الجناح السابق للإطار الأول المحيط بآيات الربا ويقترح كذلك أن تكون الآيات ٤٠ -٤٢ ممثلة للجناح التالى لهذا الإطار .

بعد بيان هذا التصنيف فإنه يمكن البدء فى دراسة هذا الإطار بجناحيه لبيان موضوعه وكذلك لبيان صلته بموضوع الربا والنتائج التى تترتب على ذلك .

أولا : الجناح السابق في الإطار المجاور المحيط بآيتي الربا

يقول الله سبحانه وتعالى :

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الروم .

يمكن القول باجمال أن موضوع هذه الآيات هو بيان انفعالات الناس أى النفس الإنسانية فى مواجهة الضر والرحمة وبسط الرزق وقدره . فى ثنايا بيان هذه الانفعالات يعطى القرآن الكريم التوجيه المطلوب . بناء على هذا فإن موضوع هذه الآيات واحد، أى أنها تكون وحدة واحدة . نحاول تحليل موضوع هذه الآيات لنكتشف ارتباطاته وتفاعلاته مع موضوع الربا.

١- تصف الآية ٣٣ موقف الناس عندما يصيبهم ضر أو رحمة ، يمكن القول أن الضر والرحمة المشار إليهما يعبران عن الضر العام ، اقتصادى أو غيره ، وكذلك الرحمة العامة ؛ اقتصادية أو غيرها ، الآية ٣٦ تخصص الكلام عن الضر والرحمة بالمعنى الاقتصادي ويقوى هذا التوجيه الآية ٣٧ وحيث تخبر عن بسط الله الرزق وقدره.

٢- يمكن القول أن الآيات الخمس (٣٣-٣٧) مقصود بها تربية الفرد الذى يتلقى التشريعات الواردة فى الآيتين ٣٨ و٣٩ ، وهما آيتا السياق الداخلى للربا .

٣- الآيات من ٣٣ - ٣٥ تعمل على التربية العامة للفرد الذى سوف يوجه إليه تشريع التكافل والتشريع العامل على الربا الواردان في آيات السياق الداخلي (٣٨ ٣٩) . الآيات وإن كانت تصف انفعالات الإنسان فى مواجهة الخير والشر إلا أنها تتضمن التوجيه التربوى المطلوب ، ذلك أن الآيات لم تقتصر على مجرد وصف الإنفعال البشرى وإنما جاء فى الأيات ما يعمل على هذا التوجيه التربوى . إن ختام الآية ٣٣ والآية ٣٤ بكاملها وكذلك الآية ٣٥ تضمنت عناصر التوجيه التربوى المطلوب .

٤- تعمل الآيتان ٣٦ و٣٧ على التربية الاقتصادية للفرد الذى سوف يوجه إليه تشريع التكافل والتشريع العامل على الربا فالآيتان وإن وصفتا الانفعالات التى يتصرف بها الإنسان عندما يناله خير اقتصادى أو ضر اقتصادي فإنهما يتضمنان عناصر تعمل على التربية المطلوبة ، إن ختام الآية ٣٦ والآية ٣٧ بكاملها يتضمن العناصر التي تحقق التوجيه التربوى المطلوب .

نحاول تقديم دراسة أكثر تفصيلا للآيتين ٣٦ و٣٧ باعتبارهما المجاورتين لآيتى السياق الداخلى للربا وكذا باعتبار أن موضوعهما اقتصادى فهو يتشابه مع موضوع آيتى السياق الداخلى .

موضوع الآية ٣٦ اقتصادى ، فهى تصف حالتى الوفرة والأزمة ، يقوى هذا التوجيه الإقتصادى للآية أن الآية ٣٧ المرتبطة بها موضوعها بسط الرزق وقدره (تضييقه) والوفرة والأزمة والبسط والقدر كما جاء فى الآيتين كلها بيد الله سبحانه كما أنها كلها آيات للمؤمن .

باجمال أن موضوع الآيتين هو تقلبات أحوال الرزق . بناء علي هذا التحديد لموضوع الآيتين نحاول التعرف على ارتباطاتهما بالآيتين ٣٨ و٣٩ وهما آيتا السياق الداخلى وبعبارة أخرى الآيتان التى ذكر فيهما الربا .

موضوع الآيتين ٣٦ – ٣٧ تقلبات أحوال الرزق وموضوع الآية ٣٨ الانفاق للتكافل الاجتماعى . لبيان الربط بينهما فإنه يمكن القول أن اخبار المؤمن بأن الرزق من الله واخباره بتقلبات أحوال الرزق يعتبر أكفأ تربية لاعداده لقبول التشريع بالانفاق للتكافل الاجتماعى . إن للأرزاق دورة ، وتدبر الفرد لذلك يكون مع مجتمعه ومع الله . وهكذا تتأسس العلاقة بين الموضوع الاقتصادي للآيتين ٣٦ – ٣٧ والآية ٣٨

ختمت الآية ٣٧ بقوله سبحانه وتعالى إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، وختمت الآية ٣٨ بقوله سبحانه وتعالى " وأولئك هم المفلحون " ، يمكن القول إن المؤمنين فى الآية الأولى هم المفلحون فى الآية الثانية وبهذا يتأكد الارتباط بين الآيات .

الرزق من الله وتقلبات أحوال الرزق موضوع الآيتين ٣٦ – ٣٧ يرتبط ارتباطا مباشرا بالآية ٣٩ . إن الربا يتضمن شكلا من أشكال الاستغلال والاستغلال فى الربا يقع على الفرد وعلى المجتمع فالاستغلال مؤكد فى الربا . الآيتان ٣٦ – ٣٧ بموضوعهما الاقتصادى وهو تقلبات احوال الرزق وأن هذا بيد الله ومنه سبحانه وتعالى تعملان مباشرة على التربية النفسية لمن يتلقي تشريع الربا . مخاطبة من يتلق تشريع التنفير من الربا بأن أمور الرزق متقلبة وأنها بيد الله سبحانه وتعالى فإن ذلك يمثل اسلوبا له كفاءته في حمل الفرد على الالتزام بتشريع التنفير من الربا .

٥– إذا أخذنا هذا المقطع فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم والذى يتكون من الآيات الممثلة للجناح السابق للإطار المجاور وهى الآيات ٣٣ – ٣٧ وآيات السياق الداخلى للربا ٣٨ – ٣٩ – إذا أخذنا هذا المقطع بالعلاقات والارتباطات التى بينت فى المناقشة السابقة فإننا نجد أنفسنا أمام منظومة معجزة والاعجاز يظهر فى الصياغة وفى الموضوعات المختارة والارتباطات القائمة بينها .

ثانيا : الجناح التالي في الإطار المجاور المحيط بآيتي الربا

يقول الله سبحانه وتعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

النظر فى هذه الآيات يجعل الدراسة تقترح أن تعتبر هذه الآيات الثلاث تمثل الجناح التالى للإطار المجاور المحيط بآيات السياق الداخلى للربا . الاقتراح بجعل هذه الآيات وحدة واحدة له سبب هو أن موضوعها واحد ، ذلك أن الآية ٤٠ تتكلم عن خلق الله سبحانه وتعالى واجراؤه الرزق والآية ٤١ تخبر عن الفساد الذى يحدثه البشر فيما خلق الله والآية ٤٢ تأمر بالسير فى الأرض للنظر فى خلق الله سبحانه وتعالى . هكذا يتبين أن موضوع الآيات الثلاث واحد .

عند تحليل موضوع الآيات الثلاث والعناصر التى اعتبرت معه يتبين أن موضوعها يدخل فى تربية الفرد الذى يتلقى التشريع أو التوجيه القرآنى ، بعبارة أخرى إن الآيات الثلاثة تكمل موضوع التربية الذى عملت عليه الآيات ٣٣ - ٣٧ ، وهى الآيات التى تكون الجناح السابق للإطار محل الدراسة . يعنى هذا أن الإطار المجاور بجناحيه السابق واللاحق موضوعه تربية الفرد الذى يتلقى التشريع أو التوجيه القرآنى المتعلق بالتكافل الاجتماعى وبالربا .

نحاول تقديم مناقشة تفصيلية للآيات الثلاث الممثلة للجناح التالى للإطار المجاور .

١- النظر فى الآية ٤٠ يبين أنها تتكلم عن موضوعين ؛ موضوع اقتصادى وموضوع عقيدى . دراسة هذه الآية تبين ما يلى :

أ- فى المقابلة مع الآية (٣٨) التى تمثل أحد عنصرى السياق الداخلى نجد أن الموضوع الاقتصادى فى الآية ٣٨ هو الانفاق للتكافل الاجتماعى، بينما الموضوع الاقتصادى فى الآية (٤٠) هو الرزق أو خلق الله الأرزاق واجراؤها على عباده . لا شك أنه توجد علاقة بين تشريع الانفاق التكافلى والتذكير بأن الله هو الخالق الرازق . يمكن القول أن التذكير بأن الله هو الخالق الرازق هو بمثابة تعليل أو بمثابة تسبيب للأمر بالانفاق التكافلى .

إن الله أمر بالانفاق التكافلى لأن له الحق فى ذلك حيث هوالرازق فى حقيقة الأمر وأن الله أمر الاغنياء بالانفاق على الفقراء لأنه الخالق وهو الذى أجرى الرزق وبمقدوره تغيير الاحوال وإعادة تصنيف عباده .

ب- فى المقابلة بين الآيتين ٣٨ ، ٤٠ نجد أن العنصر العقيدى فى الآية الأولى هو إرادة وجه الله ، أى مرضاته واتباع سبيله ، وهذا يتناسب مع تشريع الانفاق التكافلى إذ يكون بمثابة حث عليه ، بينما العنصر العقيدى فى الآية الثانية هو تنزيه الله سبحانه وهذايتناسب مع قضية الخلق والرزق .

جـ- فى المقابلة بين آية الربا(٣٩) وآية الإطار العقيدى الاقتصادى اللاحق(٤٠) نجد ملاءمة واضحة فى الموضوع الاقتصادي، إن التنفير من الربا وهو درجة فى التشريع لتحريم الربا أى تدخل فى الملكية الخاصة للفرد ، لذلك جاء الموضوع الاقتصادى فى الآية (٤٠)بمثابة تسبيب لهذا التدخل التشريعى فى الملكية الخاصة ؛ إن الله الخالق يملك هذا التدخل التشريعى لأنه الرازق فهو الذى خلق الرزق فهو مالكه فى الحقيقة وحيث أنه المالك فى الأصل لذلك يكون له الحق فى الأمر: بافعل أو لا تفعل.

٢- موضوع الآيتين ٤١ - ٤٢ هو الفساد فى الأرض والعقوبة عليه من الله سبحانه وتعالى ، بناء على هذا التحديد لموضوع الآيتين نحاول بيان الإرتباط مع الآيات السابقة .

أ- الفساد المشار إليه فى الآيتين ٤١ - ٤٢ يمكن أن يقع بسبب عدم الالتزام بشرع الله الذى جاء فى الآية ٣٨ والخاص بالانفاق للتكافل الاجتماعى وبهذا تربط الآيات الثلاث معا من حيث الموضوع .

ب- الفساد المشار إليه فى الآيتين ٤١ - ٤٢ يمكن أن يقع بسبب عدم الالتزام بشرع الله الذى جاء فى الآية ٣٩ والخاص بالتنفير من الربا . إذا نظر بعمق فإنه يتبين أن الإرتباط بين الربا والفساد هو فى حد ذاته قوى والآيات المذكوررة نفسها تبرز هذا الإرتباط القوى . إن الآية ٤١ ترتب الفساد فى الأرض على كسب أيدي الناس والربا شكل من أشكال هذا الكسب ، هذا الإرتباط القوى يقوم سببا لجعل الآية ٤١ تمثل إطارا لآية الربا (٣٩) . إن الربا وكما قيل عنه أنه أحد اسباب خراب العالم وخراب العالم هو أبشع صور الفساد الاقتصادى فى الأرض .

جـ- يمكن استنتاج إرتباط بين الآيتين ٣٦ - ٣٧ واللتان تدخلان فى الجناح السابق للإطار محل الدراسة والآيتين ٤١ -٤٢ واللتان تمثلان الجناح اللاحق لهذا الإطار . الآية ٣٦ تتحدث عن السيئة فى الرزق ، والفساد فى الأرض شكل من أشكال السيئة فى الرزق وكل منهما ؛ السيئة والفساد بسبب أخطاء البشر ، الآية ٣٧ توجه إلى النظر فى أحوال الحياة للتعرف على اعطاء الله الرزق ومنعه والآية ٤٢ تأمر بالسير فى الأرض للتعرف على أحوال الأمم وما أصابها .

تكشف المناقشة السابقة عن وجود ارتباط بين الآيتين ٣٦ - ٣٧ والآية ٣٩ ، لذلك اعتبرت الآيتان إطارا لآية الربا ، وهو إطار سابق . كما أن الآيتين ٤١ - ٤٢ ترتبطان أيضا بالآية ٣٩ ، أى ترتبطان بآية الربا ، لذلك اعتبرت الآيتان إطارا لآية الربا ، وهو إطار لاحق .

المناقشة السابقة التى كشفت عن الإرتباطات القائمة بين المجموعات الثلاثة للآيات التالية :

الآيات من ٣٣ - ٣٧

الآيات من ٣٨ - ٣٩

الآيات من ٤٠ - ٤٢

هذه المناقشة تثبت الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم وهو اعجاز من أوجه متعددة ، إنه اعجاز فى الصياغة وفى اختيار الموضوعات وفى ترتيبها .

ثالثا اللوحات البيانية لآية الربا وآيات الإطار المجاور .

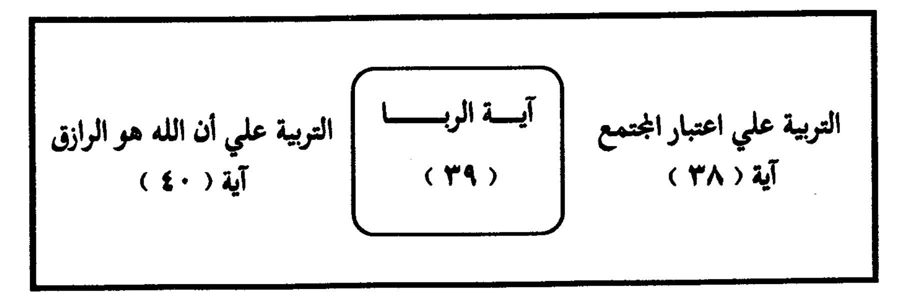
نحاول فى هذه الفقرة إعادة المناقشة السابقة فى لوحات بيانية والعرض البيانى كما سبق أن قيل عنه يتيح إظهار الإرتباطات على نحو أوضح وآكد كما أنه يتيح تلخيص الفكر في لقطة واحدة .

١- مع أننا درسنا الآيتين ٣٨ - ٣٩ كوحدة واحدة باعتبارها تمثل السياق الداخلى لآيات الربا إلا أننا نقترح أن نعرض بيانيا الآيات الثلاثة ٣٨ - ٤٠ لما نراه من ارتباطات ذات صفة خاصة بين هذه الآيات .

يمكن من اللوحة البيانية (٧) أن نستنتج ما يلى :

اللوحة البيانية (٧)

عناصر فاعلة فى تربية المخاطب بالتشريع العامل على الربا - سورة الروم



أ- يبدو الربا فى ظاهره وأن للفرد مصلحة فيه لأنه يمثل دخلا لادخاراته أو لثروته لذلك كان ملائما أن يسبق تشريع الربا اعداد تربوى اجتماعى للفرد بحيث يحس بالمجتمع وينفعل به ويتفاعل معه لهذا كان موضوع الآية السابقة مباشرة على آية الربا هو الانفاق التكافلى الذى يجعل الفرد ينفعل انفعالا ماديا حقيقيا بالمجتمع ، ليس احساسا معنويا فحسب وإنما مشاركه مادية . وقد ربط هذا الانفاق التكافلى بأمر عقيدى تستجيب له النفس المؤمنة بمجرد سماعه وهو إرادة وجه الله التى يترتب عليها الفلاح فى الدنيا والآخرة .

ب- التشريعات الواقعة على الربا هى بمثابة تدخل فى حرية الشخص الاقتصادية بالنسبة لثروته لذلك كان موضوع الآية التالية مباشرة لآية الربا هو خلق الله واجراؤه الأرزاق على عباده ، وهى بهذا تقيم الحجة على من يتلقى تشريع التنفير من الربا ، وبحيث توجب عليه الالتزام بما يجئ به التشريع ، لأن المشرع هو الخالق الرازق الذى له الحق المطلق فى التدخل وقد ربط أمر الخلق والرزق بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك وهذا البعد العقيدى فيه ملمح إلى أنه ليس من حق أحد أن يشرع فى الربا إلا الله سبحانه وتعالى .

٣- نستنتج أن ما جاء بالآية ٣٨ وما جاء بالآية ٤٠ يمثل أكفأ أسلوب لتربية الفرد الذى يخاطب بالآية ٣٩ وهى الأية التى ذكر فيها التنفير من الربا ومجئ هذا المقطع من القرآن الكريم على هذا النحو هو إثبات للإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم

٢- تظهر اللوحة البيانية (٨) المنظومة المعرفية للآيات التالية

الآيات من ٣٥ - ٣٧ ، الآية ٣٨ ، الآية ٣٩ ، الآية ٤٠ ، الآيتان ٤١ - ٤٢

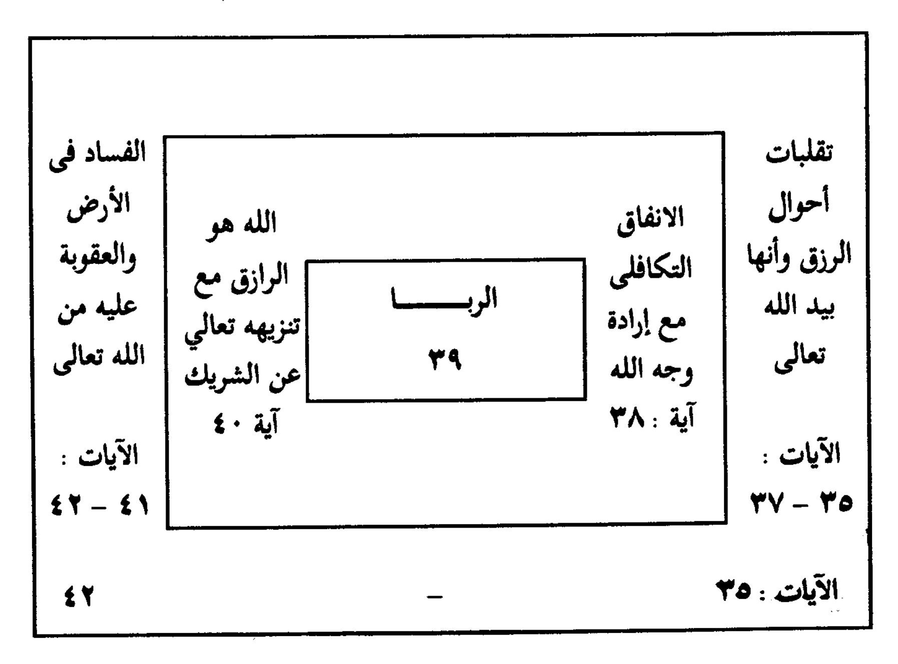
يستنتج من الموضوعات التى اعتبرت فى هذه الآيات ومن الترتيب بينها ، كما يستنتج من الإرتباطات القائمة بين هذه الموضوعات وبين موضوع الربا (الآية ٣٩) أن المنظومة المعرفية للآيات المذكورة قد جاءت على نحو معجز يفسر كما يلى .

أ- إن تقلبات أحوال الرزق وان أمر الرزق كله بيد الله سبحانه وتعالى (آيات ٣٥ - ٣٧) لها ارتباطاتها مع الأمر بالانفاق التكافلى (٣٨) ولها ارتباطاتها مع التشريع العامل على الربا (٣٩) ولها إرتباطها العضوى بالآية (٤٠) ولها ارتباطاتها بالاخبار عن الفساد فى الأرض وأنه مسبب عن كسب الإنسان (٤١ - ٤٢) .

ب- المنظومة على هذا النحو تشتمل على أكفأ منهج لتربية الفرد الذى يخاطب بالتشريع العامل على الربا . إن القرآن الكريم بهذه الآيات يربي الفرد على أن يكون عضوا متفاعلا إيجابيا مع مجتمعه ، وهذا عنصر اجتماعى اقتصادى فى التربية ثم يربيه القرآن الكريم على أن الفساد فى الأرض إنما يجئ من تصرفات الإنسان التى تخرج عن منهج الله .

اللوحة البيانية (٨)

المنظومة المعرفية للآيات ٣٥ - ٤٢ سورة الروم



٣- تظهر اللوحة البيانية (٩) المنظومة المعرفية لآيتي السياق الداخلى للربا مع الإطار المجاور كله . إن اللوحة تظهر المنظومة المعرفية للآيات التالية .

الآيات : ٣٢ - ٣٧

الآيتان ٣٨ - ٣٩

الآيات : ٤٠ - ٤٢

إن المنظومة المعرفية لهذه الآيات جاءت على هيئة إطار يحيط بموضوع الربا بحيث يؤمن هذا الإطار اعدادا هو أكفأ ما يكون للفرد الذى يتلقى التشريع العامل على الربا .

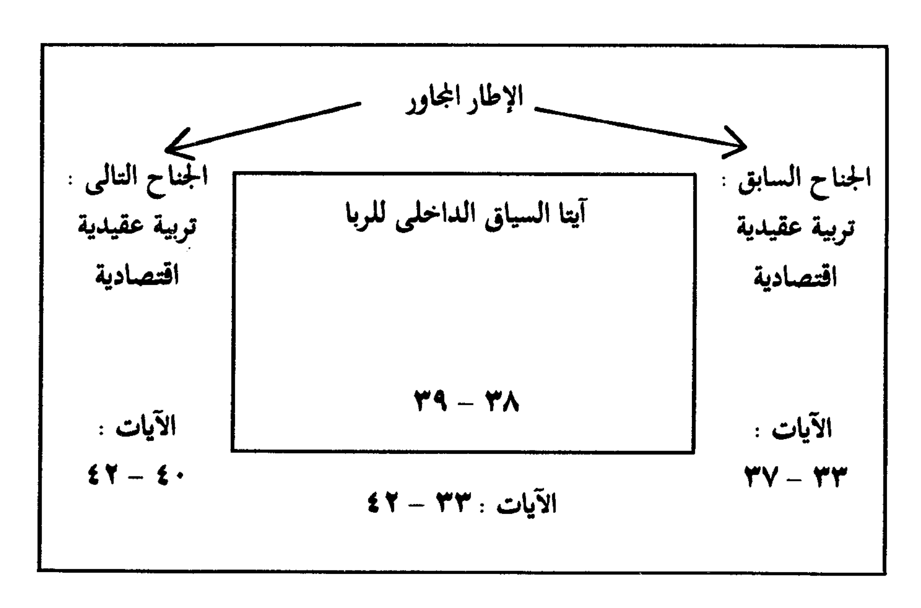
الإطار الذى أحاط بموضوع الربا له جناحان ، الجناح السابق والجناح التالى . الجناح السابق يؤمن تربية الفرد تربية بعيدة عن الافراط والتفريط فى مواجهة أحداث الحياة بصفة عامة ثم يؤمن تربيته تربية بعيدة عن الإفراط والتفريط فى مواجهة الأحداث الاقتصادية بصفة خاصة . فى سياق هذا يربيه على أن أمر الرزق كله بيد الله سبحانه وتعالي . عند الوصول إلى هذه النقطة وبعد أن ربى الفرد هذه التربية يجئ تشريع التكافل والتشريع العامل على الربا .

يواصل القرآن الكريم التربية مع الفرد الذى تلقى التشريع العامل على الربا فيعيد معه مرة أخرى التربية على أن الله هو خالق الإنسان ورازقه وهو يملك الحياة والموت .

اللوحة البيانية (٩)

المنظومة المعرفية لآيتي الربا مع الإطار المجاور

(الآيات ٣٣ - ٤٢ - الروم)



ثم يأخذ القرآن الكريم الإنسان في رحلة تاريخية اقتصادية يربية فى هذه الرحلة على أن الفساد فى الأرض إنما يجئ بسبب الإنسان نفسه عندما لا يسلك علي النحو الذى ربى عليه وعندما لا يطبق التشريعات التى جاءت منظمة لحياته ومنها حياته الإقتصادية .

الفرع الثالث : الإطار العقيدى البحت المحيط بآيتى الربا - الروم

بقصد اكتشاف المنظومة المعرفية الكاملة لآية الربا فى سورة الروم فإن استمرار النظر والتدبر فى الآيات السابقة عليها والتالية لها يبين أن الآيات السابقة على الآية ٣٣ تتعلق بالعقيدة وكذلك الآيات التالية للآية ٤٢ تتعلق أيضا بالعقيدة . إن هذا يبين أن آية الربا أحيطت أولا بإطار عقيدى وفيه عنصر إقتصادى ثم احيطت ثانيا بإطار عقيدى بحت .

سبق بحث الإطار العقيدى المتضمن عنصرا اقتصاديا . نحاول فى هذه الفقرة بحث الإطار العقيدى البحت .

مراجعة الآيات السابقة على الآية ٣٣ يبين أن سورة الروم من بدايتها وإلى هذه الآية تركز على العقيدة لذلك يمكن القول أن الإطارالعقيدى موضع البحث فى هذه الفقرة يمتد من الآية ١ إلى الآية ٣٢ . مع أن هذا القول له صحته إلا أننا نقترح أن تكون بداية هذا الإطار الآية ٣٠ وذلك لسببين :

السبب الأول : الآيات الثلاث التى تبدأ بالآية ٣٠ تخلص بالكامل لموضوع العقيدة .

السبب الثانى : النظر فى الآيات التالية مباشرة للآية ٤٢ يبين أنها تخلص بالكامل لموضوع العقيدة فهى تتشابه مع الآيات التى تبدأ بالآية ٣٠ . ليس هذا وحده إنما نجد أن الآية ٣٠ تبدأ بقول الله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا والآية ٤٣ تبدأ بقول الله تعالى : فأقم وجهك للدين القيم هذه البداية للآيتين ترجح الإستنتاج بأن هنا دائرة تغلق أو إطارا يكتمل .

بعد هذا التحديد الأولي لآيات هذا الإطار وهو الإطار العقيدى البحت نتقدم لدراسة تفصيلية عنه .

أولا: الجناح السابق للإطار العقيدي البحت

يقول الله سبحانه وتعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

اقترح أن تكون هذه الآيات تمثل الإطار العقيدى البحت لآية الربا ونحاول أن نتعرف على العنصر العقيدى أو العناصر العقيدية فى هذا الإطار والأثر الذى تعمله على الربا .

١- موضوع الآية ٣٠ الفطرة التى فطر الله الناس عليها وما جاء به الدين يمثل هذه الفطرة التى أمر الله سبحانه وتعالى بالحفاظ عليها وعدم تغييرها . تكمل الآية ٣١ خصائص الفطرة التى فطر الله الناس عليها أما الآية ٣٢ فتخبر عن الصورة القصوى لتغيير الفطرة أو الانحراف عنها ، وهذه هى حالة الشرك بالله والإنقسام إلى شيع وأحزاب فى إطار هذا الشرك .

٢- تخبر الآيات من ٣٣ - ٣٧ عن بعض الخصائص السلوكية لشخصية تنحرف عن الفطرة فهذه الشخصية غير السوية تهرع إلى الله سبحانه وتعالى عندما يصيبها الضر فإذا من الله عليها برحمة منه أشركت بالخالق سبحانه وتعالى . وهكذا تتواصل المجموعتان من الآيات : ٣٠ - ٣٢ و٣٣ - ٣٧ .

٣- جاءت آيتا السياق الداخلى للربا ٣٨ - ٣٩ فى سياق الحديث عن الفطرة والإنحراف عنها . والقرآن بهذا الترتيب للموضوعات يخبر أن الربا هو شكل من أشكال الإنحراف عن الفطرة السليمة التى خلق الله الناس عليها .

٤- بناء على هذا الفهم للآيات والربط بينها فإنه يمكن استنتاج ما يلى : الآيات من ٣٠ - ٣٢ وهى التى ذكرت على أنها تمثل الجناح السابق للإطار العقيدى المحيط بآيتى السياق الداخلي للربا تمثل تربية على الفطرة السليمة ، هذه الفطرة السليمة هى التى خوطبت بعد ذلك بالآية المنفرة من الربا .

٥- المنظومة المعرفية للآيات من ٣٠ - ٣٩ جاءت صياغتها على النحو الآتى : تربية على الفطرة السليمة التى خلق الله الناس عليها ، ثم اخبارعن بعض صور الإنحراف عن الفطرة السليمة ، ثم أخيرا التنفير من الربا ويفهم من مجيئ الربا فى هذا السياق على أنه صورة من صور الإنحراف عن الفطرة السليمة التى خلق الله الناس عليها .

إن مجيئ المنظومة المعرفية للموضوعات والترتيب بينها على هذا النحو هو نموذج للإعجاز القرآنى .

الجناح التالي للإطار العقيدي البحت

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

ذكر سابقا أن الآية ٤٣ تغلق حلقة أو دائرة مع الآيات التى تبدأ بالآية ٣٠ ولذلك اقترح أن تعتبر هذه الآية تمثل الإطار العقيدى البحت التالى لآية الربا .

نرى أنه لا يقتصر على الآية ٤٣ ذلك أن الآيتين ٤٤ و٤٥ مرتبطتان بها لهذا فإن الجناح التالى فى الإطار العقيدى يشمل الآيات الثلاث ٤٣ - ٤٥ .

نحاول بيان الإرتباطات القائمة بين جناحى الإطار العقيدى البحت ثم الإرتباطات القائمة بين الجناح التالى فى الإطار العقيدى وموضوع الربا .

١- آيات الجناح السابق فى الإطار العقيدى البحت تبدأ بالأمر بالإستمساك بالدين حنيفا ، ثم تعرض بعد ذلك لسلوكيات يجب أن يلتزم بها فى الحياة الدنيا . وآيات الجناح التالى (٤٣ - ٤٥) تأمر بالتمسك بالدين القيم ، ثم بعد ذلك تعرض للثواب الذى ينتظر الطائعين والعقاب الذى ينتظر المخالفين .

يمكن القول أن آيات الجناح التالى (٤٣ - ٤٥) تحدد الجزاء على الأعمال التى جاءت فى آيات الجناح السابق (٣٠ - ٣٢) . هذا يؤيد الفكرة التى قيل بها وهى أن الآيات من ٣٠ - ٣٢ والآيات من ٤٣ - ٤٥ تغلقان أو تكملان معا حلقة أو دائرة .

٢- الربط بين آية الربا (٣٩) وآيات الجناح التالى فى الإطار العقيدى (٤٣ - ٤٥) يثبت فكرة كثيرا ما تقال فى الإقتصاد الإسلامى، وهى أن الجزاء على العمل الاقتصادى يكون فى الدنيا والآخرة ، أى جزاء دنيوى وأخروى .

٣- التعمق فى تحليل آية الربا وآيات الجناح التالى يكشف عن رابط آخر يربط بينهما . إن آية الربا أشارت إلى أن الربا لا يربوا عند الله وأن الله يضاعف على الزكاة (دنيا وأخرى) فى مقابل هذا نجد الآية ٤٥ تعمل على نفس الفكرة إنما على نحو أعم وهو الجزاء على كل الأعمال الصالحة ، وتذييل الآية (إن الله لا يحب الكافرين) يدل على أن الله يعاقب على كل الأعمال الطالحة .

هكذا ترتبط آية الربا (٣٩) بالآية (٤٥) وبهذا ترتبط مرة أخرى آية الربا بآيات الجناح التالى (٤٣ - ٤٥) .

ثالثا : الترتيب الصحيح للأطر مع إضافة للمناقشة

حاولنا فى المناقشة السابقة التدرج فى عرض الأطر انطلاقا من الآية التى جاء فيها ذكر الربا إلى آيات سابقة عليها وآيات تالية لها ويمكن القول بعد هذه المناقشة أن الأطر المحيطة بآية الربا وموضوعات هذه الأطر قد أصبحت معروفة .

نحاول في هذه الفقرة إعادة ترتيب الأطر وذلك لتعرض متفقة مع الأهميات التى يعطيها الإسلام . لقد اشتملت الأطر على عناصر عقيدية وعناصر اقتصادية . الآيات التى درست تجعل العقيدة هى الإطار العام الحاكم . إن العنصر العقيدى بدأت به

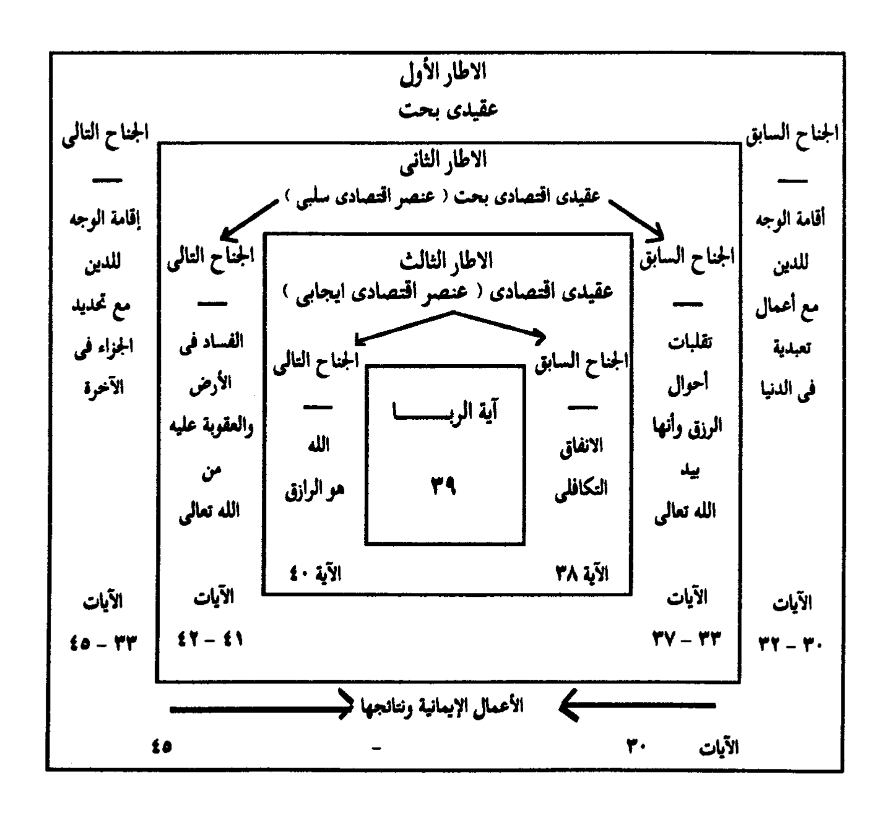
الأطر وكذلك انتهت به . يعني هذا أن الأمر كله مغلق بإطار عقيدي أي مغلق بالعقيدة وقد يكون تعبير مغلق لا يفي بالغرض المطلوب وإنما التعبير الأدق هو أن الأمر كله مضبوط بالعقيدة . بناء على هذا فإننا سنعيد المناقشة علي أساس أن العقيدة تمثل الإطار الأول.

أظهرت المناقشة السابقة أيضا كل الموضوعات التى أحاطت بموضوع الربا بعد أن تم التعرف علي هذه الموضوعات فإنه قد يقترح إعادة تصنيف للأطر وإعادة التصنيف هذه تعطى فرصة لإظهار ارتباطات جديدة بين الموضوعات كما تعطى فرصة لاستخلاص نتائج جديدة .

نحاول فى اللوحة (١٠) أن نحقق الأهداف التى ذكرت لإعادة المناقشة .

اللوحة البيانية (١٠)

المنظومة المعرفية للإطار العام لآيات الربا - سورة الروم



اللوحة (١٠) تعرض المنظومة المعرفية للإطار العام لآية الربا في سورة الروم .
سبق عرض ومناقشة الأطر الثلاثة المكونة لهذا الإطار العام كل على حدة . نحاول فيما يلى أن نعيد المناقشة وذلك لبيان جديد فى الإرتباطات بين الموضوعات وكذلك الإرتباطات مع الربا .

١- الإطار الحاكم هو الإطار الأول وكما رأينا فى المناقشة التى سبقت فإنه إطار عقيدى بحت . لهذا الإطار جناحان الجناح الأول (٣٠ - ٣٢) يتمثل فى الأمر بالتوجه للدين كلية توجها خالصا نقيا . جاءت الآيات الممثلة لهذا الإطار بأوامر لتوجهات إيمانية قلبية وتوجهات عبادية وذلك كنموذج لعناصر فى الدين المأمور بالتوجه إليه ، وقد جاء فى الآية الأخيرة لهذا الإطار مايربى الملتزم بالتوجه إلي الدين أن يفرغ نفسه كلية لله وأن يسلمها له فى كل أحواله سلبيها وإيجابيها .

الجناح الثانى في هذا الإطار وهو الذى يغلق الدائرة أو الحلقة العقيدية مع الجناح الأول (٤٣ - ٤٥) يأمر أيضا بالتوجه إلى الدين ، ثم تحدد الآيات النتائج التى تترتب على الإلتزام بهذا الأمر ، وهى نتائج فى الدرجة الأولى أخروية ، وفيها ما يمكن أن يكون فى الدنيا .

نحاول أن نتعرف على الرسالة التى يعطيها هذا الإطار والتى توجه لمن يتلقى التشريعات العاملة على الربا ، إنها رسالة محددة وواضحة هي أن من يلتزم بالأوامر التى جاءت فى الإطار العقيدى ، الذى يؤمن بالثواب والعقاب المتضمن فى هذا الإطار هذاالشخص الذى يكون على هذا النحو عندما يتلقى التشريعات العاملة على الربا يكون إيمانه بها يقينيا وبأن الخير هو فى الإلتزام بها ويصبح هذا كله من المسلمات .

الربا قضية معقدة بسبب التدافع فيها بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وبسبب البعد التارخى وأيضا بسبب غوايات القوة فيها ، لهذا التعقيد وغيره فى موضوع الربا احتاج الأمر لتربية عقيدية قوية بحيث تقود هذه التربية إلى أن يسلم المرء نفسه لله إسلاما كاملا لأنه سبحانه يعرف ما يصلح خلقه .

٢- الإطار الثاني هو إطار عقيدى اقتصادى (٣٣ - ٣٧ و٤١ - ٤٢) . هدف الإطار العقيدى البحت السابق هوالتربية العقيدية ثم يجئ الإطار الثانى وهدفه التربية العقيدية الاقتصادية . لهذا الإطار جناحان جناح سابق على آية الربا وجناح تال لها. عنصر التربية الاقتصادية المغلفة بعناصر عقيدية فى الجناح السابق علي آية الربا يربى من يتلقى التشريع العامل على الربا على أمرين اقتصاديين .

الأمر الأول : هو اعداد النفس السوية التى تتلقى الأحداث الاقتصادية بانفعال طبيعى يتفق مع الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها .

الأمرالثانى : هو تربية من يتلقى التشريع العامل على الربا بأن كل أمور الاقتصاد هى من الله سبحانه وتعالى ، وما دامت أمور الاقتصاد كلها من الله فإنه سبحانه وتعالى له الحق فى تنظيمها بتشريعات صادرة منه بل هو صاحب الحق الوحيد والمطلق فى ذلك .

الجناح الاقتصادى العقيدى التالي لآية الربا وهو الجناح المتمم للإطار الثانى موضوعه هو الاخبار عن الفساد الذى عم الكون كله . الارتباط بين آية الربا وآيات هذا الجناح شديد الوضوح إن التعامل بالربا شكل من أشكال الفساد ، فيجئ هذا الجناح للإطار العقيدى الاقتصادي مخبرا عن الفساد بصفة عامة ومبينا سببه وهو الإنسان نفسه ، بل تخبر الآية (٤١) أن الفساد مع أنه من صنع الإنسان إلا أنه يمثل عقوبة ومؤاخذة له .

ثم تجئ الآية الثانية فى الجناح الاقتصادى العقيدى التالى وهى الآية (٤٢) تأمر الإنسان بالسير فى الأرض دارسا أحوال الأمم التى انحرفت عن المنهج الإلهى الصحيح فى الاقتصاد وفى غيره ، انحرفت بالتعامل بالربا وبغيره وعاقبة هذه الأمم مسجلة فى آثارهم المكتوبة والمرئية .

فى هذا الإطار الثانى جانب يجب ابرازه بوضوح وذلك لأهمية دلالته . يمكن القول إن الجناح السابق على آية الربا يعمل على الفرد ، أى أن الوحدة التى يخاطبها هى الفرد بينما الجناح التالى لآية الربا يعمل علي المجتمع كله ، أى أن الوحدة موضوع الخطاب هى المجتمع . مجئ السياق القرآنى علي هذا النحو هو قمة الإعجاز بعينه فالسياق يجئ متضمنا الوحدات المحتملة : الفرد والمجتمع ، وأيضا يجئ السياق المحيط بآية الربا وهو يتضمن مخاطبة للوحدات التي توجه إليها التشريعات العاملة على الربا ، وهى الفرد والمجتمع .

٣- الإطار الثالث وهو الإطار المجاور مباشرة لآية الربا موضوعه التربية الاقتصادية ومغلفة أيضا بعناصر عقيدية . يحتاج الأمر إلى مقابلة بين الإطار الثاني والإطار الثالث . يمكن القول إن العنصر الإقتصادي فى الإطار الثانى يحيل إلى حالات سلبية تتمثل فى الإنسان الذى لا يتفاعل تفاعل صحيحا مع الأحداث الاقتصادية سلبيها وإيجابيها وكذلك الفساد فى الأرض أما الإطار المجاور لآية الربا فإنة يحيل إلى حالات اقتصادية إيجابية تتمثل فى الإنفاق التكافلى وخلق الله للعالم وللأرزاق .

الربا عنصر سلبي وسلبيته فى الاقتصاد وفى غيره . هذه السلبية فى الربا قابلها القرآن الكريم بإطار مجاور مباشرة وموضوعات هذا الإطار ايجابية . إن مجئ السياق

على هذا النحو يمثل قمة الإعجاز وهو ليس اعجازا لغويا فحسب وإنما بجانب الإعجاز اللغوى فإنه اعجاز موضوعى .

التحليل الرأسى المتعمق للإطارالثالث المجاور مباشرة لآية الربا يظهر عناصر أخرى فى المنظومة المعرفية لآية الربا فى سورة الروم . إن هذا الإطار مثل غيره من الأطر التى نوقشت له جناحان جناح سابق على آية الربا وجناح تال لها .

موضوع الجناح السابق على آية الربا هو الانفاق التكافلى ويمكن القول أن الانفاق التكافلي الذى يمثل التربية الصحيحة للتفاعل الايجابى مع المجتمع هو اكثر الأمور ملاءمة لتربية الفرد الذى يخاطب بالتشريع العامل على الربا ، ذلك أن المصلحة الشخصية فى الربا واضحة فيجئ السياق القرآنى على نحو يربى الفرد على اعتبار مصلحة المجتمع أولا ، فإذا خاطبه القرآن بعد ذلك بالتنفير من الربا فإن الفطرة الصحيحة تجعل متلقى هذا الخطاب يستجيب .

موضوع الجناح التالى لآية الربا هو خلق الله للعالم وقد ذكرت الأرزاق بصفة خاصة . مجئ السياق على هذا النحو هو الإعجاز بعينه . إن التشريع العامل على الربا هو في ظاهره تدخل فى الملكية الخاصة والحرية الإقتصادية لذلك لازم أن تتلو آية الربا آية تعمل على تربية الفرد على أن الله الذى يتدخل بهذا التشريع هو الخالق للإنسان ولما فى يده وبهذا ترضى النفس الإنسانية بهذا التدخل وتستجيب لمقتضياته .

إذا حاولنا أن نتفهم الإطارمن حيث الوحدات التي يعمل عليها فإنه يمكن القول إن جناح هذا الإطارالسابق على آية الربا يخاطب الفرد فوحدته الفرد ، أما الجناح التالى لآية الربا فإن وحدته المجتمع . الإعجاز فى هذه المنظمة القرآنية متعدد . إن الإطار المجاور مباشرة لآية الربا خاطب الوحدات المكنة ؛ الفرد والمجتمع . والمنظومة على هذه النحو شكل من أشكال الاعجاز ، وكذلك فإن هناك مماثلة وانسجام بين الإطار الثالث والإطار الثانى من حيث الوحدات التى يعمل عليها كل من الإطارين . ومجئ المنظومة القرآنية على هذا النحو هو أيضا شكل من اشكال الإعجاز .

نري أن نختم المناقشة عن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة الروم بالفكرة التالية : إن هذه المنظومة يظهر فيها خصائص القرآن المكى ، حيث العنصر العقيدى هو محور الأرتكاز فى كل المنظومة . وهذا الأمر يمثل إضافة جديدة للاعجاز القرآنى فى هذه المنظومة .

المبحث الثانى
المنظومة المعرفية لآيات الربا
سورة آل عمران

الفرع الأول : السياق الداخلي لآيات الربا – آل عمران

الفرع الثانى : الإطار المحيط بآيات الربا (إطار عقيدي حربي)– آل عمران

الفرع الثالث : المنظومة المعرفية لإطار آيات الربا – آل عمران

الفرع الرابع : المنظومة المعرفية الكاملة لآيات الربا – آل عمران

مقدمة

جاء ذكر الربا فى سورة آل عمران فى الآية (١٣٠) إلا أنه لا يمكن أن يسلم القول بأن أمر الربا فى هذه السورة مقصور على هذه الآية وحدها . ذلك أن مراجعة الآيات التالية لهذه الآية يبين أنها مربوطة إلى موضوع الربا ، يتمثل الربط فى المتعلقات بالربا من حيث الموضوعات والجزاء فى الدنيا والآخرة .القول الذى يمكن أن يسلم ويدافع عنه بشأن تحديد آيات الربا فى هذه السورة أنه جاء فى الآيات من ١٣٠ إلى ١٣٨ .

بناء على المنهج الذى نطبقه فإن دراسة السياق الداخلى لآيات الربا تتناول الآيات ١٣٠ - ١٣٨ بشأن تحديد الإطار الذى جاءت فيه آيات الربا فإن تحليل الآيات السابقة يبين أن الآيات من ١٢١ إلى ١٢٩ موضوعها غزوة بدر ، هذه الآيات تمثل وحدة واحدة لذلك يقترح أن تعتبر جناح الإطار السابق على آيات الربا . وتدرس تحت هذا العنوان . فى الآيات السابقة على الآية ١٢١ نجد الآيات من ١١٨ إلى ١٢٠ ، هذه الآيات فى حقيقة الأمر تعتبر بمثابة تمهيد لموضوع غزوة بدر ومتعلقة بها ، لهذا يمكن القول أن الإطار السابق على آيات الربا يبدأ بالآية ١١٨ وينتهى بالآية ١٢٩ .

بشأن تحديد الجناح التالى للإطار المحيط بآيات الربا نجد أن الآيات من ١٣٩ إلى ١٧٥ موضوعها غزوة أحد وكل ما يتعلق بها . هذه الآيات مجتمعة تمثل وحدة واحدة ، لذلك يمكن القول أنها تمثل كلها الجناح التالى للإطار المحيط بآيات الربا .

يتبين أن الإطار المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران بجناحيه السابق والتالى موضوعه الحرب ، غزوة بدر وغزوة أحد . لذلك يعتبر أنه إطار حربى . وصف الإطار بأنه حربى يعتبر وصفا جزئيا . ذلك أن مراجعة آيات الإطار تبين أن الحديث عن غزوة بدر وغزوة أحد عرض فى سياق عقيدى كامل . لذلك تكون التسمية الأكثر دقة للإطار أنه إطار عقيدى حربى .

للمقابلة مع سورة الروم فإن الإطار المحيط بها عقيدى اقتصادى وفى سورة آل عمران عقيدى حربى .

الفرع الأول : السياق الداخلى لآيات الربا - آل عمران

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

هذه آيات السياق الداخلي للربا ، نبدأ فى دراستها لبيان بنائها المعرفى .

أولاً الموضوعات التي يربطها القرآن الكريم بالربا :

نحاول أن نحلل آيات الربا للتعرف على الموضوعات التى ربطت بالربا كموضوع له أبعاده الاقتصادية والاجتماعية ، بل وله ارتباطاته بأمور عقيدية .

١- اعتبرت الآية ١٣٠ الالتزام بالتشريع الذى يمنع الربا (أضعافا مضاعفة) من قبيل تقوى الله الذى يقود إلى الفلاح . يستنتج من الآية نتيجتان :

أ - تمثل الأمور الاقتصادية عناصر معتبرة فى تقوى الله .

ب - الفلاح المترتب على الإلتزام بالتشريعات العاملة على الربا هو فلاح عام يشمل الفلاح فى الدنيا والآخرة . فلاح الدنيا يشمل الأمور المادية مثل النمو الاقتصادى ، والأمور المعنوية مثل مجتمع يخلو من الصراع والحقد الطبقى . وغير ذلك من صور الفلاح .

٢- الآية ١٣١ تدخل إلى الربا وتربط به أمر الآخرة . بهذا يستنتج أن أمور الاقتصاد لها ارتباطاتها بالآخرة . بالعبارة التى شاعت فى الكتابات عن الاقتصاد الإسلامى : أن الأمورالاقتصادية لها جزاء دنيوى وجزاء أخروى .

٣- ترتب الآية ١٣٢ أمرين على الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا :

أ - هذا الالتزام هو شكل من أشكال طاعة الله ورسوله .

ب- من نتائج هذا الالتزام الرحمة للملتزمين به ؛ الرحمة بمعناها الواسع ، ويمكن أن تكون الرحمة الاقتصادية فى صورة زيادة الرزق (الدخل) وهذه رحمة مادية ، كما يمكن أن تكون فى صورة بركة فى الرزق وهذه رحمة معنوية .

٤ - تخلص الآية ١٣٣ بالكامل لربط الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا بالآخرة. ترد فى الآية مرغبات ومحفزات قوية لاعتبار الآخرة فى الربا . والربا أمر يظهر فيه بوضوح العنصر الاقتصادى .

٥- أفاد تذييل الآية ١٣٣ بأن الجنة أعدت للمتقين وكانت الآية ١٣٠ قد أفادت بأن الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا هو من قبيل تقوى الله . إذن فإن الالتزام بما يشرع عن الربا هو سبب لجعل صاحبه من المتقين .

ثانياً : صفات الملتزمين بالتشريعات العاملة علي الربا :

الآيتان ١٣٤ - ١٣٥ تذكر صفات المتقين والجزاء المعد لهم . لما كان الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا يجعل الملتزم به من المتقين ، لذلك فإن صفات المتقين المذكورة تكون هى أيضا صفات للملتزمين بالتشريعات العاملة على الربا . هذه الصفات هى :

أ - الإنفاق فى السراء والضراء .

ب - كظم الغيظ .

جـ - العفو عن الناس .

د - الإحسان .

هـ - مداومة ذكر الله .

هذه الصفات بصريح الآيتين هى صفات للملتزمين بالتشريعات العاملة على الربا . يمكن أن تقسم هذه الصفات إلى مجموعتين : المجموعة الأولى (أ ، ب ، جـ) تنظم عناصر فى علاقة الفرد بالمجتمع . يمكن القول أن صفات هذه المجموعة تجعل الفرد يعتبر مصلحة المجتمع بجانب أنه من المسلم به أنه يعتبر مصلحته . بل إنه بناء على هذه الصفات يمكن القول أن مصلحة المجتمع لها أولوية على المصلحة الفردية أو الشخصية . يمكن تطوير هذا بحيث نستنتج أن الإلتزام بالتشريعات العاملة على الربا هو بمثابة اعتبار مصلحة المجتمع قبل اعتبار المصلحة الشخصية أو على الأقل معها .

المجموعة الثانية من الصفات (د ، هـ) تنظم مباشرة عناصر فى علاقة الفرد بربه. ومع أنها تقع فى هذا الجانب إلا أن لها أيضا مردودها على علاقة الفرد بمجتمعه .

ثالثاً : العبرة التاريخية في موضوع الربا :

١- تحيل الآية ١٣٧ إلى دراسة تاريخ الأقوام السابقة . هذه الدراسة التاريخية تكشف عن الدور الذى ترتب على الربا فى الأمم السابقة . وهو دور تخريبى أو تدميرى، ومن الطبيعى أنها تكشف أيضا عن الأمور العقيدية .

٢- تمثل الآية ١٣٨ الوعد والوعيد ، الإنذار والبشارة . وهى بهذا تعتبر آية خاتمة لآيات الربا . هذه الآية الخاتمة أوضحت ثلاثة أمور :

أ – ما ذكر عن الربا وكل ما يتعلق به هو بيان . وقد جاءت كلمة « بيان » مطلقة غير مقيدة بشئ .

ب – ماذكر عن الربا فيه « هدى » فالالتزام بالتشريعات العاملة على الربا « يهدى» هدى مطلق وغير مقيد .

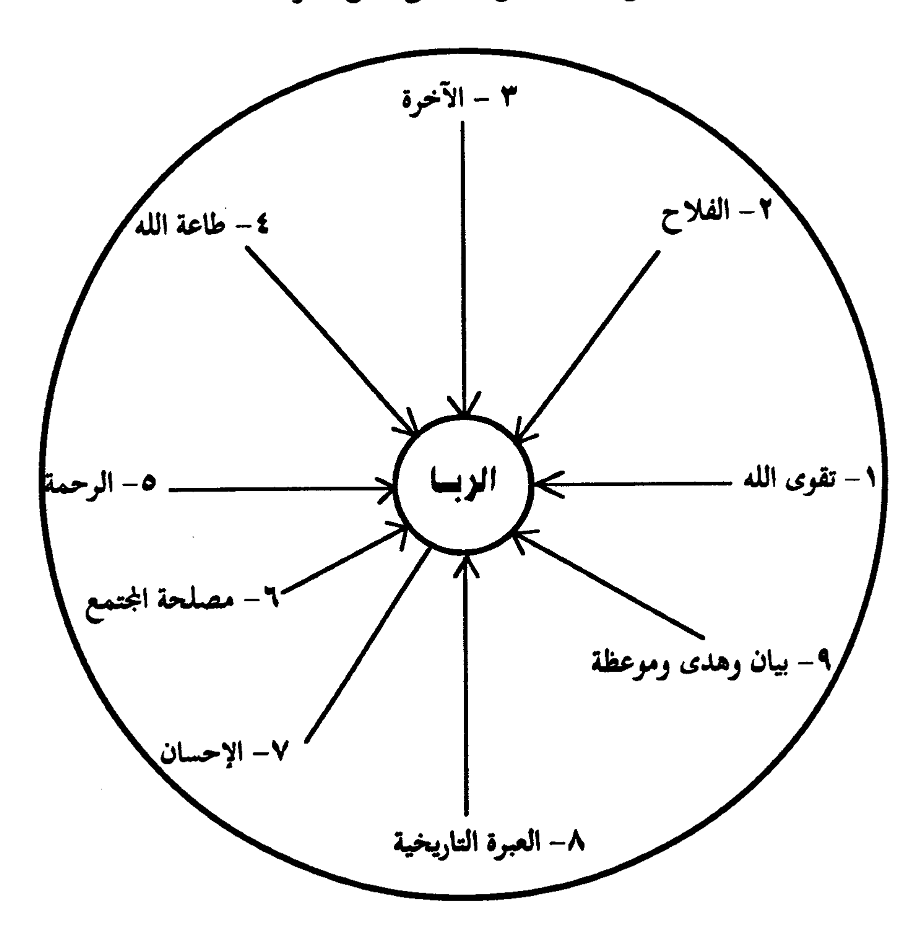
جـ – ما ذكر عن الربا فيه « موعظة » وتظهر الموعظة خاصة عندما يدرس تاريخ الأقوام السابقة .

رابعاً : التصوير البياني لعناصر آيات السياق الداخلي :

نقترح تجسيد عناصر السياق الداخلى لآيات الربا فى لوحة بيانية ، وذلك حتى تظهر المنظومة المعرفية لهذه الآيات

اللوحة البيانية (١١)

التوجيهات القرآنية العاملة علي التنفير من الربا
فى آيات السياق الداخلى - آل عمران



اللوحة البيانية (١١) تجسد المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لآيات الربا فى سورة آل عمران . تظهر اللوحة أن التوجيهات الإسلامية العاملة على الربا فى هذه الآيات تبلغ تسعة . نحاول بناء على اللوحة أن نعمق رأسيا فى تحليل هذه التوجيهات مع محاولة جمعها فى مجموعات . وبحيث يعمل هذا التجميع فى مجموعات على إظهار الارتباطات مع الربا ، وكذلك ارتباطات المجموعات ببعضها .

١ - المجموعة الأولي : ربط الفرد بالعقيدة : العناصر ١ ، ٤ ، ٧

تعنى هذه المجموعة أن من يلتزم بما جاء به القرآن الكريم عن الربا هو فى حقيقة الأمر يتقى الله ويطيعه وفى ذكر دائم له . إذا أردنا أن نحدد طبيعة هذه المجموعة نجد أنها مجموعة لها خاصية عقيدية .

٢ - المجموعة الثانية : ربط الفرد بالمجتمع : العنصر ٦

العناصر التى جاء بها القرآن عن هذه المجموعة تتمثل فى الإنفاق التكافلى وكظم الغيظ والعفو عن الناس . يمكن القول أن هذه المجموعة تتضمن نوعين من العوامل التى تربط الفرد بمجتمعه ؛ العامل الأول مادى وهو الإنفاق ، والعامل الثانى معنوى وهو كظم الغيظ والعفو . لهذا يمكن القول أن العوامل التى ذكرت لربط الفرد بمجتمعه واعتباره لمصلحة المجتمع أعطت نماذج لنوعى العوامل التى يمكن أن تكون فاعلة على هذا الربط وهى العوامل المادية والمعنوية .

٣ - المجموعة الثالثة : اعتبار المصلحة الخاصة : العنصران ٢ ، ٥

ربط الفلاح والرحمة بالالتزام بما قاله القرآن الكريم عن الربا . الفلاح يمكن أن يكون معناه القريب المباشر له مدلول اقتصادى مادى . والرحمة يمكن أن يكون معناها القريب المباشر لها مدلول اقتصادى معنوى (البركة) . هكذا يكون القرآن الكريم اعتبر أو أخبر أن الألتزام بما جاء به عن الربا فيه فلاح اقتصادى : نمو أو غيره ، ، ورحمة اقتصادية : بركة أو غيرها . ويعود الأمران بطريقة مباشرة على الفرد ، وليس هناك ما يمنع أن يعودا على المجتمع .

٤ - المجموعة الرابعة : اعتبار العبرة التاريخية : العنصر ٨

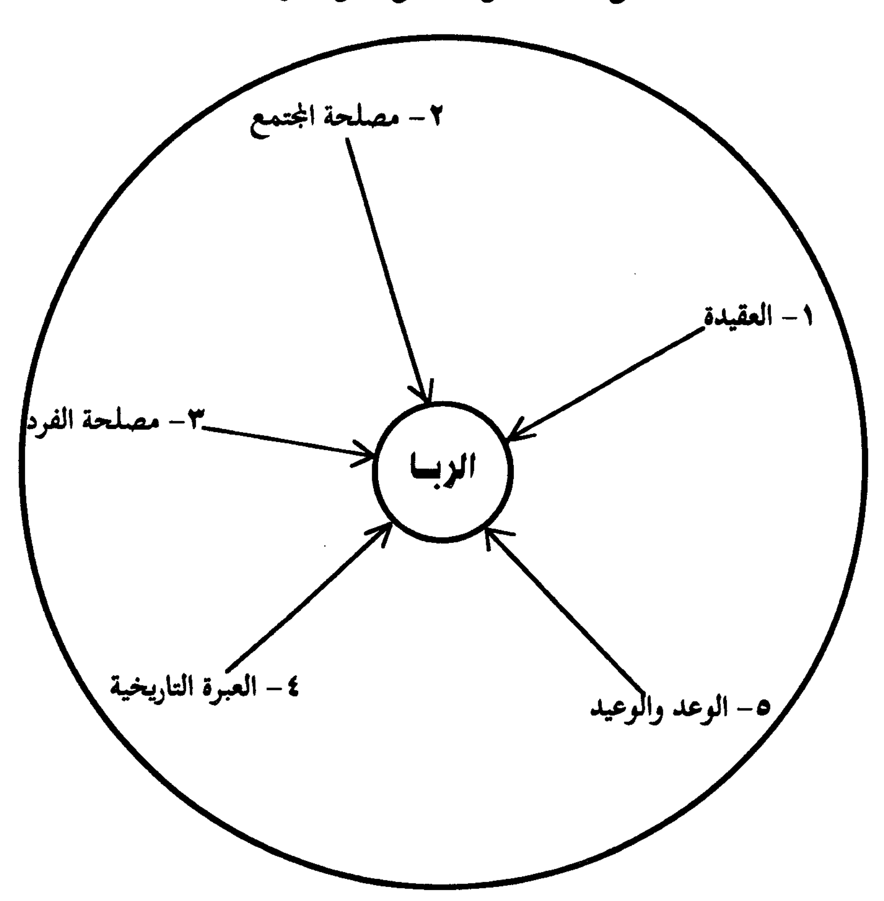
القرآن الكريم أدخل العبرة التاريخية بشأن أمر الربا . من هذا يمكن الاستنتاج بأن القرآن الكريم استخدم الواقعة التاريخية . الأمر يمكن أن يكون له دلالته وارتباطه بعملية الاستدلال ، كما يمكن أن يكون له دلالته وارتباطه بمناهج البحث .

٥ - المجموعة الخامسة : الوعد والوعيد : العنصر ٩

حتى يعطى التشريع ثمرته ويجئ معه ما يحفز إليه وعدا أو وعيدا جاءت الآية (١٣٨) متضمنة عناصر ثلاثة تحمل وعدا ظاهرا ووعيدا كامنا . مجيئها على هذا النحو يقوى ما اقترح بشأن جعل آيات السياق الداخلى تنتهى عند هذه الآية .

بعد هذا التجميع للعناصر نقترح أن نعيد عرض اللوحة البيانية (١١) فى مجموعات .

اللوحة البيانية (١٢)
مجموعات التوجيهات القرآنية العاملة على الربا
فى آيات السياق الداخلى - آل عمران



اللوحة البيانية (١٢) تجسد بوضوح المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لآيات الربا .
هذه اللوحة تيسر الاستنتاج التالى :

إن آيات الربا التى جاءت فى السياق الداخلى من الآية ١٣٠ إلى الآية ١٣٨ قد ادخلت فى الربا كل العناصر التى يمكن أن يكون لها ارتباطها بهذا الموضوع . مجئ الأمر على هذا النحو يمثل أحد أوجه الاعجاز المعرفى للقرآن الكريم وهو إعجاز لغوى وإعجاز موضوعى .

يمكن أن تعرض النتيجة السابقة من وجه آخر على النحو التالى :

القرآن الكريم ربط الربا بعناصر أو بموضوعات بحيث أن النظر فى هذه العناصر أوالموضوعات يقود إلى نتيجة مؤكدة بل قد تكون هى النتيجة الوحيدة وهى : أن اعتبار هذه العناصر أو الموضوعات يجعل الفرد المتلقى للتشريع العامل على الربا يسلم تسليما عقليا ووجدانيا ، تسليما من زاوية اعتبار مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع بأن ما جاء به القرآن الكريم عن الربا هو الحق . مجئ الاستدلال على هذا النحو يمثل وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم . وهو إعجاز لغوى ، وإعجاز موضوعى ، وإعجاز استدلالى .

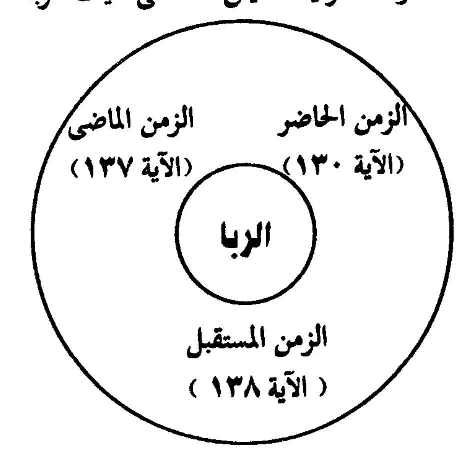
يمكن أن تعرض النتيجة السابقة بطريقة أخرى على النحو التالى :

الآيات التى جاءت عن الربا والتى اعتبرت آيات السياق الداخلى من الآية ١٣٠ إلى الآية ١٣٨ جاءت على نحو يستوعب كل الأزمنة الممكنة : الزمن الحاضر والزمن الماضى والزمن المقبل ؛ أى الماضى والحاضر والمستقبل . بناء الآيات بحيث تجئ مستوعبة الأزمنة الممكنة على هذا النحو يعتبر وجها لإعجاز القرآن الكريم ، وهو إعجاز لغوى وإعجاز موضوعى وإعجاز استيعاب الأزمنة المحتملة .

يقترح أن تعرض بيانيا الصياغة الثالثة للنتيجة ، ويظهر هذا فى اللوحة البيانية (١٣) التعليق الذى نرى إضافته فى هذا السياق أن الأزمنة الثلاثة جاء كل منها فى آية ؛ الزمن الحاضر : الآية ١٣٠ ، الماضى الآية ١٣٧ ، المستقبل الآية ١٣٨ ، وبين آية الحاضر وآية الماضى جاءت كل العناصر التى ذكرت فى هذه الفقرة .

اللوحة البيانية (١٣)

الأزمنة المعتبرة فى المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لآيات الربا – آل عمران



الفرع الثاني : الإطار المحيط بآيات الربا - آل عمران : إطار عقيدى حربى

ذكر فى مقدمة هذا المبحث أن موضوع الآيات السابقة على آيات الربا هو غزوة بدر وأن موضوع الآيات التالية هو غزوة أحد واعتبرنا أن هذين الموضوعين يمثلان الإطار الذى أحاط بآيات الربا . نبدأ فى دراسة تفصيلية عن هذا الإطار بجناحيه السابق واللاحق وذلك لاستكمال التعرف على المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة آل عمران.

أولا: الجناح السابق لإطار آيات الربا في سورة آل عمران : غـــــزوة بدر (عقيدى حربى)

يقول الله سبحانه وتعالى :

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

هذه الآيات تحكى قصة غزوة بدر ، من المعروف أنها الغزوة الأولى فى تاريخ الدولة الإسلامية . نحاول التعمق فى دراسة الآيات لاستنباط منظومتها المعرفية لتوظيفها فى التعرف على المنظومة المعرفية لآيات الربا فى السورة محل الدراسة ، وهى سورة آل عمران .

١- توضح الآية الأولى (١٢١) إجراءات النبى صلى الله عليه وسلم لتجهيز المسلمين للمعركة . وتختم الآية بصفتين من صفات الله سبحانه وتعالى وهما السميع العليم . الصفتان معا يدلان على الرقابة الإلهية .

٢- الآية الثانية (١٢٢) تصف أحوال المسلمين من حيث الإقدام الإحجام . تضمنت الآية توجيهين ، الأول ولاية الله والثانى أمر المؤمنين بالتوكل على الله . الأمران معا يدلان على أن الأمور كلها بيد الله .

٣- تخبرالآية الثالثة (١٢٣) عن نتيجة المعركة فى غزوة بدر . تبين الآية أن النصر بيد الله وليس موقوفا على العوامل التى يراها البشر وحدها فاعلة . ثم تذيل الآية بطلب الشكر . الآية بهذا المعنى تجعل المؤمن يتعامل مع الأحداث على أساس وجود قوى إلهية غيبية وراء تصريفها . ما دام أن تصريف الأمور ليس موقوفا على العوامل الفاعلة فى يد البشر لهذا وجب الشكر لمن بيده العوامل الفاعلة حقيقة وهو الله سبحانه وتعالى .

٤- تبين الآيات (١٢٤ - ١٢٦) القوى غيرالمرئية والتى هى خارج العوامل التى فى يد البشر ، هذه القوى هى التى حسمت مصير المعركة وحددت نتيجتها . هذه الآيات معا تعطى توجيهين . الأول أن الصبر والتقوى عوامل فاعلة فى النصر . والثانى أن الله يجرى الأمور لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى.

٥- تبين الآيتان (١٢٨ ، ١٢٩) أن الأمور كلها ، أى الأحداث ، بيد الله سبحانه وتعالى ، وأن الملك كله له عز وجل .

هذه هى الآيات المتعلقة بغزوة بدر ، وهى الآيات التى سبقت مباشرة آيات الربا فى سورة آل عمران . نحاول فيما يلى أن نربط بين التوجيهات الواردة فى هذه الآيات وبين موضوع الربا الذى جاء تاليا لهذه الآيات .

١ - الربا موضوع فيه خفاء والصحابة أنفسهم رضى الله عنهم قد تنبهوا لهذا الخفاء . أمر على هذا النحو لا تكون الرقابة البشرية عليه فعالة ، إنما يتلازم معها الرقابة الإلهية . لذلك جاء التوجيه الأول فى موضوع الآيات الذى سبق موضوع الربا يتعلق بالرقابة الإلهية . النتيجة التى تؤخذ من هذا التوجيه أن الرقابة الإلهية هى العامل الحاسم فى الربا .

٢ - الربا من الموضوعات التى قد يبدو فيها تضارب بين المصالح ؛ المصالح الخاصة بعضها مع بعض ؛ المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، بل حتى تضارب مصالح على مستوى الدول . التوجيه الثانى فى الآيات التى سبقت الربا يجعل ولاية الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى . تشريع أن الولاية لله يعكس نفسه فى قبول التشريعات التى تجئ منه ؛ سواء تتعلق بالربا أو بغيره . يمكن القول أيضا أن الآيات التى سبقت آيات الربا وتمثل إطارا لها جا فيها ما يقرر ولاية الله على كل الأمور ومنها أمر الربا .

٣- يتقرر في التوجيه الثالث أن نتائج الأعمال ليست متوقفة على العوامل الموجودة في يد البشر وحدهم وإنما بجانبها عوامل لا يرونها يسخرها الله ويجريها حسب مشيئته . الربا قد يبدو للبعض أنه وسيلة كسب لهذا جاء توجيه قبل آيات الربا يربى المؤمن على أن نتائج الأعمال كلها بيد الله ويدخل في هذه الأعمال الربا ، مادام الأمر على هذا النحو فإن ابتغاء الكسب ينبغي أن يكون باتخاذ عوامل وفق التشريعات الإلهية لتعطى هذه العوامل نتائجها بإرادة الله سبحانه وتعالى .

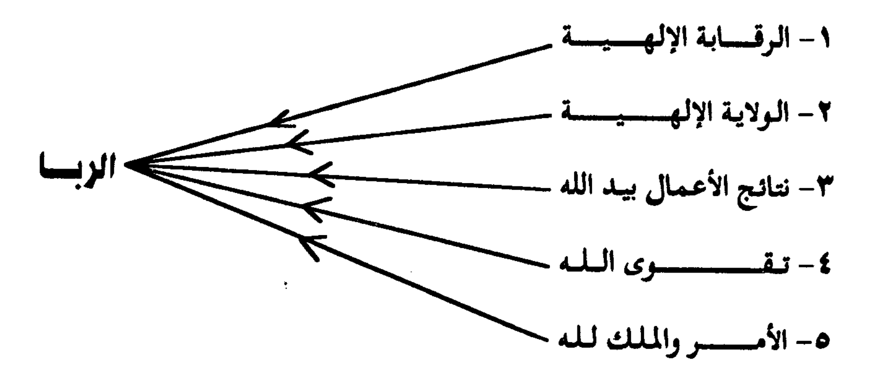
٤- يتعلق التوجيه الرابع بالتقوى . لقد جاءت في القرآن الكريم آيات تربط ربطا مباشرا بين التقوى والأمور الاقتصادية . التوجيه الرابع الذى معنا الآن وهو التقوى يعمل على نفس ما تعمل عليه هذه الآيات . كنتيجة فإن التوجيه يجعل من العوامل الفاعلة على الربا تقوى الله .

٥- التوجيه الخامس والأخير والذى يسبق مباشرة آيات الربا يجعل الأمر والملك كله بيد الله . يعنى هذا التوجيه أن المؤمن الذى يتلقى الآيات العاملة على الربا يكون قد تربى مسبقا على أن الأمر كله والملك كله لله سبحانه وتعالى . كنتيجة فإن مجئ تشريع يعمل على الربا يكون ممن بيده الأمر والملك .

نحاول أن نعرض هذه التوجيهات فى لوحة بيانية (١٤) وذلك لتظهر بالوضوح الذى ينبغى أن تكون عليه وكذلك لتظهر الارتباطات بينها .

اللوحة (١٤)

التوجيهات القرآنية العاملة علي الربا في الجناح السابق
للإطار المحيط بآيات الربا - آل عمران



ثانيا الجناح التالي لإطار آيات الربا في سورة آل عمران : غـــزوة أحد (عقيدى حربى)

يقول الله سبحانه وتعالى :

وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا

ما ماتُوا وما قُتِلُوا ليجعلَ اللَّهُ ذلكَ حسرةً في قُلُوبِهِمْ واللَّهُ يُحيي ويُميتُ واللَّهُ بما تعملُون بصيرٌ ﴿١٥٦﴾ ولئن قُتِلْتُمْ في سبيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لمغفرةٌ مِّن اللَّهِ ورحمةٌ خيرٌ مِّمَّا يجمعُون ﴿١٥٧﴾ ولئن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُون ﴿١٥٨﴾ فبما رحمةٍ مِّن اللَّهِ لِنتَ لهُمْ ولَوْ كُنتَ فظًّا غليظَ الْقلْبِ لانفضُّوا منْ حوْلِكَ فاعْفُ عنْهُمْ واسْتغْفِرْ لهُمْ وشاوِرْهُمْ في الأَمْرِ فإِذا عزمْتَ فتوكَّلْ على اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمتوكِّلين ﴿١٥٩﴾ إِن ينصُرْكُمُ اللَّهُ فلا غالِبَ لكُمْ وإِن يخْذُلْكُمْ فمن ذا الَّذي ينصُرُكُم مِّنْ بعْدِهِ وعلَى اللَّهِ فلْيتوكَّلِ الْمُؤْمِنُون ﴿١٦٠﴾ وما كانَ لنبيٍّ أَن يغُلَّ ومن يغْلُلْ يأْتِ بما غلَّ يوْمَ الْقِيامةِ ثُمَّ تُوفَّىٰ كُلُّ نفْسٍ مَّا كسبتْ وهُمْ لا يُظْلَمُون ﴿١٦١﴾ أَفمنِ اتَّبعَ رِضْوانَ اللَّهِ كمنْ باءَ بسخطٍ مِّن اللَّهِ ومأْواهُ جهنَّمُ وبِئْس الْمصيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ درجاتٌ عند اللَّهِ واللَّهُ بصيرٌ بما يعْملُون ﴿١٦٣﴾ لقدْ منَّ اللَّهُ على الْمُؤْمِنين إِذْ بعث فيهِمْ رسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يتْلُو عليْهِمْ آياتِهِ ويُزكِّيهِمْ ويُعلِّمُهُمُ الْكتاب والْحِكْمة وإِن كانُوا من قبْلُ لفي ضلالٍ مُّبين ﴿١٦٤﴾ أَو لمَّا أَصابتْكُم مُّصيبةٌ قدْ أَصبْتُم مِّثْليْها قُلْتُمْ أَنَّىٰ هذا قُلْ هُو منْ عند أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ علَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ ﴿١٦٥﴾ وما أَصابكُمْ يوْمَ الْتقى الْجمْعانِ فبِإِذْنِ اللَّهِ ولِيعْلمَ الْمُؤْمِنين ﴿١٦٦﴾ ولِيعْلمَ الَّذين نافقُوا وقيل لهُمْ تعالوْا قاتِلُوا في سبيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفعُوا قالُوا لوْ نعْلمُ قِتالاً لاتَّبعْناكُمْ هُمْ للْكُفْرِ يوْمئِذٍ أَقْربُ منْهُمْ للإِيمانِ يقُولُون بأَفْواهِهِم مَّا ليْس في قُلُوبِهِمْ واللَّهُ أَعْلمُ بما يكْتُمُون ﴿١٦٧﴾ الَّذين قالُوا لإِخْوانِهِمْ وقعدُوا لوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فادْرءُوا عنْ أَنفُسِكُمُ الْموْت إِن كُنتُمْ صادِقين ﴿١٦٨﴾ ولا تحْسبنَّ الَّذين قُتِلُوا في سبيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بلْ أَحْياءٌ عند ربِّهِمْ يُرْزقُون ﴿١٦٩﴾ فرِحين بما آتاهُمُ اللَّهُ من فضْلِهِ ويسْتبْشِرُون بالَّذين لمْ يلْحقُوا بهِم مِّنْ خلْفِهِمْ أَلاَّ خوْفٌ عليْهِمْ ولا هُمْ يحْزنُون ﴿١٧٠﴾ يسْتبْشِرُون بنِعْمةٍ مِّن اللَّهِ وفضْلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْر الْمُؤْمِنين ﴿١٧١﴾ الَّذين اسْتجابُوا للَّهِ والرَّسُولِ من بعْدِ ما أَصابهُمُ الْقرْحُ للَّذين أَحْسنُوا منْهُمْ واتَّقوْا أَجْرٌ عظيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذين قال لهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاس قدْ جمعُوا لكُمْ فاخْشوْهُمْ فزادهُمْ إِيمانًا وقالُوا حسْبُنا اللَّهُ ونِعْم الْوكيلُ ﴿١٧٣﴾ فانقلبُوا بنِعْمةٍ مِّن اللَّهِ وفضْلٍ لَّمْ يمْسسْهُمْ سُوءٌ واتَّبعُوا رِضْوان اللَّهِ واللَّهُ ذُو فضْلٍ عظيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخوِّفُ أَوْلياءهُ فلا تخافُوهُمْ وخافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنين ﴿١٧٥﴾

تحكى هذه الآيات قصة غزوة أحد . يلاحظ أن هذ الغزوة استغرقت آيات كثيرة ، ذلك أنها مثلت وقفة جادة وحاسمة مع المجتمع الإسلامى الناشئ لأن أمرا قد خولف، وكانت النتيجة محاسبة شديدة من الله . قضى الله بهذا الدرس للأمة وهى فى بداية تكوينها لمجتمعها حتى تنضبط أشد الانضباط تحت إمرة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولقد تحقق الانضباط والالتزام ، وأثمر الدولة الإسلامية التى نشر الله بها الإسلام .

مع غزوة أحد نحن أمام سبع وثلاثين آية تمثل فى نفسها منظومة معرفية متكاملة . هذه المنظومة المعرفية تمثل الجناح التالى فى الإطار الذى أحاط بآيات الربا . نحاول فيما يلى أن نحدد التوجيهات المتضمنة فى هذه الآيات وذلك لتوظيفها فى موضوع الربا .

١- تحدد الآية ١٣٩ الدرجة التى عليها الأمة الإسلامية وهى « الأعلون » ولكنها تضع لنيل هذه الدرجة شرطا وهو « إن كنتم مؤمنين » . الأمة تكون « الأعلى » فى الاقتصاد وفى غيره بشرط الإيمان .

الإطار الذى أحاط بآيات الربا يجعل الإيمان شرطا لأن تكون الأمة هى الأعلى بين الأمم . الربا قضية بالغة التعقيد قديما وحديثا . بسبب هذا فإن التوجيه الأول فى الآيات التالية لآيات الربا كان موضوعه الإيمان . هذا التوجيه يحدد المدخل للخطاب بشأن الربا . إن شرط التعامل الصحيح مع التشريعات العاملة على الربا هو الإيمان .

٢- موضوع الآيات ١٤٠ - ١٤٢ هو الاختبار والابتلاء . الملائمة بين هذا الموضوع وما حدث فى غزوة أحد شديدة القوة . موضوع الاختبار والابتلاء له ملاءمته أيضا مع موضوع الربا . الإحالة إلى واقع عالمنا المعاصر تبين درجة الابتلاء بالربا سواء على المستوى المحلى أو المستوى الدولى . باعتبار أن هذه الآيات جاءت ضمن الإطارالذى أحاط بالربا فإن الابتلاء يكون متوقعا فى أمر الربا . لكن نفس الآيات ترشد إلى توظيف هذا الابتلاء . إن الابتلاء هو الذى تصهر به النفوس فيظهر جلاء النفس المؤمنة، « وليمحص الله الذين آمنوا » . كذلك تتضمن الآيات محفزات قوية لتحمل الابتلاء « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» .

٣ - موضوع الآيات ١٤٣ - ١٤٨ هو تربية المؤمن على الانفعال النفسى السوى فى مواجهة حدث الموت . جاء فى هذا السياق عناصر يمكن توظيفها لتعمل مباشرة على الربا منها : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » . ومنها « فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » . إن هذين العنصرين يمكن توجيههما بحيث يكون لهما تعلقهما بموضوع الربا . التوجيه الذى يعطيه هذين العنصرين مع غيرهما فى الآيات المشار إليها هو أن الالتزام بالتشريعات الإلهية ومنها التشريعات العاملة على الربا تكون ثمرته فى الدنيا والآخرة . بعبارة أخرى إن التضحية بالربا لن تؤدى إلى خسارة دنيوية فى المال أو فى غيره ، بل إنها تؤدى إلى كسب دنيوى وأخروى .

٤- تتضمن الآيات ١٤٩ - ١٥١ توجيهات لكيفية تعامل المؤمنين مع أعدائهم . التوجيه الفاعل فى هذه الآيات هو ولاية الله سبحانه وتعالى . تحس هذه الولاية على نحو أخص فى حالة الحرب ، وغزوة أحد تطبيق عملى لها . باعتبار أن آيات غزوة أحد من الإطار الذى أحاط بآيات الربا لذلك يكون مقبولا مد ولاية الله إلى موضوع الربا . إن قضية ولاية الله فى أمر الربا تتجه مباشرة إلى الاتفاق على من له حق التشريع فى الملكية الخاصة ، فى ثروة الشخص ، فى وسائله فى الكسب ، فى تنظيم العلاقات التى ينشئها المال فى المجتمع . إن هذه كلها عناصر ترد عند مد ولاية الله تعالى إلى موضوع الربا .

٥ - تصف الآيات ١٥٢ - ١٦٠ أحداثا فى غزوة أحد ، بجانب وصفها للأحداث فإنها تتضمن توجيهات كثيرة سياسية وحربية واقتصادية ، بل وتتضمن قيما إيمانية . التوجيه الاقتصادى الذى نقترح مده إلى موضوع الربا بحيث يكون فاعلا عليه هو ما جاء فى قوله سبحانه « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » هذا التوجيه يحسم اختيار المسلم فى موضوع الربا . الاختيار يكون مع تشريع الله فهو سبحانه أعرف بما يحقق خيرى الدنيا والآخرة .

أشارت الآية ١٥٥ إلى الكسب . ولقد جاء فى سياق الحديث عن هذا الموضوع دورالشيطان فى الكسب غير المشروع . إن إغراء الشيطان فى الكسب غيرالمشروع يتصاحب معه إذلال من يقبل هذا الطريق فى الكسب الإحالة إلى الربا فى شأن الإذلال فى هذ المعاملة يؤيدها بوضوح الواقع المعاصر بل وما كان واقعا فى عصور سابقة . إن الرق كان شكلا من أشكال الإذلال عند التعامل بالربا قديما ، والاحتلال الأجنبى هو شكل معاصر للإذلال عن طريق استرقاق دولة بكاملها عند التعامل الربوى حديثا .

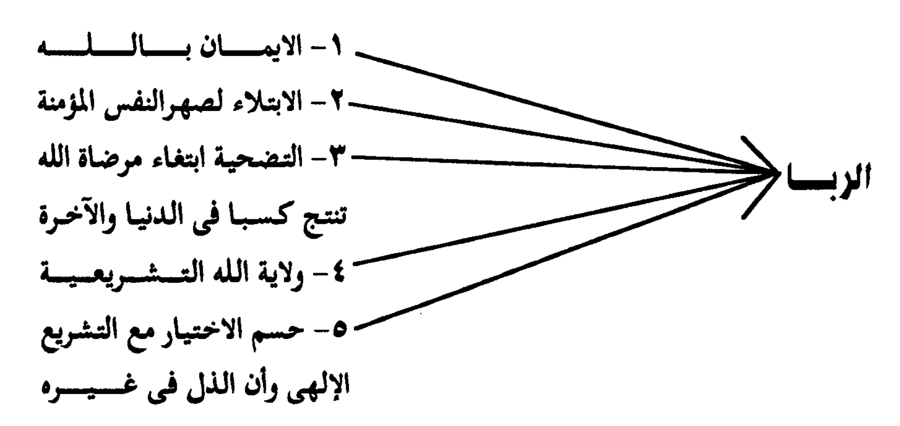
نقترح عرض العناصر التى ذكرت فى الجناح التالى للإطار المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران فى لوحة بيانية (١٥) وذلك لتظهر على نحو أوضح كما تظهر الإرتباطات بين عناصرها *

* الآيات ١٦١ - ١٧٥ لها ارتباطاتها أيضا بغزوة أحد ولكن المظهر الرئيسى لها أنها توجه لحالات عامة

اللوحة البيانية (١٥)

التوجيهات القرآنية العاملة على الربا

فى الجناح التالى للإطار المحيط بآيات الربا - آل عمران



الفرع الثالث : المنظومة المعرفية لإطار آيات الربا - آل عمران

عرض فى الصفحات السابقة الإطار المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران . وقد عرض الجناحان المكونان لهذا الإطار ؛ الجناح السابق والجناح التالى . نحاول فى هذه الفقرة جمع الجناحين معا ، وعمل مناقشة لهما معا كمكونين لإطار واحد ؛ أى أن المستهدف فى هذ الفقرة هو النظر إلى الجناحين كوحدة واحدة . نقترح مناقشة ذلك فى عنصرين ؛الأول يبحث فيه الموضوع العام فى الإطار ، والثانى يبحث فيه التوجيهات العاملة على الربا وهو الموضوع المحيط به الإطار بجناحيه .

أولا : الموضوع العام للإطار

تحليل الإطار المحيط بآيات الربا بجناحيه السابق والتالى يظهر المنظومة المعرفية لكل هذا الإطار ، وبالتالى يظهر الإعجاز القرآنى فى مجئ المنظومة على هذا النحو .

١- موضوع الجناح السابق للإطار غزوة بدر وموضوع الإطار اللاحق غزوة أحد . إن الحرب وبعبارة أخرى الجهاد للدفاع عن الإسلام هو الموضوع العام للإطار وجاء هذا الموضوع الحربى مغلفا بالكامل بعناصر عقيدية . العقل البشرى يقف مستسلما أمام مجئ النظم القرآنى على هذا النحو . وهذا هو معنى الإعجز فى القرآن الكريم . مجئ آيات عارضة لغزوة بدر وأن تقابلها آيات عارضة لغزوة أحد ثم ينطبق هذان الجناحان على آيات الربا هذا الأمر على هذا النحو هو الإعجاز فى المنظومة المعرفية الذى نستهدف إثباته بهذه الدراسة .

٢ - مجئ الإطار المحيط بآيات الربا بجناحين كلاهما يتحدث عن القتال للدفاع عن الإسلام هو إعجاز فى النظم المعرفى . أيضا فإن الترتيب بين الجناحين هو فى ذاته إعجاز فى النظم المعرفى . موضوع الجناح الأول غزوة بدر حيث النصر . وقد جاء النصر مكافأة للمسلمين لإتباعهم منهج الله . موضوع الجناح التالى غزوة أحد حيث واجه المسلمون درسا قاسيا كان ذلك بسبب مخالفتهم تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن السبق بالحديث عن النصر يخلق فى النفس تشوفا لاستمرار النصر ، فى اللحظة التى تفحت فيها النفوس لمداومة معايشة النصر يجئ الحديث عن الربا ، ثم يتم الانتقال سريعا إلى غزوة أحد ودروسها القاسية التى ترتبت على مخالفة المنهج ، ومخالفة المنهج كما وقعت فى غزوة أحد فإن فى هذا تلميحا صريحا ومباشرا لما يمكن أن يترتب على مخالفة المنهج فى أمر الربا .

الترتيب النظمى المعرفى لجناحى الإطار على النحو المبين فوق طاقة العقل البشرى. وهذا هو معنى إعجاز المنظومة المعرفية للقرآن الكريم فى آيات الربا .

٣ - إعجاز المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة آل عمران يظهر أكثر وعلى نحو

أعمق عندما نجمع بين هذه الآيات وبين آيات الربا فى سورة البقرة . الإطار المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران موضوعه الحرب . ثم تنزل بعد ذلك آيات الربا فى سورة البقرة فتخبر أن الربا سبب للحرب بل هو حرب فى ذاته .

النظم القرآنى على هذا النحو فى الربط بين الموضوع الواحد فى سور متعددة فوق طاقة العقل البشرى . هذا وجه من وجوه الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

زيادة فى تجسيد هذا المعنى وإبرازه وهو اكتشاف أن الارتباط والاتصال بين آيات الربا فى سورة آل عمران وسورة البقرة يتحقق ونحيل إلى موضوع الحرب وحده ، هذا الارتباط هوالذى نعتبره وجها للاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

ثانيا : التوجيهات العاملة علي الربا في الإطار

التعرف على التوجيهات العاملة على الربا فى الإطار المحيط بهذا الموضوع يجئ يجمع اللوحة البيانية (١٤) التى تبين التوجيهات العاملة على الربا فى الجناح السابق واللوحة البيانية (١٥) التى تبين التوجيهات فى الجناح التالى .

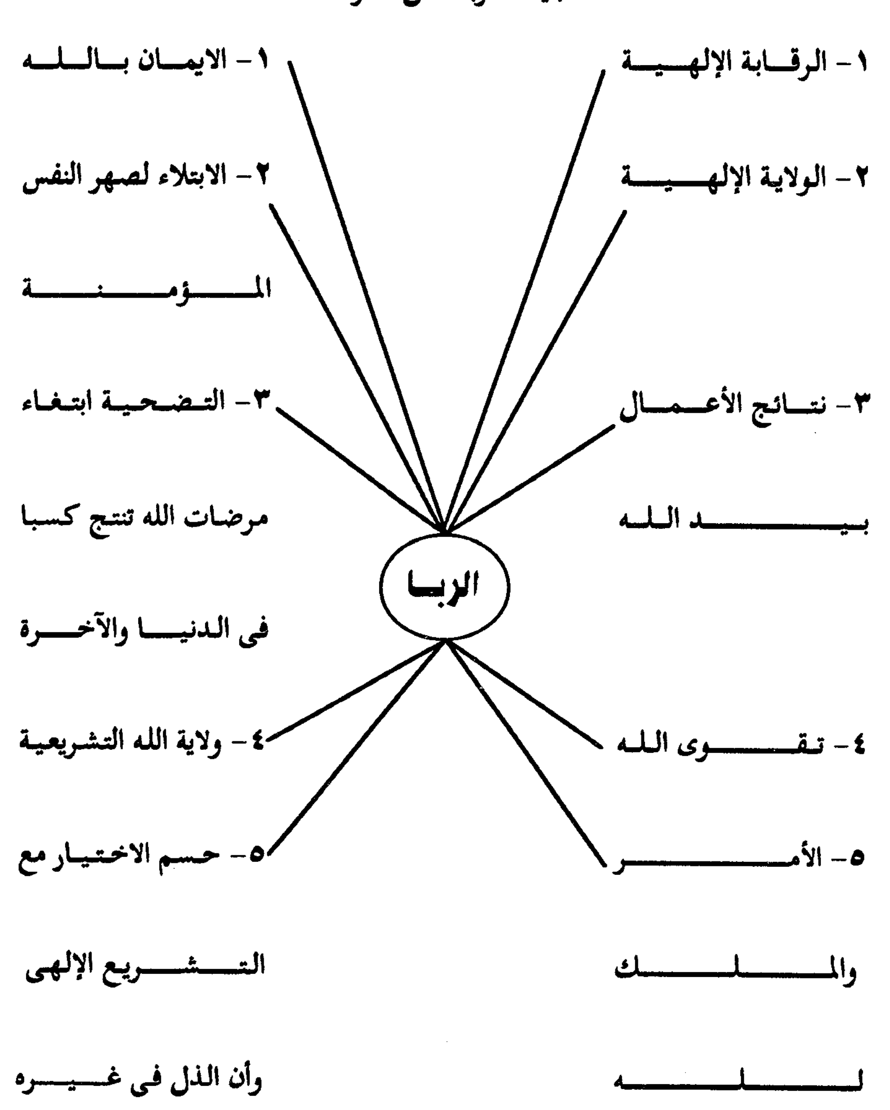
اللوحة البيانية (١٦) تجمع اللوحتين المشار إليهما سابقا . لن تعاد مناقشة للتوجيهات المعروضة فى اللوحة لأنه سبق عرض هذه المناقشة ، إنما نحاول فى هذه الفقرة تقديم عناصر جديدة تظهر من تحليل الإطار ككل بجناحيه السابق واللاحق .

١- مع أن موضوع الإطار بجناحيه هو الحرب إلا أن الآيات التى جاءت فى هذا الإطار جمعت ما يمكن أن يقال عنه كل العناصر العقيدية التى تربى المؤمن أقوى تربية على الحرب بمعناها التقليدى المتعارف عليه . وأيضا تربى المؤمن على الحرب الاقتصادية ؛ والربا أحد صور الحرب الاقتصادية .

يجمع الإطار بجناحيه عشرة توجيهات والتى تظهرها اللوحة (١٦) خمسة منها فى الجناح السابق للإطار تبدأ بتقرير رقابة الله وتعنى أن الله عالم بكل شئ ومطلع عليه وكل شئ موضوع تحت الرقابة الإلهية المطلقة . تنتهى هذ العناصر الخمسة بتقرير أن الأمر والملك كله لله . وبين هذه التوجيهات قررت الآيات ولاية الله وأن الأعمال كلها بيده سبحانه وأنه أحق بالتقوى .

اللوحة البيانية (١٦)

التوجيهات القرآنية المجمعة العاملة علي الربا فى الإطار المحيط بآيات الربا - آل عمران



التوجيهات الخمسة التى جاءت فى الجناح التالى للإطار تبدأ بتقرير حقيقة أن الإيمان له متلازمات منها نزع الوهن والحزن واليقين بعلو المؤمن وتنتهى توجيهات هذا الجناح بحسم اختيار المؤمن للتشريعات الإلهية وأن الذل فى اتباع غيرها . المقابلة بين التوجيه الأول والتوجيه الأخير تستوجب النظر العميق . التوجيه الأول يقرر لازمة من لوازم الإيمان وهى العلو ، والتوجيه الأخير يقرر لازمة من لوازم ترك منهج الله وهى الذل ، الأمر على هذا النحو هو قمة الإعجاز المعرفى ، لقد جاءت آيات كثيرة بين التوجيهين لكن ظل النظم متصلا بحيث يربط بين التوجيه الأول والتوجيه الأخير ، فبين التوجيهين جاءت توجيهات متعلقة بالابتلاء والتضحية ، وهى ترتبط ارتباطا قويا بالتوجيه الأول وأيضا بالتوجيه الأخير .

٢- الآيات التى سبقت آيات الربا تتضمن خمسة توجيهات والآيات التالية تتضمن أيضا خمسة توجيهات يتبين من تحليل الآيات أن للتوجيهات السابقة على الربا طبيعتها وللتوجيهات اللاحقة طبيعتها . نحاول فيما يلى اكتشاف هذه الطبيعة .

يمكن القول بناء على النظر فى التوجيهات السابقة على آيات الربا أن طبيعتها الترغيب وإعطاء الأمل ، بينما طبيعة التوجيهات التالية الترهيب وتربية الحذر . مجئ النظم القرآنى على هذا النحو هو الإعجاز المعرفى المطلق . ذلك أن التوجيهات السابقة على موضوع الربا تقود المؤمن قيادة فيها أمل واطمئنان إلى الله وبالله وبحيث يصل إلى الآيات المتضمنة للتشريعات العاملة على الربا ونفسه مملوءة ومتفتحة لاستقبال خير . فى مقابل ذلك فإنه بعد مجئ الآيات المتضمنة للتشريعات العاملة على الربا ، أى أن الموقف أصبح أن هناك تشريعا وأنه مطلوب الالتزام به وأن الناس ستصنف أمام الله بنا على هذا الالتزام ، أما وقد أصبح الموقف هو قياس الالتزام بالتشريع الإلهى فإن الآيات التالية جاءت بتوجيهات تتضمن التحذير والترهيب . إن الأمر قد أصبح مطلوبا فيه التعرف على ما إذا كان متلقى القرآن الكريم يلتزم بما أمر الله أو لا يلتزم ، فطبيعة الموقف تتطلب بيان العاقبة ، لذلك كانت التوجيهات التالية للتشريعات العاملة على الربا ذات طبيعة ترهيبية تحذيرية ،

زيادة فى توضيح طبيعة التوجيهات السابقة على آيات الربا واللاحقة لها فإنه يمكن القول أن الصورة العامة تتكون من ثلاثة مقاطع ؛ المقطع الأول يمثل الآيات الممثلة للتوجيهات الممهدة للتشريعات العاملة على الربا والمقطع الثانى يمثل الآيات الممثلة للتشريعات العاملة على الربا والمقطع الثالث يمثل التوجيهات اللاحقة للربا .

جاء النظم القرآني بهذه المقاطع الثلاثة بحيث جعل طبيعة الأول تعطي الأمل والرجاء . إن المقطع الأول كله يحكي قصة نصر الله للمسلمين في غزوة بدر ، والموقف كله يجعل النفس المؤمنة فرحة بنصر الله واثقة فيه شديدة الارتباط بتشريعاته . إن النفس المؤمنة مهيأة أن تسمع كلام الله وتنفعل به وتستجيب له ، هذا هو الموقف أو هذا هو الحدث ، جاءت التوجيهات في هذا المقطع ، أو في هذا الموقف النفسي من نوع التوجيهات الموحية بالخير ، المعطية للأمل ، التي تجعل النفس المؤمنة هادئة هانئة .

يختار الله سبحانه وتعالى هذا الموقف بكل تفاعلات النفس المؤمنة فيه فيجئ بالآيات العاملة على الربا والنفس المؤمنة الواثقة بالله التي عاشت مع نصر الله في المقطع الأول تتلقى الآن المقطع الثاني في الصورة فتوقن يقينا قطعيا أن الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا يجعل المؤمن يعيش في نصر مماثل للنصر الذي عاشه في المقطع الأول ، والنصر في المقطع الأول كان في حرب قتالية ، والنصر الثاني يكون في حرب اقتصادية .

تلقت النفس المؤمنة آيات التشريعات العاملة على الربا والموقف فيه توجيه المؤمن أن يترك معاملة ألفها بعض الناس واعتقدوا أنها تحقق مصلحتهم الشخصية ، أي أن طبيعة المقطع الثاني (الآيات الممثلة للتشريعات العاملة على الربا) توجيه بترك . أما وقد أصبح الموقف على هذا النحو فإن المقطع الثالث للصورة (الآيات التالية لآيات الربا) جاء على طبيعة تحذيرية ، إن المقطع الثالث يحكي عن الإبتلاء لصهر النفس المؤمنة ويحكي عن أن الذل لازمة لمخالفة منهج الله . إن مجئ المقطع الثالث على هذا النحو يعطي الضمانة لالتزام المؤمن بالتشريعات العاملة على الربا .

هكذا فإن النظم القرآني للصورة المكونة من هذه المقاطع الثلاثة جاء على نحو معجز . بعبارة أخرى إن المنظومة المعرفية القرآنية الممثلة لآيات الربا في سورة آل عمران وبالآيات الممثلة للإطار المحيط بها بجناحيه السابق واللاحق هذه المنظومة جاءت على نحو معجز وتمثل شكلا للإعجاز المعرفي في القرآن الكريم .

الفرع الرابع : المنظومة المعرفية الكاملة لآيات الربا - آل عمران

هذا المبحث مخصص لاكتشاف المنظومة المعرفية لآيات الربا في سورة آل عمران . وقد درس السياق الداخلي للآيات في الفرع الأول ، ثم درس الإطار المحيط بجناحيه السابق واللاحق في الفرع الثاني ثم في الفرع الثالث استنتجت المنظومة المعرفية للآطار المحيط بآيات الربا ، في هذا الفرع الرابع نحاول عرض المنظومة المعرفية الكاملة للآيات موضع الدراسة ، أي أن طبيعة ما يعرض في هذا الفرع هو تجميع ما بحث في الفروع الثلاثة السابقة وذلك لإعطاء الصورة الكاملة للمنظومة موضع البحث

مع أن طبيعة هذا الفرع تجميعية إلا أننا سنحاول أن نعطى فيه مع هذا التجميع ومن خلاله عناصر جديدة تضاف للعناصر التى اكتشفت فى المناقشة السابقة .

تعرض اللوحة البيانية (١٧) المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة آل عمران كاملة. وهى تظهر السياق الداخلى وكل التشريعات الواردة فى آيات هذا السياق وهى العوامل العاملة على الربا أو المؤثرة فيه ، كما تظهر الإطار المحيط بآيات الربا بجناحيه السابق واللاحق . ظهر فى كل جناح التوجيهات المتضمنة فى آياته وهى توجيهات بدورها مقصود بها أن تعمل على الربا وتؤثر فيه .

تساعد اللوحة (١٧) على التحليل للمنظومة المعرفية الكاملة لآيات الربا فى سورة آل عمران . يمكن القول أن هذه المنظومة تحمل خصائص مميزة وهذه الخصائص تمثل نتائج للدراسة .

اللوحة البيانية (١٧)

المنظومة المعرفية الكاملة لآيات الربا - آل عمران

توجيهات الإطار (عقيدى حربى)

الجناح السابق

الآيات : ١٢١ - ١٢٩

١- الرقابة الإلهية

٢- الولاية الإلهية

٣- نتائج الأعمال بيد الله تعالى

٤- تقوى الله

٥- الأمر والملك لله

توجيهات السياق الداخلى

الآيات : ١٣٠ - ١٣٨

١- تقوى الله

٢- الفلاح

٣- الآخرة

٤- طاعة الله

٥- الرحمة

٦- مصلحة المجتمع

الربا

٧- الإحسان

٨- العبرة التاريخية

٩- بيان وهدى وموعظة

الجناح التالى

الآيات : ١٣٩ - ١٧٥

١- الايمان بالله

٢- الابتلاء لصهر النفس المؤمنة

٣- التضحية ابتغاء مرضاة الله تنتج كسبا فى الدنيا والآخرة

٤- ولاية الله التشريعية

٥- حسم الاختيار مع التشريع الإلهى وأن الذل فى غيره

الآيات : ١٢١ - ١٧٥

أولا : الخاصية الرئيسية للمنظومة

الخاصية الأولى لهذه المنظومة أنها تجمع كل العوامل والتوجيهات التى يعتقد أنها تؤثر فى الأمر موضع الدراسة وهو الربا . لقد جمعت المنظومة ما يلى :

١- العناصر الرئيسية فى الإيمان بالله وولايته ورقابته وأن الملك كله له سبحانه وتعالى .

٢- الإحالة الملائمة للتشريعات الإلهية ، وتمت الإحالة على وجه خاص إلى حسم الاختيار مع الالتزام بالتشريع الإلهى ، فإذا جاء تشريع متعلق بالاقتصاد مثلا فالأمر محسوم لا اختيار فيه .

٣- تضمنت المنظومة الحسم فى الأمر التالى : إن الأعمال كلها بيد الله وأنها تعطى نتائجها حسب مشيئته ووفق إرادته . إن هذا ينسحب أيضا على كل الأعمال الاقتصادية .

٤ - وازنت المنظومة على نحو معجز بين أمر الدنيا وأمر الآخرة . الدنيا ليست مهملة والآخرة موضع اعتبار كامل فى كل الأمور ومنها أمر الاقتصاد هذا العنصر يجعل اتخاذ قرار بشأن الربا بالإحالة إلى أمر الدنيا وحدها هو الخطأ بعنيه .

٥- كشفت المنظومة عن حكمة الإبتلاء ؛ إن الإبتلاء لصهر النفس المؤمنة ، ومع الصهر تتشكل النفس المؤمنة على النحو الذى يجعلها أهلا لتحمل تبعات حمل الإسلام وتطبيقه فى كل المجالات ومنها المجال الاقتصادى . والربا خاصة فى أوقاتنا هو من اعقد أمور الاقتصاد ابتلاء .

٦ - حسمت المنظومة قضية التضحية . إن التضحية تكون لنصرة الأمر الإلهى ، فإذا جاءت على هذا النحو تحقق معها النصر وإذا خالفت ذلك أنتجت الهزيمة . والربا ظاهر فيه الكسب السهل السريع لكن التضحية بذلك ابتغاء مرضاة الله أمر محسوم حسب المنظومة التى نحن معها .

ثانيا : أوجه الإعجاز فى المنظومة

متابعة المنظومة فى إطارها بجناحيه السابق واللاحق وفى سياقها الداخلى يبين أنها جاءت على النحو المعجز المتضمن للعناصر التالية :

صياغة المنظومة تتضمن ترتيبا وتداخلا للعناصر الداخلة فيها وجاء هذا على نحو معجز . النظر فى اللوحة (١٧) يبين هذا الترتيب ويمكن أن تذكر بعض الأمثلة . العامل الأول فى الإطار هو رقابة الله (الجناح السابق) والعامل الأخير فى الإطار هو حسم الاختيار مع التشريع الإلهى (الجناح التالى) . العنصران موصولان وبينهما ترتيب هذا مثال . مثال آخر : التوجيه الأخير فى الجناح السابق للإطار يقرر أن الأمر والملك

كله لله ، بعد هذا التوجيه يجئ مباشرة قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة . هذا الأمر صادر ممن له الأمر والملك على نحو مطلق ، إنه يملك أن يأمر وأن يتدخل . العنصر التالى مباشرة لهذا هو الأمر بتقوى الله . فالترتيب جاء على هذا النحو : تقرير أن الأمر والملك لله ، وأنه أمر أمرا ، وما دام أن الأمر والملك على نحو ما تقرر فاتقوا الله الذى أمر .

يمكن متابعة إعطاء أمثلة للترتيب والتداخل . ومن الأمثلة التى ذكرت ومن أمثلة يمكن أن تذكر يستنتج ما يلى : صياغة المنظومة تضمنت ترتيبا للعناصر الداخلة فيها وهى صياغة فوق إمكانية العقل الإنسانى وهذا هو الإعجاز القرآنى ، أو ما ندرسه هنا تحت عنوان الإعجاز المعرفى القرآنى .

ثالثا : السلاسل المترابطة فى المنظومة

احتوت المنظومة على عدد كبير من العناصر وقد جاءت هذه العناصر فى أجزائها الثلاثة : الجناح السابق للإطار ، والسياق الداخلى لآيات الربا ، والجناح التالى للإطار. يمكن تكوين سلاسل تجمع بين عناصر فى الجناح السابق للإطار والسياق الداخلى والجناح التالى للإطار . من أمثلة هذه السلاسل .

١ - رقابة الله (الجنح السابق للإطار) - تقوى الله (السياق الداخلى) - الالتزام بتشريع الله (الجناح التالى للإطار) .

٢ - ولاية الله تعالى (الجناح السابق للإطار) - ولاية الله التشريعية (الجناح التالى للإطار) ، ثم ينطبق العنصران على التشريع العامل على الربا (السياق الداخلى) .

٣- الأمر والملك لله (الجناح السابق للإطار) - الرحمة المادية والمعنوية (السياق الداخلى) - الإيمان يترتب عليه العلو أو علو المؤمن عندما يذعن بأن الأمر والملك لله (الجناح التالى للإطار) .

هذه أمثلة لسلاسل يمكن أن تتشكل من العناصر التى تضمنها الإطار المحيط بآيات الربا والسياق الداخلى للآيات . هذه السلاسل تثبت التالى :

أنه مع كثرة العناصر التى جاءت فى آيات الإطار وفى آيات السياق الداخلى إلا أنها تتشابك وتترابط على نحو لا يقدر العقل الإنسانى عليه . وهذا هو الإعجاز القرآنى أو الإعجاز فى المنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا .

رابعا : سلاسل ختام الآيات

ختام الآيات موضع الدراسة يشكل أيضا سلاسل هى أيضا أمثلة للإعجاز القرآنى فى صياغة المنظومة المعرفية . نقتصر على عرض ختام الآيات كما جاءت فى السياق الداخلى . لقد جاء على الترتيب الذى يظهر فى اللوحة البيانية (١٨) .

٢ - الختامات التى جاءت فى المجموعة الثانية صيغت على نحو يجعل الختام الأول والأخير فى سلسلة واحدة ، والختامان الثانى والثالث فى سلسلة واحدة . والسلسلتان تقابلان بين الإيمان والكفر ، بين المؤمن والكافر ، بين النتيجة المترتبة على طاعة الله والنتيجة المترتبة على معصيته .

٣- يظهر أيضا أن كل ختام فى المجموعة الأولى يعتبر مقدمة للختام التالى له مباشرة . اللوحة البيانية رقم (١٨) تظهر هذا .

اللوحة البيانية (١٨ - أ)

منظومة ختام آيات الربا - آل عمران

المجموعة الأولى :	المجموعة الثانية :
١- لعلكم تفلحون	١- وأتقوا النار التى أعدت للكافرين
٢- لعلكم ترحمون	٢- وجنة أعدت للمتقين
٣- والله يحب المحسنين	٣- ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون
٤- ونعم أجر العاملين	٤- فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

٥/٥ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

٤ - « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » هذه هى الآية الأخيرة فى السياق الداخلى ونجد أنها تحمل خصائص تمكن القول بأن الآية كلها ختام لآيات السياق الداخلى لموضوع الربا ؛ أى ختام للمجموعة الأولى والمجموعة الثانية .

مجئ ختام آيات السياق الداخلى على هذا النحو يقع فى منطقة فوق إمكانية أن يعمل عليها أو يصل إليها العقل البشرى . وهذا هو الإعجاز القرآنى.

خامسا : العناصر الاقتصادية فى المنظومة

الربا كما هو معروف له تداخلاته وتشابكاته المعقدة السياسية والاجتماعية ، بل وكما توضح الآيات محل الدراسة فى هذا البحث إنه يرتبط بأمور عقيدية إلا أن الربا يستدعى إلى الفكر أول ما يستدعى الموضوع الاقتصادى . نحاول فى هذالفقرة إظهار العناصر الاقتصادية التى جاءت فى آيات السياق الداخلى .

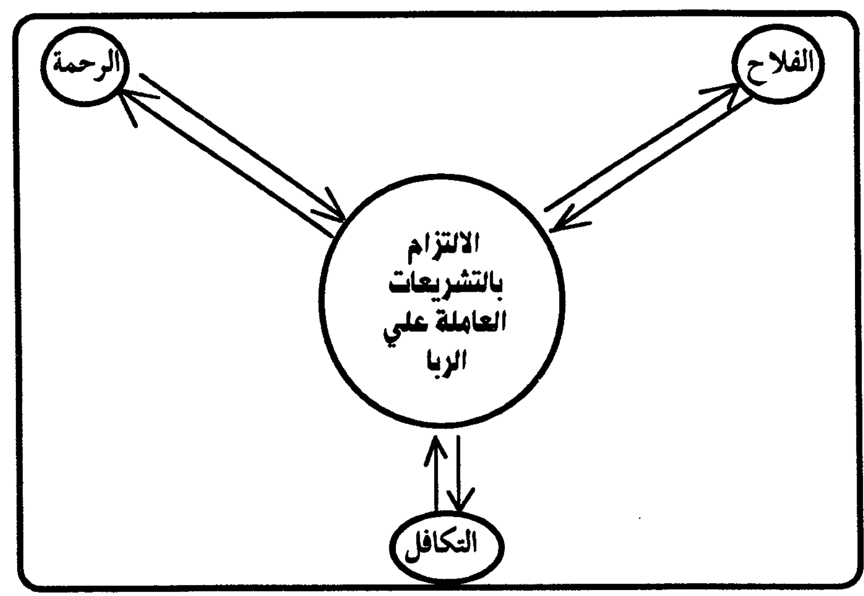
يتبين من إعادة قراءة آيات السياق الداخلى أنه جاء بها مصطلحات يمكن أن توجه توجيها اقتصاديا ، هما : الفلاح (آية ١٣٠) والرحمة (آية ١٣٢) كما ذكر موضوع الإنفاق التكافلى وله ارتباطه القوى بالاقتصاد بل إن طبيعته الاقتصادية هى الأوضح .

تعرض اللوحة البيانية (١٩) العناصر الثلاثة : الفلاح - الرحمة - التكافل . نحاول فيما يلى استخلاص المعانى الاقتصادية التى يمكن أن تكون كامنة فى العناصر الثلاثة.

أ - جاء الفلاح والرحمة فى الآيات المذكورة على نحو عام . تسمح هذه العمومية بالاستنتاج التالى : يمكن اعتبار كل صور الفلاح وكل صور الرحمة مرتبطة ومترتبة على الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا .

اللوحة البيانية (١٩)

عناصر توجه اقتصاديا فى المنظومة المعرفية لآيات الربا - آل عمران



يبنى على هذه النتيجة أنه يمكن القول أن ما يتعلق بالاقتصاد داخل فى الفلاح والرحمة ؛ أى فلاح اقتصادى ورحمة اقتصادية .

يمكن تصور الفلاح الاقتصادى فى صور متعددة ؛ تقدم اقتصادى ، سعة فى الحياة الاقتصادية ، استقرار اقتصادى ، قوة اقتصادية . مجئ الفلاح على نحو عام فى الآية وقبول مده إلى الأمور الاقتصادية يجعل مقبولا القول بأن كل هذه الأمور الاقتصادية مرتبطة بالالتزام بالتشريعات العاملة على الربا .

ما يدخل فى الفلاح بمعناه الاقتصادى يمكن إدخاله فى الرحمة بمعناها الاقتصادى . التقدم الاقتصادى رحمة ، الاستقرار الاقتصادى رحمة ، السعة فى الحياة الاقتصادية رحمة ، القوة الاقتصادية رحمة ، قيام علاقات اقتصادية صحية وصحيحة بين فئات المجتمع من أقوى صور الرحمة .

الموضوع الثالث الذى جاء بآيات السياق الداخلى للربا وله ارتباطه بالاقتصاد هو الإنفاق التكافلى (آية ١٣٤) . تتبع آيات القرآن الكريم التى جاء بها ذكر موضوع الربا يبين أن الإنفاق التكافلى ربط بالتشريعات العاملة على الربا . مجئ الأمر على هذا النحو يعطى الاستنتاج التالى : التعامل بالربا وهو سلوك فيه أنانية يقابله القرآن الكريم دائما بالإنفاق التكافلى الذى فيه تضحية وفيه اعتبار لمصلحة المجتمع .

بناء المنظومة المعرفية لآيات السياق الداخلى متضمنة العناصر الاقتصادية الثلاثة : الفلاح – الرحمة – الإنفاق التكافلى ، هذه المنظومة على هذا النحو فيها إعجاز يبلغ الغاية فى الدقة . هذا الإعجاز فى الموضوعات وفى النظم الصياغى . الدراسة التاريخية والمشاهدة المعاصرة والمعارف الاقتصادية المتاحة تتفق كلية مع ما جاء به القرآن الكريم عن الربا . دور الربا فى الأزمات الاقتصادية يفهم على نحو أحسن فى ضوء ما قاله القرآن عنه من أنه نقيض الفلاح والرحمة . ودور الربا فى إفساد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وفئاته يصبح يقينيا بعد اكتشاف أن كل المواضع التى ذكر بها الربا فإن القرآن وضع مقابله أو نقيضه وهو التكافل بين أفراد المجتمع وفئاته.

هذا وجه للإعجاز القرآنى فى النظم الموضوعى لآيات السياق الداخلى للربا فى سورة آل عمران .

ب – إعادة قراءة آيات السياق الداخلى يكشف عن عنصر جديد فى المنظومة المعرفية يتمثل فى الآتى : الارتباط بين الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا والعناصر الثلاثة التى تبينها اللوحة البيانية (١٩) هو ارتباط متبادل . الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا من نتائجه الفلاح ، والفلاح بدوره عنصر عامل أو دافع للإلتزام بالتشريعات العاملة على الربا . اتجاه الأسهم فى الشكل (١٩) يظهر هذا التأثير والارتباط المتبادل . ينطبق نفس الأمر على الرحمة وعلى الإنفاق التكافلى . هذا الارتباط المتبادل يمثل أحد عناصر الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة آل عمران .

جـ – الفلاح – الرحمة – التكافل ؛ مجئ هذه العناصر الثلاثة على هذا الترتيب فيه إعجازه هذا الإعجاز يوضح على النحو التالى .

١– الفلاح والرحمة مع أنهما يشملان ما يتعلق بالفرد أى المصلحة الخاصة وما يتعلق بالمجتمع أى المصلحة العامة إلا أن المصلحة الخاصة فيهما قد تكون أقرب ما يتبادر إلى العقل ، أما التكافل فإن ما يتعلق بالمجتمع أى المصلحة العامة أول ما يتبادر إلى العقل . مجئ النظم القرآنى على هذا النحو له ملاءمته مع موضوع الربا الذى فيه أيضا المصلحتان الخاصة والعامة والمصلحة الخاصة فيه هى أول ما يرد إلى العقل . لهذا ربط القرآن الكريم أولا بين الالتزام بالتشريعات العاملة على الربا والفلاح والرحمة وحيث توجد المصلحتان والمصلحة الخاصة أقرب ما يتبادر ، وثانيا جاء الربط مع الإنفاق التكافلى وحيث توجد المصلحتان ولكن المصلحة العامة أول ما يتبادر .

جـ - مجئ الفلاح والرحمة والتكافل على هذا الترتيب له معقوليته ، تحقق الفلاح الاقتصادى والرحمة الاقتصادية يبرر الأمر بالتكافل ، بل أنه يكون أيضا عاملا على وجود التكافل والحث عليه ، أى أنه يمكن القول أن مجئ الفلاح والرحمة سابقان على طلب التكافل هو من قبيل إقامة الحجة على من يطلب منه الانفاق التكافلى . ذلك أن الله أنعم عليه بفلاح اقتصادى ورحمة اقتصادية وعليه أن يلتزم بما يطلبه الله منه بشأن الإنفاق التكافلى .

المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة آل عمران كما تظهرها المناقشة فى هذا المبحث كله بفروعه الأربعة جاءت معجزة وهذا الإعجاز من كل العناصر الممكنة ، سواء عناصر لغوية ، أو عناصر متعلقة بالموضوعات ، وكذلك ما يتعلق بالأزمنة وغير ذلك . هذا الإعجاز المعرفى هو الذى نعمل على استنتاجه فى كل هذه الدراسة عن الإعجاز المعرفى لآيات الربا فى القرآن الكريم .

كلمة أخيرة عن الإطار المحيط بآيات الربا فى السورة محل الدراسة . لقد وصفنا هذا الإطار بأنه عقيدى حربى . ويعنى هذا أن العقيدة مثلت العنصر الحاكم فى الإطار المحيط بآيات الربا فى كل سور القرآن الكريم . لقد تبين هذا عند دراسة سورة الروم ، وتبين هذا فى الدراسة الحالية عن سورة آل عمران ، وسوف نرى هذا عند دراسة سورة البقرة . يستنتج من مجئ العنصر العقيدى على هذا النحو نتيجتان : الأولى أن الأمور كلها يجب أن يكون مبدؤها ومنتهاها من العقيدة ، والثانية أن مجئ النظم القرآنى لآيات الربا فى كل المواضع التى جا بها فى القرآن الكريم محاطا بالموضوع العقيدى بما يدل عليه هذا من تناسق فإن هذا يمثل شكلا من أشكال الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا ، وهو إثبات للإعجاز القرآنى على وجه العموم .



المبحث الثالث
المنظومة المعرفية لآيات الربا
(سورة البقرة)

الفرع الأول : السياق الداخلي لآيات الربا – البقرة .

الفرع الثاني : الإطار العقيدي ذو المضمون الإقتصادي التشريعي – البقرة .

الفرع الثالث : الإطار العقيدي ذو المضمون الاقتصادي العام – البقرة .

الفرع الرابع : الإطار العقيدة البحت – البقرة .

الفرع الخامس : أوجه اعجاز تجميعية في المنظومة المعرفية لآيات الربا – البقرة .

الفرع السادس : إعادة ترتيب الأطر المحيطة بآيات الربا – البقرة .

سورة البقرة مدنية ، آيات الربا فى هذه السورة من آخر آيات القرآن الكريم نزولا عن الربا . وقد جاء فيها الربا على نحو مفصل وتمتد من الآية ٢٧٥ إلى الآية ٢٨١ . وفق المنهج المتبع فى هذه الدراسة فإن هذه الآيات سوف تدرس تحت عنوان : السياق الداخلى لآيات الربا فى سورة البقرة .

وفق المنهج المتبع أيضا فإننا ندخل فى الدراسة السياق الذي جاءت فيه آيات الربا ويدرس هذا تحت عنوان الإطار الذى جاءت فيه آيات الربا . تبين من دراسة هذا السياق أنه يمتد على مساحة واسعة من الآيات كما أنه يتضمن عددا من الأطر ، وحيث تغلق دائرة الأطر بإطار عقيدى بحت . ويعنى اغلاق الأطر بإطار عقيدى أن العقيدة هى العنصر الحاكم بداية ونهاية فى الإطار الذى يغلف آيات الربا فى كل المواضع التى جاءت بها فى القرآن الكريم .

الفرع الأول : السياق الداخلى لآيات الربا

يقول الله سبحانه وتعالى :

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

أولاً : عناصر السياق الداخلى .

النظر المدقق لاستنباط المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لهذه الآيات يبين أنها عرضت فى ثلاثة عناصر .

العنصر الأول : ما هو قائم وما ينبغى أن يكون

١- جاء هذا العنصر فى الآيتين : ٢٧٥ - ٢٧٦ . وصفت الآيتان الحالة التى عليها المتعامل بالربا (آكله) ويسمى هذا منهجيا (ما هو قائم) . ثم أخبرت الآيتان أن الربا حرام (والبيع حلال) ويسمى هذا منهجيا (ما ينبغي أن يكون) . يذكر فى هذا الصدد أن الدراسات الاقتصادية تعرفت الآن على هذين المنهجين ، ما هو قائم وتسميه المنهج الموضوعى وما ينبغى أن يكون وتسميه المنهج المعيارى .

٢- القرآن وهو يصف ماهو قائم استخدم فى العرض الفاظا وتراكيب لها وقع عنيف وذات جرس قوى وذلك مثل آكل الربا ، والتخبط من مس الشيطان ، والانتهاء عند مجئ الموعظة ، ومحق الربا ، هذه الألفاظ والتراكيب أدت وظيفتين ، الوظيفة الأولى بشاعة المجتمع الذى يتعامل بالربا، والوظيفة الثانية بشاعة العاقبة .

٣- تكتمل اللوحة الأولى بما يمكن أن يسمى التوجيه ، ويعنى هذا أن القرآن الكريم لم يقف عند حد بيان ما هو قائم وما ينبغي أن يكون وإنما أعطي التوجيه ، والتوجيه فيه ضمنا بيان ما يجب الإلتزام والعمل به ، هذا التوجيه هو أن الله يمحق الربا ويربى الصدقات (آية ٢٧٦) .

العنصر الثاني : المجتمع المهيأ لقبول التشريع (تحريم الربا وغيره)

١- عرض فى العنصر الأول ما هو قائم وما ينبغى أن يكون وتضمن حكما بالحل والحرمة ، جاءت الآيات التالية لتعطي العنصر الثانى وحيث يصف المجتمع الذى يمكن أن يقبل التشريع ؛ أى المجتمع الذى يمكن أن يلتزم بأمر الحل والحرمة ، والآيتان ٢٧٧ و٢٧٨ تصوران هذه العنصر .

٢- تحدد فى العنصر الثانى خصائص المجتمع الذى يقبل التشريع بما فيه من أمر بحل أو حرمة ، هذه الخصائص هي : (أ) الإيمان (ب) العمل الصالح ، (جـ) إقامة الصلاة ، (د) إيتاء الزكاة (الآية ٢٧٧) .

٣- فى العنصر الثانى حيث يوصف المجتمع الإيمانى الذى يتلقى التشريع بالحل والحرمة استخدمت ألفاظ وتراكيب فيها رقة ولطف : لاخوف ، ولا هم يحزنون (الآية ٢٧٧) .

٤- على نحو ما انتهى العنصر الأول فإن العنصر الثانى ينتهى بتوجيه يربط بين الإيمان وهو موضوع العنصر الثانى والربا وهو الموضوع العام للآيات كلها ، التوجيه يتضمن خطابا آمرا للمؤمنين الذين يتكلم عنهم بأن يتركوا الربا والتوجيه يستلزم أن من مقتضيات الإيمان ترك الربا (الآية ٧٨) .

العنصر الثالث : السلوكيات المحتملة ونتائجها

١- عرض فى العنصر الأول ما هو قائم وما ينبغى أن يكون مع توجيه بمحقق الربا وإرباء الصدقة ، وعرض فى العنصر الثانى المجتمع الإيمانى المهيأ لقبول التشريع (بما فيه تشريع تحريم الربا) مع توجيه بأن من مقتضى الإيمان ترك الربا .

تجئ الآيات التالية (٢٧٩ - ٢٨١) عارضة العنصر الثالث وموضوعه السلوكيات المحتملة ونتائجها . والمعقولية فى ورود هذه المنظومة فى هذا الترتيب أنه سبق الاخبار بأن الربا حرام ، وإن من مقتضيات الإيمان ترك الربا ، والموقف الآن يلائمة عرض السلوكيات المحتملة .

٢- أحد السلوكيات المحتملة هو عدم الاذعان للأمر الإلهى بترك الربا ويتحدد فى العنصر العقوبة : الحرب من الله ورسوله (آية ٢٧٩) .

٣- السلوك الثانى المحتمل هو الامتثال للأمر الإلهى وترك الربا ، وقد حددت الآيات طريق التوبة من الربا بثلاثة اختيارات ؛ استرداد رأس المال المقرض والتأجيل والاعفاء من القرض (التصدق) .

٤- على نحو ما انتهى العنصر الأول والثانى ينتهى العنصر الثالث بتوجيه ، هذا التوجيه يذكر باليوم الآخر الذى نرجع فيه إلى الله وبهذا تربط الدنيا بالآخرة ويقتضى هذا ضمنا أن تربط أمور الاقتصاد بالآخرة . وقد أفاد هذا الربط أن أمور الاقتصاد تعتبر كلا من العائد الدنيوى والجزاء الأخروى .

يمكن عرض العناصر الثلاثة السابقة فى لوحة بيانية ، وذلك بقصد زيادة توضيح موضوعها، وكذلك لبيان الارتباط بين موضوعات اللوحات الثلاث . اللوحة البيانية (٢٠) تحقق القصد المذكور .

اللوحة البيانية (٢٠)

عناصر المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لآيات الربا - البقرة

	الموضوع	التوجيه
العنصر الأول	- ما هو قائم وما ينبغي أن يكون - الآية : ٢٧٥	-محق الربا وإرباء الصدقة - الآية : ٢٧٦
العنصر الثانى	- خصائص المجتمع الإيماني المهيأ لقبول تحريم الربا - الآية : ٢٧٧	- ترك الربا - الآية : ٢٧٨
العنصر الثالث	السلوكيات المحتملة - الآيتان : ٢٧٩ - ٢٨٠	التذكير بالآخرة - الآية : ٢٨١

ثانيا: الوحدات الاجتماعية المعتبرة فى السياق الداخلى

دراسة آيات الربا المذكورة في سورة البقرة من حيث المفردات اللغوية المستخدمة ودلالاتها تكشف بدورها عن عناصر فى المنظومة المعرفية التى عرض بها القرآن الكريم هذا الموضوع . نختار ثلاث مفردات ونعتقد أنها ذات دلالة فى المنظومة اللغوية للموضوع . المفردات الثلاثة هى المس والمحق والحرب .

المس : يقول الشوكانى عنه : المراد تشبيه من يحرص فى تجارته فى جمع ماله من الربا بقيام المجنون ، لأن الحرص والطمع والرغبة فى الجمع استفزته حتى صار شبيها فى حركته بالمجنون (١)

المحق : يقول محمد رشيد رضا ناقلا عن الإمام محمد عبده لعل المراد بمحق الربا محو ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة، وزيادة الربا

---

(١) الشوكانى (الإمام محمد بن على الشوكانى) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، جـ١ ، دار الفكر ، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، ص ٢٩٥ .

تذهب بذلك لاشتغال المرابى عن اللذة وخفض العيش بولهه فى ماله ولمقت الناس وكراهتهم له [1] .

الحرب : يقول سيد قطب : حرب الله على المتعاملين بالربا تكون بالسلاح بين الأمم والجيوش فالمرابون هم الذين يوقدون هذه الحرب [2] .

كل مفردة لغوية من المفردات المذكورة تدل على وحدة تحليل ؛ المس يدل على شخص الإنسان نفسه ، فوحدة التحليل هى الفرد . التعامل بالربا يعمل على تدمير الفرد نفسه ، حتى فى انفعالاته وحركاته .

المحق يعمل على الحياة الاقتصادية ، فالربا يدمر الحياة الاقتصادية من حيث الاستمتاع بها ومن وجوه أخرى ، فوحدة التحليل هنا هى الحياة الاقتصادية .

الحرب تدمر النوع الإنسانى ، سواء تدميرا حقيقيا أو تدميرا معنويا بالتأثير فى العلاقات التى تنشأ بين افراد النوع الإنسانى بسبب التعامل بالربا ، فوحدة التحليل هى النوع الإنسانى ككل .

عرض بيانى فى اللوحة (٢١) لهذه المفردات ووحدة التحليل التى تعمل عليها يمكن أن يزيد إيضاح المعنى ، كما يبين أيضا الازتباط بين الوحدات .

ربط المفردات الثلاث المستخدمة بوحدات التحليل التى تعمل عليها يبين أن القرآن الكريم استخدم مفردات تتدرج من الفرد إلى وحدة أكبر وهى الحياة الاقتصادية ثم إلى الوحدة الأكبر وهى وحدة النوع الإنسانى ككل . هذا التدرج فى وحدات التحليل يمثل أحد عناصر المنظومة المعرفية لموضوع الربا فى القرآن الكريم .

ثم إن الوحدات الثلاث المدلول عليها تجمع كل الوحدات الممكنة ، أى تستوعب الوحدات الممكن العمل عليها فى موضوع الربا الذى هو موضوع اقتصادى [3] .

---

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، جـ٣ ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ص ١٠٠ .

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ، جـ١ ، دار الشروق ، الطبعة ١٣ ، ١٩٨٧ - ١٤٠٧، ص ٣٢١ .

(٣) من المعروف أن وحدة التحليل فى الاقتصاد إما الفرد ، أى الوحدة المتناهية فى الصغر ، وهذا فى Microeconomics . وإما المجتمع الاقتصادى ، أى الاقتصاد على المستوى القومى Macreconomics

اللوحة البيانية (٢١)

الوحدات الاجتماعية المعتبرة فى السياق الداخلى لآيات الربا - سورة البقرة

المفردة اللغوية	الوحدة الاجتماعية المعتبرة
المس	الفرد
المحق	المجتمع الاقتصادى
الحرب	المجتمع الإنسانى كله

ثالثا : التتابع والإرتباط بين آيات السياق الداخلى

متابعة دراسة النسق الداخلى لآيات الربا فى سورة البقرة يكشف عن عنصر آخر فى المنظومة المعرفية القرآنية لهذا الموضوع . الآيات السبع التى ذكر فيها الربا فى سورة البقرة (٢٧٥ - ٢٨١) بدأت بالحديث عن الربا الآيتان (٢٧٥ - ٢٧٦) ، ثم يتوقف الحديث عن الربا ويبدأ القرآن الحديث عن المؤمنين وخصالهم (الآية ٢٧٧) ثم تجئ آية يمزج فيها الحديث عن المؤمنين وعن الربا (الآية ٢٧٨) ثم يعود الحديث بالكامل عن الربا (الآيات ٢٧٩ - ٢٨١) .

قد يبدو لأول وهلة أن الحديث عن المؤمنين وخصالهم وسط آيات تتحدث عن الربا ليس له تبرير واضح جلى إلا أن النظر الدقيق فى الأمر يبين أن الحديث عن المؤمنين وخصالهم هو عنصر أصيل فى سياق الموضوع ، ولذلك فمجيئه فى هذا الموضع جعل المنظومة المعرفية القرآنية لهذا الموضوع تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم .

الآيتان ٢٧٥ - ٢٧٦ صورتا المجتمع الذى يتعامل بالربا ، وفى نفس الوقت أفادتا بحكم الربا وأنه حرام . وقد جاء بالآية الأولى : " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " وجاء فى الآية الثانية : «والله لا يحب كل كفار أثيم » لقد دلت العبارتان على أن من أنكر حرمة الربا يكون كافرا(التخليد فى النار). وتختم الآية الثانية بقوله تعالى «والله لا يحب كل كفار أثيم» هكذا لم يصبح الأمر متعلقا بالربا وإنما انتقل الحديث إلى الكفر ، لهذا يكون الحديث عن الإيمان فى الآيات التى تتلو ذلك له معقوليته بل يكون هو المعقول الوحيد .

ثم إن فى الأمر لمحة إعجاز أخري هى أن الآيتين ٢٧٥ و٢٧٦ عرضتا أمر الربا فى الواقع وما ينبغى أن يكون والآيتان ٢٧٩ و٢٨٠ بينتا السلوكيات المحتملة لمن يتلقى هذا الأمر بشأن الربا ، يكون معقولا، بل هو المعقول الوحيد أنه قبل عرض السلوكيات المحتملة أن يبصر الله المؤمنين فيذكر بالخصال التى ينبغى أن يكونوا عليها هذا التبصير يكون معينا لهم ومرشدا فى الاختيار بين السلوكيات التى عرضت بعد ذلك فى الآيتين ٢٧٩ و٢٨٠ .فيجئ هذا التبصير فى الآيتين ٢٧٧ و٢٧٨ .

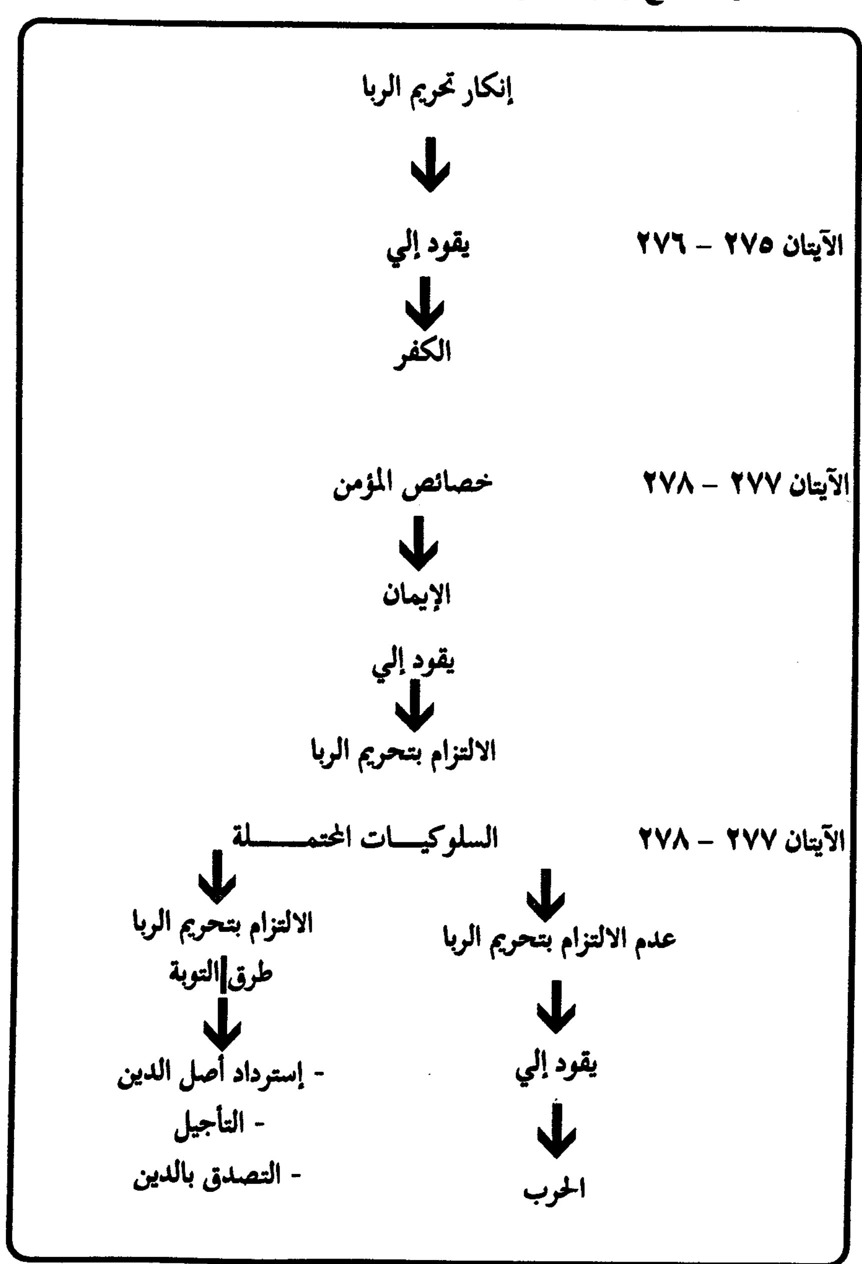
فى الآية ٢٧٨ يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين " هذه الآية ربطت بين المجتمع الإيمانى وترك الربا . لذلك فهذه الآية وحدها تمثل عنصرا فى المنظومة المعرفية القرآنية المعجزة . إن الآية تمثل ربطا فى أعلا درجات المعقولية بين الحديث عن المجتمع الإيماني (الآية ٢٧٧) والحديث عن السلوكيات المحتملة لمن يتلقي أمر تحريم الربا (الآيتان ٢٨٩ و٢٨٠) ، فالآية كما قلت جمعت الحديث عن العنصرين : المجتمع الإيمانى وترك الربا .

يضاف إلي ما سبق أن مجئ الآيتين ٢٧٧ و٢٧٨ والحديث فيهما عن المجتمع الإيمانى وأن من خصائصه ترك الربا ، مجئ الآيتين يلمح إلى اختيار المؤمنين بين السولكيات المحتملة التى سيجئ بعد ذلك فى الآيتين ٢٧٩ و٢٨٠ أى أن اختيار المؤمنين أصبح معروفا . ومجئ المنظومة المعرفية على هذا النحو هو وجه من وجوه الإعجاز المعرفى القرآنى .

تعرض اللوحة البيانية (٢٢) التتابع والارتباط فى آيات السياق الداخلى على النحو الذى سبقت مناقشته .

اللوحة البيانية (٢٢)

منظومة التتابع والارتباط فى السياق الداخلى لآيات الربا – سورة البقرة



رابعا : المنظومة المعرفية لمشرعية الحرب بسبب الربا

الآيات المذكورة عن الربا أفادت اعلان الحرب بسبب التعامل بالربا . نحتاج إلى تتبع المنظومة المعرفية لهذه الآيات وحيث يفيد هذا التتبع أن اعلان الحرب فى الموضع الذى جاء فيه يتمتع بمشروعية كاملة . بعبارة أخري إن الآية التى تضمنت اعلان الحرب سبقتها آيات تحتوي على الأسباب الكافية لاعلان الحرب .

١- الآية ٢٧٥ صورت بشاعة التعامل بالربا ، هذه البشاعة تظهر على سلوك الفرد نفسه وفى انفعالاته وفى أحاسيسه . العاقل الذى يتعرف على هذه البشاعة يكون سلوكه الطبيعى والسوى هو الاقلاع عن هذه المعاملة ، فإذا لم يفعل فإنه سوف يعامل على أنه غير طبيعى وغير سوى . ثم تختم الآية المشار إليها بقوله تعالى " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيهاخالدون " هذا الختام يزيد المسئولية على الشخص كما يزيد من بشاعة الربا . هكذا فإن الآية الأولى أعطت سببا لمشروعية مساءلة المتعامل بالربا .

٢- الآية ٢٧٦ صورت بشاعة التعامل بالربا على الحياة الإقتصادية للفرد وللمجتمع، لهذا فإن الذى يتعامل بالربا مع علمه بدوره المدمر للاقتصاد يكون قد وضع نفسه موضع المساءلة . هذه الآية تعطى سببا آخر لمشروعية مساءلة المتعامل بالربا .

٣- ختام الآية ٢٧٦ : " والله لايحب كل كفار أثيم " يربط بين الربا والكفر بشكل ما، وهكذا نبدأ نحس أن الأمر لم يعد محصورا فى الجانب الاقتصادى وإنما مد إلى الجانب العقيدى . يمكن بناء على هذا أن يستنتج أن المساءلة التى تقع على المتعامل بالربا ليست عن جانب اقتصادى وإنما دخل فى المساءلة العنصر العقيدى .

٤- الآية ٢٧٧ بينت خصال المؤمن ، ثم جاءت الآية ٢٧٨ وفيها أمر للمؤمنين بصفة أنهم مؤمنون أن يتركوا التعامل بالربا . ينتج بناء على هذا أن الربط أصبح صريحا وقاطعا بين الربا والعنصر العقيدى .

٥- هكذا نجد أن المنظومة المعرفية لآيات الربا من ٢٧٥ - ٢٧٨ تدرجت فى بيان مشروعية مساءلة المتعامل بالربا والمنكر لحرمته ؛ فالربا يخرج بالشخص عن سلوكه الطبيعى والسوى الذى خلقه الله ويدمر الحياة الاقتصادية ثم هو أخيرا له ارتباطه السالب بالعنصر العقيدى .

المنظومة المعرفية إلى الآية ٢٧٨ جعلت الربا أمرا له ارتباطه بالعقيدة ؛ أى الإيمان والكفر . وبما أن الأمر كله أصبح مرتبطا بالعقيدة لهذا تكون الحرب قد أصبحت مشروعة ؛ وهى حرب من الله . كيفية هذه الحرب ومستواها وأطرافها كل هذا كله بيد الله .

٦- تجئ الآية ٢٧٩ معلنة الحرب من الله بعد أن تكون المنظومة المعرفية للآيات السابقة قدمت المشروعية الكاملة لهذه الحرب .

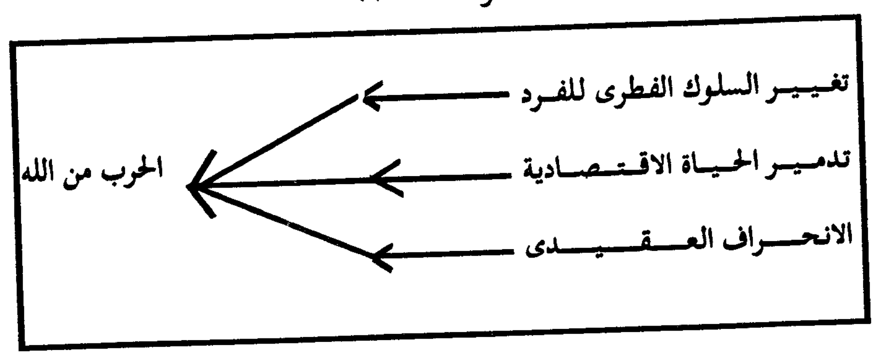
ما يجب التأكيد عليه هو أن الحرب تعلن لأمر عقيدى ، فهذا هو سبب الحرب فى الإسلام ، ومظهر الاعجاز فى المنظومة المعرفية القرآنية للآيات موضع الدراسة أنها عرضت عناصر الموضوع فى تطور يقود باقتناع كامل إلى أن الربا أصبح له ارتباطه بالعنصر العقيدى .

فيما يلى نقدم عرضا بيانيا(اللوحة ٢٣) لهذه المنظومة المعرفية التى اقنعت بمشروعية الحرب بسبب الربا وحيث يظهر هذا العرض الاعجاز القرآنى فى هذا الأمر بشكل أوضح .

اللوحة البيانية (٢٣)

المنظومة المعرفية لمشروعية الحرب بسبب الربا - سورة البقرة

اللوحة (٢٣-أ)



اللوحة (٢٣ - ب)

العنصر
١- تغيير السلوك الفطرى للفرد
٢- المحق الاقتصادى
٣- الانحراف العقيدى
٣,٢,١ ← الحرب من الله ← ٣,٢,١

مجال عمله
١- الفرد
٢- المجتمع الاقتصادى
٣- الحياة الانسانية

خامسا: المنظومة المعرفية للموضوعات الاقتصادية فى آيات السياق الداخلى

الربا موضوع مرتبط بالاقتصاد وذلك بسبب أنه قد يبدو أنه يمثل أحد أشكال الدخل التى يحصل عليها الفرد ، لهذا يكون مطلوبا فى بحث عن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم أن يتم التعرف على العناصر الاقتصادية التى تعتبر عند بحث هذا الموضوع الاقتصادى وهو الربا .

نحاول زيادة توضيح موضوع هذه الفقرة . من المعروف أن أى موضوع اقتصادى له عناصره المرتبطة به والتى تكون موضع اعتبار عند الحديث عنه أو بحثه . بنفس المنهج فعندما عرض القرآن الكريم موضوع الربا ما هى العناصر الاقتصادية التى اعتبرها مرتبطة وذات صلة به .

تتبع آيات سورة البقرة التى خصصت للربا يبين أن القرآن الكريم يعتبر العناصر الاقتصادية التالية ذات صلة بموضوع الربا : (١) الاضطراب النفسى للشخص فى سلوكه الاقتصادى ، (٢) البيع ، (٣) محق الاقتصاد ، (٤) الصدقة ، (٥) الزكاة ، (٦) الحرب (بعدها الاقتصادى)، (٧) اجراءات سداد الدين .

يكشف النظر فى العناصر السبعة السابقة عن أنها يمكن أن تصنف فى مجموعتين، مجموعة تضم العناصر ذات الخاصية الإيجابية ، ومجموعة تضم العناصر ذات الخاصية السلبية .

أ- العناصر الإيجابية

يقصد بالايجاب أنها عناصر لها أثرها الايجابى على الاقتصاد وهى فى ذات الوقت بديل عن الربا فالايجاب يتحقق فيها لبعدها عن الربا . العناصر الإيجابية هى :

١- البيع : البيع له معناه الفنى الاصطلاحى لكن استخدامه كبديل للربا مقصود به المعاملات الخالية من الربا ؛ سواء معاملات البيع بمعناه الاصطلاحى أو المقصود المعاملات الأخرى المشروعة لخلوها من الربا .

القرآن الكريم عندما يعرض البيع كبديل للربا فإنه بهذا يعطى التوجيه التالى:إن دراسة الربا يجب أن تعطى الاهتمام الحقيقى لعرض البديل عن الربا. هذا يؤكد الفكرة التى يرتبط بها هذا البحث وهى أنه عند مناقشة أمر الربا فى الاقتصاد المعاصر فيجب اعطاء الاهتمام الأكبر لعرض البديل الشرعى للربا، ذلك أن الحديث عن الربا هو من نوع لا تفعل ، بينما الحديث عن البديل هو من نوع أن تفعل كذا وكذا .

٢- الصدقة : يمكن القول أن الصدقة مستخدمة هنا فى معناها العام الذى يشمل الزكاة وغيرها . التوجيه الذى يعطيه ربط الصدقة بالربا ينصرف إلى توفير كفاية الشخص الذى يحتاج للاقتراض لانفاقات ذات طبيعة اجتماعية وليست استثمارية . لهذا يكون مصطلح البيع مقصودا به الجانب الاستثمارى بينما مصطلح الصدقة مقصودا به المساعدة فى المجال الاجتماعى . إن الشخص عادة يطلب المال من آخر إما للاستثمار ومصطلح البيع ينصرف لهذا وإما أنه يطلب المال لظرف (اجتماعي) يمر به أى الاحتياج ، ومصطلح الصدقة ينصرف لهذا .

هكذا تكون المنظومة المعرفية القرآنية في استخدامها لهذين المصطلحين قد غطت جانبى تبادل المال بين الأفراد .

٣- الزكاة الواردة فى هذه الآيات مقصود بها المعني الاصطلاحى للزكاة ووردت فى هذه الآيات للدلالة على أحد عناصر الشخصية الإيمانية وهى أنها تؤتى الزكاة . وورود مصطلح الزكاة فى سياق حديث عن الربا يكون دالا على مقابلة تضاد بين الزكاة والربا ؛ فاختيار هذا العنصر بذاته من عناصر الشخصية الإيمانية له دلالته بالنسبة للربا ، إنه يدل على أن الزكاة تعمل فى المجتمع المؤمن بحيث تؤمن ضد الاقتراض الربوى لأغراض الاحتياج الاجتماعى ..

٤- العنصر الاقتصادى الرابع الذى يعرضه القرآن الكريم فى سياق الحديث عن الربا هو اجراءات سداد الدين عند التوبة من الربا . الاجراءات الواردة فى الآيات محل الدراسة تستغرق كل الاحتمالات . التوجيه الذى يعطيه هذا العنصر الرابع هو أهمية بيان كيفية تخليص المجتمع من الربا فى حالة وقوعه فيه . إذا أحلنا إلى عصرنا فإن التوجيه الذى معنا يرشدنا إلى كيف نخلص الاقتصاد المعاصر من الربا ولا نقف عند حد اعلان أن الربا حرام .

ب- العناصر السلبية

يقصد بالسلب الآثار الضارة على الاقتصاد بسبب التعامل بالربا . العناصر الاقتصادية السالبة المرتبطة بالربا والتى عرضتها الآيات هى التالية .

١- اضطراب الشخص فى سلوكه الاقتصادي : يستنتج هذا المعنى من قول الله سبحانه وتعالى : " يتخبطه الشيطان من المس " سبق عرض هذا الأمر ، ومما قيل عنه أنه يعمل على مستوى الفرد (وحدة التحليل) . يعنينا هنا بيان السلبية التى يتضمنها هذا التعبير . إن الذى يتعامل بالربا يستهدف أن يؤمن الحصول على دخل بدون احتمال خسارة . هذا هو ما يعنيه الربا لأنه بديل عن المشاركة فى الربح والخسارة ، لكن القرآن يخبر أن هذا الشخص الذى استهدف تأمين الدخل فإنه في مقابل ذلك

يفقد طبيعته السوية، سواء فى مجال الاقتصاد أو المجالات الأخرى . هذه عقوبة وعلى الشخص أن يقابل ويختار بين تأمين شخصيته وبين تأمين دخل .

٢- المحق الاقتصادى : يقود الربا إلى خراب اقتصادى ، والخراب الاقتصادى يمكن ترجمته فى شكل أزمات اقتصادية وغير ذلك من أنوا ع المشاكل الاقتصادية . السلبية التى يتضمنها المحق الاقتصادى المتسبب عن الربا تتمثل فى الآتى : إن الذى يتعامل بالربا يستهدف تأمين دخل لكنه يعرض بذلك كل الاقتصاد للخطر ، ماله وما لغيره . وعلى الشخص أن يقابل ويختار إما تأمين دخل قليل له وإما تأمين ثروته وثروة مجتمعه .

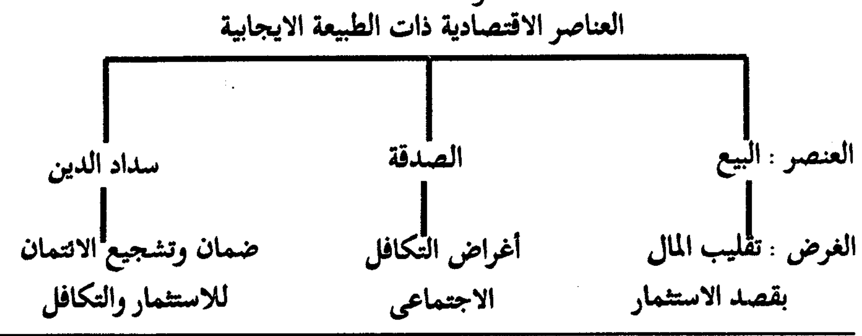
٣- الحرب الاقتصادية : مصطلح " مس الشيطان يعمل على الفرد وحده ، مصطلح المحق يعمل على الفرد وعلى مجتمعه ، أما مصطلح الحرب الاقتصادية فإنه يضم إلى ذلك المجتمع الإنسانى كله . هكذا بالحرب تغلق دائرة سلبيات الربا : الفرد - المجتمع المحلى - المجتمع الدولى .

إن عرضا بيانيا يمكن أن يجسد بوضوح أكبر المنظومة المعرفية للموضوعات الاقتصادية التى ربطها القرآن الكريم بالربا فى سورة البقرة ، ويظهر هذا العرض فى اللوحة البيانية (٢٤) .   اللوحة البيانية (٢٤)

المنظومة المعرفية للعناصر الاقتصادية للسياق الداخلى لآيات الربا - سورة البقرة

لوحة (٢٤-أ)

العناصر الاقتصادية ذات الطبيعة الايجابية



لوحة بيانية (٢٤ - ب) العناصر الاقتصادية ذات الطبيعة السالبة

العنصر : مس الشيطان
الوحدة والغرض
السلوك الاقتصادي للفرد

المحق
الوضع الاقتصادى
للمجتمع المحلى

الحرب
الوضع الاقتصادى
للمجتمع الإنسانى

الفرع الثانى: الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى التشريعى - البقرة

كشفت دراسة آيات الربا فى سورة البقرة عن أن هذه الآيات سبقتها آيات تتكلم عن الصدقة كما جاءت بعدها آيات تتكلم عن توثيق الدين ، الصدقة والدين كلاهما موضوع مرتبط بالاقتصاد . هكذا تكون آيات الربا جاءت محاطة ؛ أى مسبوقة ومتلوة بآيات موضوعها اقتصادى ، هذا ما نعتبره ممثلا للإطار الاقتصادى لآيات الربا . يعنى الإطار أنه احيط بآيات الربا . أما كونه تشريعيا فلأن الصدقة وتوثيق الدين قد اعطيا حكما فهما تشريعات اقتصادية وليسا افكارا اقتصادية عامة . وقد عرضت الموضوعات الاقتصادية مغلفة بعناصر عقيدية وهذا هو معنى أنه إطار عقيدى .

الربا موضوع مرتبط بالاقتصاد ، أو هو موضوع اقتصادي ، مجئ هذا الموضوع الاقتصادى مسبوقا ومتلوا بتشريعين اقتصاديين أى محاطا إحاطة كاملة إن هذا يمثل إعجازا فى المنظومة المعرفية لآيات الربا كما جاءت فى القرآن الكريم . هذا النسق القرآنى فى ترتيب الموضوعات هو نسق معجز لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله . يمكن عر ض هذه الفكرة فى لوحة بيانية ، اللوحة البيانية (٢٥) وذلك لتجسيد الإعجاز فى المنظومة المعرفية .

اللوحة البيانية (٢٥)

الإطار التشريعى الاقتصادى لآيات الربا – البقرة

الاطار التشريعى الاقتصادى

الجناح السابق :		الجناح التالى :
آيات الانفاق التكافلى	آيات الربا	آيات توثيق الدين
٢٦١-٢٧٤	٢٧٥ - ٢٨١	٢٨٢-٢٨٣
موضوع اقتصادى	موضوع	موضوع اقتصادى
(تشريع)	اقتصادى (تشريع)	(تشريع)

الآيـــــــات ٢٦٠ - ٢٨٣

نحاول أن نتعمق أكثر فى دراسة هذا الإطارالاقتصادى بشقيه السابق واللاحق . آيات الانفاق للتكافل الاجتماعى التى جاءت سابقة على آيات الربا تبدأ بالآية ٢٦١ وتنتهى بالآية ٢٧٤ ، وحيث تبدأ آيات الربا بالآية ٢٧٥ . نحاول أن نجيب على سؤال : لماذا جاء موضوع التكافل الاجتماع قبل موضوع الربا وجاء توثيق الدين بعده ؟

أولا : موضوعا الإطار الاقتصادى التشريعى: التكافل وتوثيق الدين .

الربا سلوك فيه أنانية وأثرة الشخص الذى يقبل الربا ويتعامل به هو فى حقيقة الامر يحاول أن يؤمن ويضمن لنفسه دخلا بصرف النظر عما يصيب الاخرين الذين تقع عليهم هذه المعاملة . يمكن القول بعبارة أخرى: إن الذى يتعامل بالربا يفضل مصلحته الخاصة على مصلحة المجتمع . فى مقابل ذلك فإن الشخص الذى يقبل تشريع تحريم الربا أى يقلع عن التعامل بالربا أولا يتعامل به هذا الشخص فى حقيقة الأمر يكون فى انسجام وتناغم مع المجتمع؛ إنه يقبل المشاركة فى الربح والخسارة ؛ أى أنه يحس بالآخرين ويعتبرهم شركاء معه فى المجتمع .

يمكن من هذا المعنى فهم لماذا جاء موضوع التكافل الاجتماعى سابقا على موضوع الربا ، أى سابقا على الآيات التى جاء بها تحريم الربا . آيات التكافل الاجتماعى قصد بها تربية الفرد على الاحساس بالغير ، تربيته على أن يعتبر مصلحة المجتمع كما يعتبر مصلحته . الفرد الذى يتربى على ذلك هو الفرد الذى يهيأ لقبول تحريم الربا .

لزياد ة التوضيح وزيادة التأكيد : إن الفرد الذى يقبل بحرمة الربا هو الذى تربى على أن يتفاعل بإيجابية مع المجتمع . الانفاق للتكافل الاجتماعى يعتبر أقوى أداة لهذه التربية الاجتماعية . الانفاق للتكافل الاجتماعى يعنى أن الفرد بلغ به احساسه بمجتمعه أنه يجعل له حقا فى ثروته الخاصة . الفرد الذى يقبل أن يقتسم ثروته مع مجتمعه فى صورة انفاق للتكافل الاجتماعى هو الفرد الذى يقبل تشريع تحريم الربا على الرغم من أن هذه المعاملة تؤمن له دخلا دون احتمال خسارة .

الشق الثانى فى الإطارالاقتصادى الذى أحاط بآيات الربا فى سورة البقرة موضوعه توثيق الدين وقد جاء تاليا لآيات الربا . السؤال الذى يثار فى هذا الصدد هو لماذا جاء موضوع توثيق الدين تاليا لموضوع الربا ؟

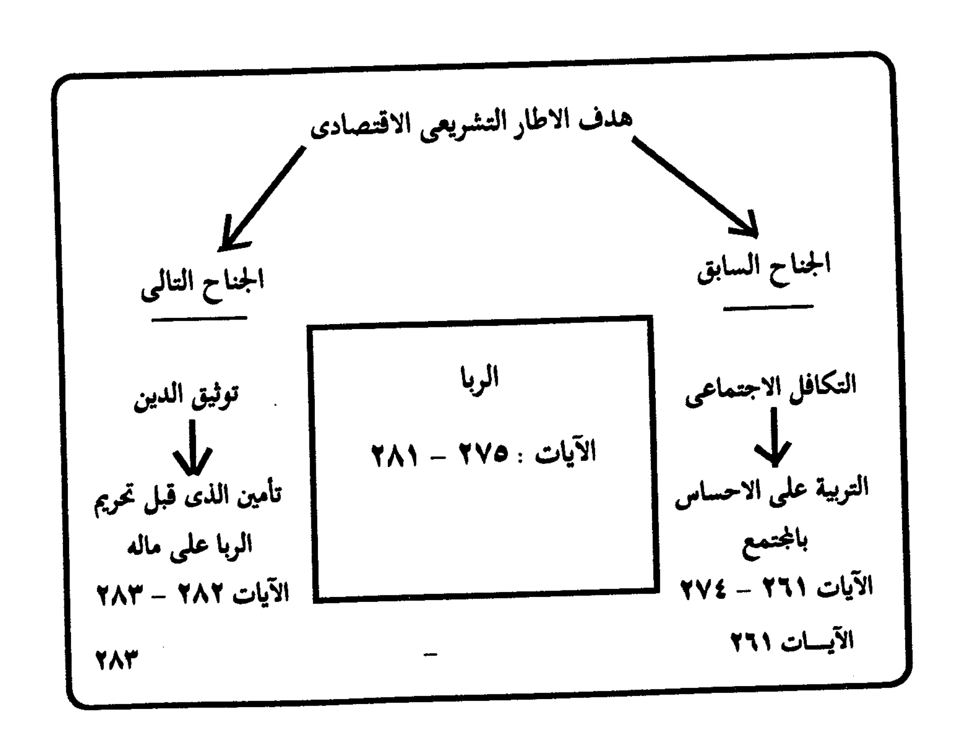
إجابة هذا السؤال تعتبر عنصرين . العنصر الأول الربا معاملة فيها مايبدو أنه مصلحة ظاهرة للذى يتعامل به لذلك فالشخص الذى يقبل التعامل بغير الربا يحتاج إلى أن يؤمن على ماله ؛ أيا كانت المعاملة التى يدخل طرفا فيها مع الغير . جاءت آيات توثيق الدين لتعطى له هذا النوع من أنواع الضمان .

العنصر الثانى : الربا قد يقع فى قروض الاستهلاك . والشخص الذى يقرض للاستهلاك تكون حاجته لضمان دينه آكد وأقوى لذلك جاءت آيات توثيق الدين بعد آيات الربا وقد جاءت بمثابة أن تقول لمن يقبل تحريم الربا ويقلع عن التعامل به إن مالك مضمون بأقوى صور الضمان الكتابى .

نقترح أن يعاد عرض اللوحة البيانية (٢٥) بحيث تتضمن الفكرة التى نوقشت وهى أن آيات التكافل الاجتماعى السابقة على آيات الربا هى لتربية الفرد على الاحساس بالمجتمع والذى يستجيب لهذه التربية الاجتماعية أى ينمو عنده الاحساس بالغير هوالذى يقبل تشريع تحريم الربا ، وأن آيات توثيق الدين التالية لآيات الربا هى بقصد تأمين الذى قبل أن يقرض بدون فائدة على ماله الذى أقرضه . اللوحة البيانية (٢٦) تصور هذا المعنى .

اللوحة البيانية (٢٦)

هدف الاطار الاقتصادى التشريعى لآيات الربا - البقرة



نواصل فى الفقرات التالية التحليل المتعمق لآيات الإطار الاقتصادى التشريعى بشقيه السابق واللاحق وذلك بهدف استنتاج كل عناصر هذا الإطار وهذه العناصر تكون بدورها فاعلة على تحريم الربا وبعبارة أخرى يربط بها تحريم الربا .

ثانيا : الجناح السابق للإطار الاقتصادى التشريعى : التكافل

يقول الله سبحانه وتعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الآيات التي سبقت هى آيات الجناح السابق للإطار الاقتصادي التشريعي. موضوع هذا الجناح هو التربية الاجتماعية للشخص الذى يخاطب بتشريع تحريم الربا . الموضوع الاجتماعى الذى وظف لخدمة هذه التربية هو الصدقة . وقد اشتملت الآيات على عناصر تعمل على تحقيق هذه التربية الاجتماعية بحيث تكون على أعلا مستوى سلوكى ممكن . فيما يلى نحاول تحليل الآيات لاستنتاج هذه العناصرالتربوية .

الآية ٢٦١ شبهت الإنفاق التكافلى بالحبة التى يتضاعف ناتجها إلى سبعمائة ضعف ، بهذا ربطت الصدقة بالوفرة والخير ، ختام الآية يعطى الأمل لوفرة وخير أكثر بوعد من الله سبحانه وتعالى : والله واسع عليم .

تضيف الآيات ٢٦٢ - ٢٦٤ للتربية النفسية الاجتماعية عناصر دقيقة للغاية تتعلق بالسلوك الشخصى بين معطى الصدقة وآخذها ، تلزم الآيات بمنع المن والأذى بالقول ، بل تلزم بالقول بالمعروف ، وقد احتوت الآيات على تشبيه بالغ التأثير بشأن هذا العنصر الشخصى الدقيق .

الآية ٢٦٥ تعتبر الانفاق الاجتماعى هو لمرضاة الله ، وأى نفس لا تهتز بعنف أولا تستجيب لما يرضى الله ، ختام الآية يعلن أن الأمر كله تحت رقابة الله " والله بما تعلمون بصير " .

الآية ٢٦٦ تدخل أسرة المتصدق ضمن عناصر التأثير فى التربية النفسية الاجتماعية ، تخاطب الآية المتصدق بذريته الضعيفة ، الفرد لا يملك إلا أن يستجيب إذا خوطب بأولاده خاصة إذ كانوا صغاراً ومحتاجين ، فإذا كانت الآية السابقة ٢٦٥ خاطبت المتصدق بمرضاة الله فإن الآية التى معنا تخاطبه بأسرته وأيا كانت طبيعة الإنسان فإن هذين العنصرين هما الفاعلان عليه .

الآية ٢٦٧ تدخل نوعية الصدقة ضمن عناصر التربية النفسية الاجتماعية « انفقوا من طيبات ما كسبتم » . وتذييل الآية فيه تهديد ضمنى " والله غنى " ثم فيه اغراء "حميد"

تدخل الآية ٢٦٨ فى التربية النفسية الاجتماعية التخويف من الشيطان الذى يعد بالفقر ، الآية تحمل بصفة خاصة البشرى للغنى المتصدق .

الآية ٢٦٩ تدخل الحكمة ، وقيل عن الحكمة إنها تعنى اتقان العمل وأجراء الفعل على وفق ذلك العلم ، وهى مشتقة من الحكم وهو المنع لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فى الخطأ والضلال [١] وورودها فى هذا السياق يدخلها ضمن عناصر التربية النفسية الاجتماعية .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ٣ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٦١

تدخل الآيتان ٢٧٠ و٢٧١ فى التربية النفسية الاجتماعية علانية الصدقة وسريتها ، والمعيار الحاكم فى هذا الاختيار هو البعد الاجتماعى فى العلاقة بين الفقير والغنى .

الآية ٢٧٢ أدخلت المصلحة الخاصة للمتصدق ضمن العناصر وذلك للتأثير فى التربية النفسية الاجتماعية . فإذا كانت آيات سابقة أدخلت مرضاة الله والذرية فإن الآية التى معنا تدخل صراحة المصلحة الخاصة للمتصدق " وما تنفقوا من خير فلأنفسكم " .

الآية ٢٧٣ تتكلم عن فئة من المحتاجين لا ينازع أحد فى احتياجها ، هذه الآية هي الآية قبل الأخيرة والمعنى الذى يستنتج من ادخال هذه الفئة أنها تمثل نداء للغنى قبل اعلانه بالعنصر الآخير . والعنصر الذى يستنتج من هذه الآية أن الغنى وضع أمام حالة يجد نفسه فيها فى انفعال نفسى مع الجوانب الاجتماعية فى البيئة المحيطة به .

الآية ٢٧٤ أعطت المتصدق عنصر الأمان " ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وذلك فى إطار التربية النفسية الاجتماعية ، ومعقولية هذا الأمر شديدة الوضوح بل إنه وحده يمثل أحد عناصر الاعجاز المعرفى القرآنى . لقد تضمن عنصر الأمان أمرين : عدم الخوف وعدم الحزن وهذا أقصى ما يتمناه الإنسان لحياة آمنة .

بينت المناقشة السابقة الإطار الاقتصادى السابق على آيات الربا . إن موضوع الإطار هو التكافل ، ومجرد وضع التكافل سابقا على الربا أو ممثلا لإطار يحيط به هو اعجاز معرفى للقرآن ، ثم إن هذا الموضوع الاقتصادى جاء فى صورة تشريع ، أى أخذ حكما وليس مجرد فكرة اقتصادية عامة ، وكونه تشريعا فإن وقعه أو تأثيره يكون مؤكدا . هذا الأمر يمثل درجة أخرى فى الاعجاز فى المنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا . أيضا فإن العناصر التى ذكرت فى موضوع التكافل جاءت مستوعبة لكل العناصر التى يتصور أن تعمل لتحقيق الهدف من المجئ بالتكافل قبل الربا ، أو بعبارة أخرى لوضع التكافل مقابل الربا . إن الاعجاز المعرفى فى هذا الأمر يقينى .

ثالثا : جناح الإطار الاقتصادى التشريعى اللاحق : توثيق الدين

موضوع الإطار الاقتصادى اللاحق توثيق الدين ، جاء هذا الموضوع فى الآيتين ٢٨٢ و٢٨٣ . إن الهدف من هذا الإطار الاقتصادى هو تأمين الدائن على دينه ، ويمكن أن يمد القول بحيث يدخل فى التأمين أيضا كل معاملة مالية فيها متعاقدان .

يقول الله سبحانه وتعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ

رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

اشتملت الآيتان المذكورتان على عناصر تعمل على هدف موضوع الإطار بحيث تجعله يتحقق فى أعلا نموذج توثيقى ممكن . نحاول عرض تحليل رأسى للآيتين ليتضح هدفهما وكيف جاءا على نحو يتأكد تحقيقه .

تبدأ الآية ٢٨٢ بتوجيه الخطاب للذين آمنوا ولهذا الخطاب دلالته فعندما ينادى القرآن الكريم طائفة بهذه الصفة (الإيمان) فإن فى هذا إيحاء أو دلالة على أنهم يطيعون ما يؤمرون به . هكذا يمكن القول أن إفتتاح الآية بخطاب المؤمنين يحمل فى ذاته ضمنا وصراحة تأمين الدائن على دينه ، بعبارة أخرى تأمين طرفى المعادلة وذلك لأن التعامل بين مؤمنين بالله .

تشترط الآية فى الكاتب أن يكون عدلا ويمثل هذا أيضا عنصرا من عناصر تأمين طرفى التعامل ، بل إن هذا الكاتب ينبه إلى أنه يجب عليه أن يكتب كما علمه الله وماعلمه الله هو حفظ الحقوق وغير ذلك .

" وليملل الذى عليه الحق " هذا العنصر من عناصر تأمين الدائن أو طرفى التعامل هو معجزة قرآنية فى حد ذاته ، ذلك أن جعل المدين هو الذى يملى أفاد أمرين:

الأمر الأول : أن ما يمليه هو اعتراف منه بما أملاه لذلك يكون احتمال معارضته للدين المكتوب غير واردة فالمدين حسب هذا الشرط يؤخذ بما يقول .

الأمر الثاني : من المعروف أن المدين فى العادة في وضع أضعف من الدائن يجئ القرآن فيجعل الطرف الأضعف هو الذى يملى ما يكتب هذا بمثابة نفى شبهة اجبار المدين على ما هو غير حق عندما يملى الطرف الأقوى وهو الدائن .

" واستشهدوا شهيدين من رجالكم " اشتراط شاهدين يعمل على زيادة الضمان " من رجالكم " زيادة تأكيد لأنهم من المؤمنين الذين خوطبوا فى صدر الآية .

" ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا " هذا التحذير لمن يمتنع عن الشهادة يعمل هو أيضا على زيادة الضمان .

" ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله " هذا الجزء من الآية يعمل على تأكيد الضمان من جانبين ، الأول الأمر بالكتابة حتى وإن كان المبلغ صغيرا ، والثانى تحديد الأجل . هذا كله لتأكيد الضمان ولمنع المنازعات .

" ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم " إذا كان قد صدر أمر لمن يطلب للشهادة ألا يأبى فيجئ هذا الجزء فيؤمن الكاتب والشاهد من أى ضرر يمكن أن ينالهما بسبب اشتراكهما فى هذا الأمر ، بل إن قول الله تعالى" وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم " افاد بأن الأضرار بالكاتب والشهيد لا يقتصر عليهما وحدهما وإنما يشمل أيضا المتعاملين ، بل إنه يمكن الاستنتاج من " بكم " بهذا الخطاب الجماعي أن الاضرار بهما يصيب المجتمع كله .

" واتقوا الله ويعلمكم الله " هذا الجزء من الآية جعل كل ما يتعلق بتوثيق الدين كتابة واشهادا وغير ذلك كله مرتبط بتقوى الله ، وهذا أضاف العناصر الايمانية للضمان وذلك بجانب العناصر المادية التى سبقت .

" فرهان مقبوضة " أفاد هذا الجزء أنه فى حالة تعذر الكتابة فإنه يلزم اتخاذ اجراءات أخرى لضمان الحقوق وهى الرهان ، والرهن فى ذاته أقوى ماديا من الكتابة.

" وليتق الله رب ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه "

ختمت الآية الأولي (٢٨٢) بقوله تعالي" والله بكل شئ عليم " وختمت الآية الثانية (٢٨٣) بقوله تعالى" والله بما تعملون عليم " وبهذا وضع أمر الدين وتوثيقه كله تحت الرقابة الإلهية ، والذين خوطبوا فى صدر الآية الأولي (٢٨٢) بصفة الإيمان يعرفون معنى وأهمية الرقابة الإلهية .

رابعاً: العناصر المجمعة للإطار الاقتصادى التشريعي بجناحيه

يقترح تجميع عناصر الإطار التشريعى بجناحيه السابق واللاحق وذلك لتظهر الصورة الكلية لهذا الإطار بأهدافه والعناصر العاملة عليه وهذا بدوره يظهر على نحو أكد الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

تظهر اللوحة البيانية (٢٧) عناصر الإطار الاقتصادى التشريعى . دون أن نعيد المناقشة عن العناصر التي تظهر في هذه اللوحة حيث قد سبقت هذه المناقشة فإنه يستنتج أن المنظومة المعرفية لآيات الربا في سورة البقرة من حيث الإطار الذى أحاط بها جاءت على نحو معجز . إن العقل البشري له قدراته على التصور . والإطار الذى احاط بآيات الربا من حيث الموضوعين اللذين اختيرا ومن حيث العناصر التى عملت فيهما ، ومن حيث الهدف المراد بهذا الإطار - إن هذا الأمر كله فوق قدرات العقل البشرى في التصور . وهذا هو الاعجاز المعرفى الذى تحاول هذه الدراسة أن تظهره . إن أقصى ما يستطيعه العقل البشرى مع هذه المنظومة هو أن يتفهمها لا أن ينشئها .

اللوحة البيانية (٢٧)

عناصر الاطار التشريعى الاقتصادى لآيات الربا - البقرة

الإطار التشريعي الاقتصادى

الجناح السابق

هدفه

التربية الاجتماعية

العناصر

١- الوفرة الاقتصادية المترتبة علي الصدقة

٢- تربية الحس الإنساني الصحيح

٣- تحريك الحس بإدخال الأسرة

٤- تأمين معطي الصدقة بتقرير غني الله / المعطي

٥- الحث علي الصدقة بالوعد بالمغفرة

٦- الحث علي الصدقة بالمصلحة الشخصية

٧- الحث علي الصدقة بأمثلة تولد المشاعر العاطفية

٨- التأمين من الخوف والحزن

الآيات : ٢٦١ - ٢٧٤

آيات الربا

الآيات

٢٧٥-٢٨١

الجناح التالي

هدفه

تأمين المقرض

العناصر :

أ- التأمين المادي :

١- كاتب عدل

٢- المدين هو الذي يملي

٣- شاهدا عدل

٤- الأمر بقبول الشهادة

٥- حماية الكاتب والشاهد

٦- الرهان

ب - التأمين الإيماني :

١- الإيمان

٢- تقوي الله

٣- الرقابة الإلهية

الآيات ٢٨٢ - ٢٨٣

الآيات ٢٦١ - ٢٨٣

الدراسات القرآنية حول تناسب الآيات والسور كثيرة ومتنوعة . بعض هذه الدراسات يربط السورة كلها معا أو السورة بما قبلها وما بعدها . فى الدراسة التى نقدمها حول المنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا نحاول أن نتوسع إلى حد ما فى التعرف علي الآيات التى سبقت والتى تلت آيات الربا وذلك لاثبات علاقة التناسب بين موضوع هذه الآيات وموضوع الربا .

فى الفرع السابق أثبتنا علاقة التناسب بين آيات الربا والآيات السابقة عليها مباشرة وكذلك الآيات التالية لها مباشرة عرض هذا تحت عنوان الإطار العقيدى الإقتصادى التشريعى .

عندما نظر فى الآيات التى جاءت قبل وبعد آيات الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعي بجناحيه السابق واللاحق تبين أن الحديث فيهاعن أمور عقيدية لها ارتباطها بأمور اقتصادية عامة ، بعبارة أخرى إن هذه الأمور العقيدية تحمل في ثناياها مضامين اقتصادية عامة . وكلمة عامة للمقابلة مع تشريعية فى الفرع السابق . تتقدم لدراسة هذا الإطار الذى سميناه الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام .

أولا الجناح السابق للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام

يقول الله سبحانه وتعالى : فى سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

النظرة التحليلية للآيات الثلاث المذكورة تبين أن موضوعها هو خلق الحياة الدنيا أو ايجادها ثم انتقل من هذا الموضوع إلى الإحياء للآخرة .

الآية ٢٥٨ تضمنت الحوار بين نبى الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وبين نمرود ، وكان ملكا جبارا [1] ، وموضوع الحوار هو قضية الإحياء أو الخلق ، هذه هى القضية الأساسية . قضية أخرى ربطت بموضوع الخلق هي قضية التحكم فى الكون وتسيير اجرامه ، وأعطى مثل بالتحكم في تسيير الشمس أكبر الاجرام المشاهدة بالنسبة للمخاطبين بالقرآن الكريم عند نزوله .

عرضت الآية ٢٥٩ أيضا لقضية الخلق أو قضية الاحياء واتجه الحديث فيها إلى إعادة الإحياء فى الآخرة ولكن جاء فى ثنايا ذلك حديث عن الاحياء فى الدنيا بأمثلة من واقع الحياة وقد ختمت الآية بصفة من صفات الله وهى القدرة والتي ترتبط ارتباطا مباشرا بالتنفيذ .

الآية ٢٦٠ موضوعها أيضا قضية الإحياء والخلق وبدأ الحديث فيها عن الاحياء في الآخرة ولكن كان أيضا أمر الخلق والاحياء في الدنيا محل ذكر وختمت الآية بصفتين من صفات الله سبحانه وتعالى هما العزيز والحكيم ، والصفتان لهما ظهورهما الواضح فى قضية الخلق والاحياء .

خلق الله للعالم والإيمان به يدخل في العقيدة لهذا يمكن القول أن موضوع الآيات الثلاث داخل فى الأمور العقيدية ويكون العنوان المستخدم لهذه الفقرة وهو الإطار العقيدى الاقتصادى العام لآيات الربا قد فسر جزء منه وهو العقيدة .

جعل هذا الإطار متضمنا عنصرا اقتصاديا مع العنصر العقيدى له تفسيره ؛ إن الخلق يشمل كل اشكال الحياة اقتصادية وغيرها لهذا يكون مقبولا أو مبررا أن يعتبر الحديث عن خلق الحياة هو حديث أيضا عن خلق الجانب الاقتصادى فيها . يعمل ايضا علي تبرير ادخال العنصرالاقتصادى فى تسمية هذا الاطار الأمثلة التى جاءت فى الآيات الثلاث ، إنها كلها أمثلة من واقع الحياة الاقتصادية لكن الأمور الاقتصادية التي ذكرت ليست من قبيل التشريعات الاقتصادية وإنما هي امور اقتصادية عامة .

ثانيا : الجناح التالى للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادي العام

موضوع الآيات التالية مباشرة لآيات الربا هو توثيق الدين وهما الآيتان ٢٨٢ و٢٨٣. وقد اعتبرت الآيتان تمثلان الإطار الاقتصادى التشريعى التالى لآيات الربا .

فى الآية ٢٨٤ يقول الله سبحانه وتعالى

لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

---

(١) ابن عاشور ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢ .

يبين النظر فى هذه الآية أنها تثبت ملكية الله سبحانه وتعالى ، ملكيته لكل شئ ، فهى ملكية عامة مطلقة شاملة ، وهي ملكية هيمنة وتصرف ، وهي ملكية تسبق ملكية أى كائن وتتلوها ؛ وهى ملكية أزلية فى القدم وباقية للأبد .

عندما تستخدم كلمة ملكية فإنها تحيل بطريقة مباشرة وقريبة إلى الاقتصاد . هذا المعنى الاقتصادي للملكية وارد فى الآية ضمن انواع اخرى لملكية الله ، يمكن بناء على هذا أن نقول إن الآية التي معنا موضوعها اقتصادى ، او على الاقل مرتبطة بالاقتصاد.إعادة النظر فى الآية ٢٨٤ يبين أن العنصر الاقتصادى فيها ليس من قبيل الاقتصاد التشريعى وإنما هو اقتصاد عام فيه عنصر عقيدى ، ذلك أن الحديث فى الآية عن الملكية لله فالأمر مرتبط بالعقيدة وتفريع عليها .

العنصر العقيدى يظهره أكثر من معنى جاء فى الآية ؛ فالآية فيها " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " فهذه إشارة للرقابة الإلهية ، وفى الآية ايضا " فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير " هذا أيضا عنصر عقيدى ، وأخيرا " والله على كل شئ قدير " فهذا أيضا أمر عقيدى .

إذا قارنا بين موضوع الآيتين ٢٨٢ و٢٨٣ وموضوع الآية ٢٨٤ فإننا نجد أن موضوع الآيتين اقتصادى تشريعى بينما موضوع الآية ٢٨٤ هو اقتصادى عام مع عنصر عقيدى . لذلك إذا كنا قد اعتبرنا الآيتين تمثلان الإطار الاقتصادى التشريعى التالى لآيات الربا فيقترح أن تعتبر الآية ٢٨٤ تمثل الإطار العقيدى الاقتصادى العام التالى لآيات الربا ، وهذه التسمية مبررة وذلك لوجود عنصر اقتصادى عام بجانب العنصر العقيدى.

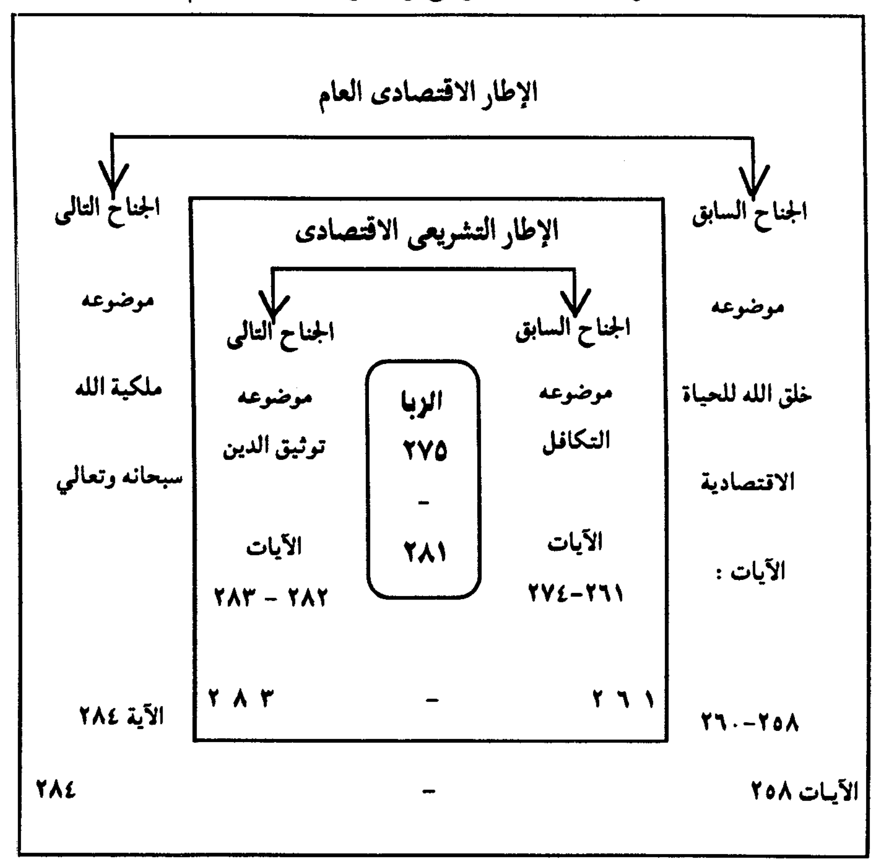
ثالثا : *العرض البيانى للإطار الاقتصادى التشريعى والإطار الاقتصادى العام .*

نفترح أن نعيد عرض اللوحة البيانية التي انتهينا إليها عند الحديث عن الإطار الاقتصادى التشريعى ، وبحيث تطور هذه اللوحة لتسع الذي نعرضه الآن وهو الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام .

اللوحة البيانية (٢٨) هى اللوحة المطلوبة وهى تظهر أن الآيات التى موضوعها الربا جاءت محاطة بإطارين ، الأول إطار عقيدى اقتصادى تشريعى والثانى إطار عقيدى اقتصادى عام ، وكلا الإطاريين له جناح سابق وجناح تال .

اللوحة البيانية (٢٨)

الاطار الاقتصادى التشريعى والاطار الاقتصادى العام



نقترح أن ننظر أعمق فى اللوحة (٢٨) . إنها تظهر ثلاثة موضوعات الربا والإطار الاقتصادى التشريعى والإطار العقيدى الاقتصادى العام . نحاول التقدم فى الدراسة بحيث تظهر الروابط والعلاقات بين الموضوعات الثلاثة . سبق أن اشير إلى الروابط والعلاقات بين موضوع الربا وبين موضوع الإطار الاقتصادى التشريعى بشقيه السابق واللاحق ، لذلك فإن عرض الروابط والعلاقات بين الإطار العقيدى الاقتصادى العام والموضوعين الآخرين يستكمل الدراسة المتعلقة بالروابط .

يتكون الإطارالعقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام من جناحين ؛ السابق وموضوعه الخلق والاحياء متضمنا العنصر الاقتصادي والتالى وموضوعه ملك الله المطلق والشامل متضمنا العنصر الاقتصادى . الرابطة واضحة بين الخلق والملك . إن

العقل السليم لا يشاح فى أن من يخلق هو الذى له الحق أن يملك . إن هذا ينطبق فى دنيا الناس فما بالنا بعالم الألوهية ؛ حيث القدرة على الخلق مطلقة ، لذلك يكون حق الملك مطلق وعام وشامل وأزلى ودائم . بناء على ذلك يربط بين جناحى الإطار العقيدى الاقتصادى العام : الخلق والملك .

الترتيب بين جناحى الإطار العقيدى الاقتصادى العام هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا ، إن الخلق يحدث أولا ثم يجئ الملك ولا يتصور أن يقوم ملك قبل أن يخلق الشئ الذى يمتلك .

نصل إلى نتيجة هى أن عنصرى الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام تقوم بينهما الروابط التى يسلم بصحتها عقلا ، كما أن الترتيب الذى جاءا فيه وهو الخلق ثم الملك هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا .

العنصر السابق فى الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام وهو الخلق له روابطه مع العنصر السابق في الإطار الاقتصادى التشريعى وهو التكافل الاجتماعى ، العنصران متجاوران فى الآيات . الفطرة السليمة تقبل أن الذى يخلق له الحق فى أن يشكل العلاقات فى المجتمعات التى يخلقها علي النحو الذى تشاؤه إرادته وفق علمه الأزلى ، فأن يوجد فى المجتمع فقير وغنى فهذا وفق إرادة الله والخالق لذلك هو الذى جاء أمره في الآيات التي أمرت بالانفاق للتكافل الاجتماعى .

مجئ آيات التكافل الإجتماعى بعد آيات الخلق يتضمن رسالة صريحة هى أن الخالق سبحانه وتعالى هو الذى يأمر بما جاء فى آيات التكافل ، ولأنه هو الخالق فتجب الطاعة له ولأنه هوالخالق فإنه أعلم بالمصلحة فى الذى يخلقه ، وخلق مجتمعات فيها غنى وفقير فإن هذا لمصلحة وأنه شرع التكافل فى هذه المجتمعات فإن هذا لمصلحة .

يظهر هذا التحليل أنه توجد علاقات وروابط بين الخلق وهو العنصر السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادي العام والتكافل وهو العنصر السابق في الإطار الاقتصادى التشريعى ، كما يستنتج من هذا التحليل أن مجئ الحديث عن الخلق أولا ثم مجئ الحديث عن التكافل بعده هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا ، إن حق التدخل فى تنظيم المجتمع هو حق مرتب على خلق هذا المجتمع .

تشريع الربافيه آخر درجات النهى وهو التحريم ، وهو نهى يمس ما يبدو أنه حرية الشخص فى التصرف في ملكيته أو ما هو موضوع تحت تصرفه لذلك فإن هناك حاجة قوية لأن يربى الفرد مسبقا على سلوكيات تعمل على ما فوق (الأنا) وبحيث يهيأ لقبول تشريع الربا وهو على النحو الموصوف .

الآيات السابقة مباشرة على الربا وموضوعها التربية النفسية الاجتماعية للفرد مثلث الإطار الاقتصادى التشريعى المجاور لآيات الربا وقد سبق عرض هذا الموضوع .

العنصر السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام وموضوعه الخلق متضمنا البعد الاقتصادى هذا الموضوع ايضا يعمل على ضبط سلوكيات من يتلقى تشريع تحريم الربا ، وليس الأمر هنا قاصرا على ضبط السلوك المادى وحده وإنما يشمل أيضا الجوانب الاعتقادية . إن الرسالة التى تعطيها الآيات التى تتكلم عن الخلق وإعادة الاحياء لمن يتلقى تشريع تحريم الربا هي أن الذى يأمر بتحريم الربا هو الخالق للحياة بما فيها الحياة الاقتصادية وهو يعرف ما يجب أن تكون عليه مخلوقاته . على هذا يربط بين الآيات التى جاءت وموضوعها الخلق وبين آيات الربا . بعبارة أخري يربط بين الجناح السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام وموضوع الربا .

خلق الحياة كلها بما فيها الحياة الاقتصادية والتكافل الاجتماعى على مستوى المجتمع (المحلى) وتحريم الربا ، هذه الموضوعات الثلاثة نحس فيها تدرجا منطقيا من حيث الاتساع . الخلق هذا على مستوى العالم كله ، التكافل هو على مستوى مجتمع محلى . إن هنا تدرج من العالم إلى المجتمع المحلى ، ثم يصل الأمر إلى الفرد الذي يوجه إليه تشريع تحريم الربا .

العنصر التالى فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام موضوعه الملكية ، هذا العنصر له روابطه مع العنصرالسابق فى إطاره وموضوعه الخلق وقد عرضنا هذه الرابطة .

موضوع الملكية له ارتباطاته بموضوع التكافل ذلك ان التكافل هو قضية مثارة بين من يملك ومن لا يملك . لذلك يكون متلائما مع إثارة قضية التكافل أن تعرض قضية إيمانية متعلقة بالمالك الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى .

تشريع الربا يبدو فى ظاهره أنه قيد على حرية وتصرف المالك فى ملكيته أو ما هو موضوع تحت تصرفه لذلك يكون متلائما مع هذا التشريع أن تعرض معه قضية إيمانية تحدد المالك الحقيقى الذى له الحق أن يحدد أوجه وإشكال التصرف وهو الله سبحانه وتعالى .

الدَّين هو ايضا قضية ملكية ، لذلك لاءم ان يعرض مع هذه القضية قضية إيمانية يتحدد فيها المالك الحقيقى الذى يعطى ويؤمن .

يمكن القول عند هذه المرحلة من المناقشة عن المنظومة المعرفية لآيات الربا والأطر المحيطة بها أن هذه المنظومة من حيث الموضوعات التى جاءت سابقة على آيات الربا وكذلك الموضوعات التى جاءت تالية لها وايضا الترتيب فى عرض هذه الموضوعات هذا الامر كله جاء على نحو يعجز العقل البشرى عن انشائه بداية وإنما دور العقل البشرى

هو أن يتفهمه بعد أن جاء به القرآن الكريم على هذا النحو . وهذا هو الاعجاز القرآنى فى المنظومة المعرفية لآيات الربا

الفرع الرابع : الإطار العقيدى البحت لآيات الربا - البقرة

التوسع في دراسة السياق فى القرآن الكريم منهج معمول به لدى بعض المشتغلين بالتفسير لذلك لا حرج منهجيا أن نحاول أن ننظر فى آيات جديدة محيطة بآيات الربا وذلك بهدف أن نكتشف رابطة بينها وبين آيات الربا متضمنة الإطارين اللذين سبق عرضهما وهما الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى والإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام .

اعمالا لهذا المنهج المتوسع فى دراسة السياق فقد نظر فى الآيات السابقة والتالية لآيات الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام وقد تبين أن الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ وهى السابقة على آيات الاطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام موضوعها عقيدى بحت وكذلك تبين أن الآية ٢٨٥ وهى التالية للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام موضوعها عقيدى بحت لذلك يكون مقبولا عقلا ان يستنتج أن هذه الآيات السابقة واللاحقة تكمل الأطر المحيطة بآيات الربا أى تكمل أو تغلق دائرة من الآيات المحيطة بآيات الربا .

القبول العقلى لهذا الإرتباط يدعمه أن سلسلة الأطر تكون على النحو الآتى : اطار عقيدى بحت وإطار عقيدى ذو مضمون اقتصادى عام وإطار عقيد اقتصادى تشريعى ثم يجئ الربا هكذا تكتمل دائرة الأطر المحيطة بآيات الربا . هذا الكمال فى الأطر يقوم أيضا دليلا على الاقتراح باعتبار الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ والآية ٢٨٥ تمثل الإطار العقيدى البحت المحيط بآيات الربا .

أولا : الجناح السابق للإطار العقيدى البحت

يقول الله سبحانه وتعالى :

اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ سورة البقرة

تبدأ الآية ٢٥٥ بتقرير وحدانية الألوهية فهى تقرر أنه لا إله إلا الله (سبحانه وتعالى) وتورد الآية بعد ذلك صفات لله عز وجل وكذلك أفعال هي من خصائص الألوهية .

تقرر الآية ٢٥٦ الحرية الدينية والارتباط بين هذه الآية والتى قبلها هو فى أعلا درجة من المعقولية ذلك أن الآية السابقة موضوعها وحدة الألوهية بخصائص الالوهية المسلم بها وبعدها تجئ الآية ٢٥٦ لتقرر حرية الاعتقاد ، والاختيار فى هذه الحالة يكون محسوما لصالح الرشد فى القرار بعد السبق ببيان خصائص الألوهية .

موضوع الآية ٢٥٧ متعلق أيضا بالألوهية هذه الآية تعطى تفصيلات عن فريقين : أولياء الله وأولياء الشيطان هذان الفريقان يناظران الفريقين المذكورين فى الآية ٢٥٦ ، وهما فريق الرشد وفريق الغى ؛ أى أن الآيتين مرتبطتان .

يتبين أن الآيات الثلاث ٢٥٥ - ٢٥٧ موضوعها واحد وهو الألوهية لذلك يتقرر أنها مرتبطة معا ويكون مقبولا أن تعتبر أنها تمثل وحدة واحدة ، وباللغة التى تستخدم فى هذا البحث بأنها تعتبرا إطارا ، وهو إطار موضوعه العقيدة لذلك سميت الإطار العقيدى البحت .

ثانيا : *الجناح التالى للإطار العقيدى البحت*

يقول الله سبحانه وتعالى :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

تقرر هذه الآية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله أى أن موضوعها أمر عقيدى بهذا فإن ربطها أو جعلها فى إطار واحد مع الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ يكون له تبريره العقلى .

نقترح إعادة عرض الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ والآية ٢٨٥ وهذا العرض سوف يبين الإرتباط القوى بين هذه الآيات جميعها .

اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ . . . .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

إعادة قراءة هذه الآيات يبين أنها مرتبطة معا وبحيث لا يبدو الانتقال من الآية ٢٥٧ إلى ٢٨٥ أنه انتقال من موضوع إلى موضوع آخر وإنما هو موضوع واحد وهو موضوع عقيدى . هذا الارتباط القائم بين هذه الآيات يجعلنا نعتبرها وحدة واحدة ثم إن هذا الارتباط بين هذه الآيات ، ٢٥٥ - ٢٥٧ و٢٨٥ ييسر قبول الاقتراح أن ما بين هذه الآيات أى الآيات ٢٥٨ - ٢٨٤ يندرج داخل الإطار العقيدى البحت ، أى ما يعمل عليه الموضوع الذى جاء بهذا الإطار .

النتيجة التى يصل إليها البحث من خلال المناقشة السابقة هى أن موضوع الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ والآية ٢٨٥ واحد وهو موضوع عقيدى . بهذا يكون قدم تفسير وتبرير لجعل هذه الآيات تمثل إطارا واحدا هو الإطار العقيدى .

الذى يتبقى ويحتاج إلى تفسير هو الربط بين هذا الإطار العقيدى البحت والإطار العقيدى الاقتصادى العام والإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى ثم آيات الربا .

الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ موضوعها عقيدى بحت والآيات ٢٥٨ - ٢٦٠ موضوعها عقيدى ذو مضمون اقتصادى عام والآيات ٢٦١ - ٢٧٤ موضوعها عقيدى اقتصادى تشريعى ثم تبدأ آيات الربا بالآية ٢٧٥ . هذه السلسلة من الأطر فى ذاتها معجزة وهي تضع أمر الربا فى مرحلة فى التسلسل بحيث أن الشخص الذى يتشرب القرآن الكريم ويتدرج إيمانيا معه يصل إلى آيات الربا وقد تشكل وجدانه تشكيلا إيمانيا صحيحا بحيث يقبل تشيرع تحريم الربا .

نحاول أن نزيد فى ايضاح هذا الأمر إن الربا بلاء ابتليت به الإنسانية قديما فهو أمر موغل فى التاريخ وأيضا فإنه يمثل علاقة بين طرفين والربا موغل فى قضية الصراع بين الغنى والفقير والقوى والضعيف ، ثم ان الله جلت قدرته علم أن الربا سيكون من أشد الابتلاءات التى سيبتلى بها الإنسان على نحو ما هو موجود فى المجتمعات المعاصرة ، يضاف إلى كل ذلك أن تشريع تحريم الربا يبدو وأنه تدخل فى حرية الشخص فى التصرف فى ثروته الخاصة على النحو الذي يراه وليس على النحو الذى حدده له الشرع .

لما كان الربا على هذا النحو لذلك جاء في القرآن الكريم موضوعا في هذه السلسلة من الأطر وهذه السلسلة من الأطر هي سلسلة من التربية الإيمانية للشخص الذى يخاطب بتشريع تحريم الربا .

الآيات التي تتحدث عن الربا هى الآيات ٢٧٥ - ٢٨١. بعدها جاءت آيات الإطار العقيدي الإقتصادى التشريعى ، الآيتان ٢٨٢ و٢٨٣ ، والمعقولية واضحة وقوية بين آيات الربا الذى هو موضوع اقتصادى وآيات الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى التالى ، إن الأمر كله تشريعات اقتصادية ، ثم جاءت الآية ٢٨٤ وهى تمثل الجناح التالى للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام . إن العنصر العقيدى بدأ يظهر متضمنا معه العنصر الاقتصادى . هكذا لم يتم الانتقال المفاجئ من التشريع الاقتصادى إنما جاء الانتقال متدرجا ثم تجئ الآية ٢٨٥ وهي تمثل الإطار العقيدى البحت ويكون ادخال أمر العقيدة جاء أيضا متدرجا .

نعتقد أنه بهذا التوضيح يكون قد ربطت سلسلة الأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا بعناصرها الستة وكذلك ربطت كلها بآيات الربا .

لزيادة توضيح الربط بين الموضوعات فى هذه السلسلة من الأطر نواصل التحليل . الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ موضوعها الألوهية بصفاتها القاهرة والمسيطرة وجاء في سياقها الحديث عن الرشد والغى و ولاية الله وولاية الطاغوت انتقل القرآن الكريم من موضوع الألوهية بصفة عامة إلى خلق الله للحياة بما فيها الحياة الاقتصادية (الآيات ٢٥٨ - ٢٦٠) ثم انتقل من خلق العالم على النحو الاجمالى الموسع إلى مجتمع بعينه واختير التكافل الاجتماعي موضوعا للتشريع على هذا المستوى (الآيات ٢٦١ - ٢٧٤) ثم جاءت آيات الربا ٢٧٥ - ٢٨١ لتعمل عليها الموضوعات الثلاثة السابقة .

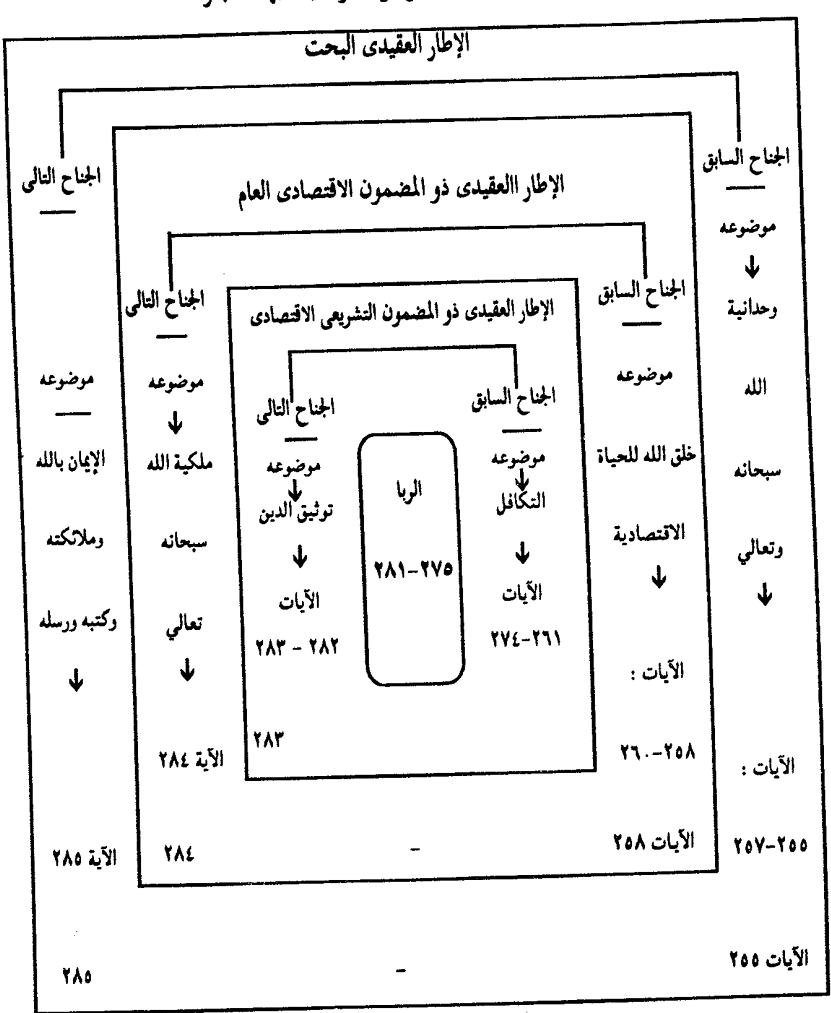
بعد آيات الربا تجئ آيات توثيق الدين ؛ الآيتان (٢٨٢ - ٢٨٣) وسبق بيان الملاءمة بين الموضوعين ثم جاءت آية ٢٨٤ وموضوعها ملكية الله سبحانه وتعالى وأخيرا تجئ الآية ٢٨٥ التي تعود بالأمر كله إلى الجانب العقيدى . والآية الاخيرة ابرزت إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل الله .

ثالثا : *العرض البياني للأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا - البقرة*

إن عرضا بيانيا لهذه الأطر الثلاثة يمكن أن يعمل على اظهار الهيكل العام للمنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا التى جاءت في سورة البقرة ويظهر هذا العرض البيانى في اللوحة (٢٩) .

اللوحة البيانية (٢٩)

المنظومة المعرفية لآيات الربا وللأطر المحيطة بها - البقرة



الفرع الخامس : أوجه اعجاز تجميعية للمنظومة المعرفية لآيات الربا - البقرة .

تضمنت الفروع السابقة فى هذا المبحث عرضا ومناقشة لآيات الربا في سورة البقرة وقد عرضت تحت عنوان آيات السياق الداخلى ، ثم عرضت الأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا . فى خلال العرض والمناقشة لموضوعات الفروع الأربعة السابقة كان يشار إلى عناصر إعجاز في المنظومة المعرفية والأطر المحيطة بها .

يعقد هذا الفرع ليخصص بكامله لتجميع أوجه اعجاز جديدة فى المنظومة موضع الدراسة وذلك من خلال نظرة عامة كلية تحاول أن تجمع كل العناصر الفاعلة فى هذا الإعجاز . وسوف يعمل على تجنب التكرار فى العرض ما أمكن وذلك لتظهر عناصر جديدة من هذا العرض التجميعى .

أولا : الاعجاز في ترتيب الأطر

لقد جاءت آيات الربا محاطة بأطر رتبت موضوعاتها على النحو الآتى : إطار عقيدى بحت يليه إطار عقيدى اقتصادى من قبيل الافكار العامة يليه إطار عقيدى اقتصادى تشريعى ثم تجئ آيات الربا وهى تشريع لموضوع اقتصادى .

بعد آيات الربا جاء الإطار التالى مباشرة إطارا عقيديا اقتصديا تشريعيا يليه اطار عقيدى اقتصادى من قبيل الافكار العامة ثم تغلق الدائرة باطار عقيدى بحت .

ترتيب الموضوعات على هذا النحو فيه درجة تنسيق وانسجام وتآلف فوق أن يعمله العقل البشرى وكل دور العقل البشرى فيه هو محاولة أن يتفهمه ويستوعبه . هذا وجه للاعجاز في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

ثانيا : الاعجاز فى العنصر العقيدى

العنصر العقيدي السابق على آيات الربا يتعلق بوحدانية الله واثبات صفات له من قبيل العلم والقدرة والولاية المطلقة على البشر والعنصر العقيدى المقابل له والذى جاء تاليا لآيات الربا يتعلق باثبات ايمان الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنين . إن الاعجاز فى هذا الإطار العقيدى يظهر فى أكثر من وجه . لقد جاء العنصر العقيدى سابقا على آيات الربا بدرجتين وجاء تاليا لها بدرجتين . إن الترتيب علي هذا النحو وبهذه الدقة غير المتناهية فوق طاقة البشر وهذا وجه للاعجاز فى هذه المنظومة ، ثم إن العنصر العقيدى افتتحت به الأطر وانتهت به فالأمر العقيدى هو البداية والنهاية وهو الحاكم العام فى الإطار .

العنصر العقيدى السابق يتعلق بوحدانية الله وولايته المطلقة على البشر ، المؤمن الذى يتربى على ذلك يقاد تلقائيا إلي تشريع تحريم الربا. إن التربية مرحلة سابقة على الأمر ، لأن التربية هى التى تضمن الالتزام بما يؤمر به. أما العنصر العقيدى التالى لآيات الربا فهو الإعلان بأن الرسول والمؤمنين آمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ومما أنزل إليهم تشريع تحريم الربا . إن مجئ ولاية الله علي البشر سابقة على آيات الربا ومجئ ايمان الرسول والمؤمنين بما انزل إليهم من ربهم تاليا ، ترتيب مجئ الموضوعين على هذا النحو هو شكل من اشكال الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا .

ثالثا : الاعجاز فى العنصر الاقتصادى

جاء العنصر الاقتصادى إطارا محيطا بالربا علي النحو الآتى : بدأ بأفكار اقتصادية عامة تتعلق بخلق الله سبحانه وتعالى للاشياء مع احالة بصفة خاصة إلى الخلق فى مظاهره الاقتصادية بعد ذلك جاء تشريع اقتصادى متعلق بالتكافل الاجتماعى . هذين العنصرين يوجهان للعمل مباشرة على تربية المؤمن ، أولا تربية مع الله فى أنه الخالق وبيده تصريف الأمور ثم ثانيا تربية المؤمن مع مجتمعه بحيث يتفاعل مع هذا المجتمع تفاعلا إيجابيا مسئولا .

باكتمال التربية الاقتصادية العقيدية يصبح المؤمن فى حالة ملائمة لتلقى التشريع الإلهى فى الموضوع الاقتصاى المقصود وهو الربا . توجد ملائمه شديد وقوية بين التشريع الاقتصادى فى الإطار وهو التربية على الانفاق للتكافل الاجتماعى أى التربية على الاحساس الاجتماعي بالآخرين وبين تحريم الربا وحيث يعتبر الربا من أسوأ صور الاستغلال الاقتصادى من الانسان لأخيه الإنسان إن لم يكن أسوؤها . إن مجئ التربية على هذين المستويين مع الله ومع المجتمع ومجيئها سابقة على تشريع تحريم الربا ، ومجئ التربية مع المجتمع فى صورة تشريع اقتصادى وليست افكارا عامة - إن هذا كله يتضمن عناصر اعجاز فوق طاقة العقل البشرى .

بعد تلقى تشريع تحريم الربا يجئ تشريع اقتصادى وهو المتعلق بتوثيق الدين واثباته. والملائمة شديدة القوة والوضوح بين تحريم الربا وتوثيق الدين واثباته وذلك أن الذي يقرض قرضا حسنا بدون فائدة ينبغى أن يضمن له أنه سوف يسترد المبلغ الذى اقرضه ، لهذا السبب تجئ الآيتان التاليتان لتحريم الربا وفيهما التشريع الإلهي الاقتصادى الكامل والنموذجى لتوثيق الدين واثباته .

أخيرا يجئ العنصر الاقتصادى الرابع والأخير وهو تقرير ان الملكية لله سبحانه وتعالى . موضوع هذا العنصر هو اثبات أن الله هو مالك كل شئ . والملاءمة شديدة الوضوح وغاية في القوة بين هذا العنصر الاقتصادى وبين تحريم الربا ذلك أن الذى يقرض بدون ربا يضحي بالعائد المادى الذى كان من الممكن أن يحصل عليه ، لهذا يجئ هذا العنصر الذى يثبت أن الله مالك كل شئ وأن هذا المالك هو الذى شرع تحريم الربا وإذن فإنه قادر أن يعوض الذي أقرض بدون ربا من ملكيته الواسعة التى لا نهاية لها .

بتوثيق الدين واثباته بطريقة تضمن حصول المقرض بدون فائدة على حقه كاملا وبالايمان بإن الله هو مالك كل شئ وأنه هو الذى يعطى للمقرض والمقترض وأنه بهذا قادر من ملكه وملكيته سبحانه وتعالى وحده أن يعوض المقرض الذى أقرض بدون فائدة ، بهذين العنصرين تكتمل دائرة الضمان أى ضمان المقرض لحقه ، ضمان على المقترض ، وضمان من الله سبحانه وتعالى .

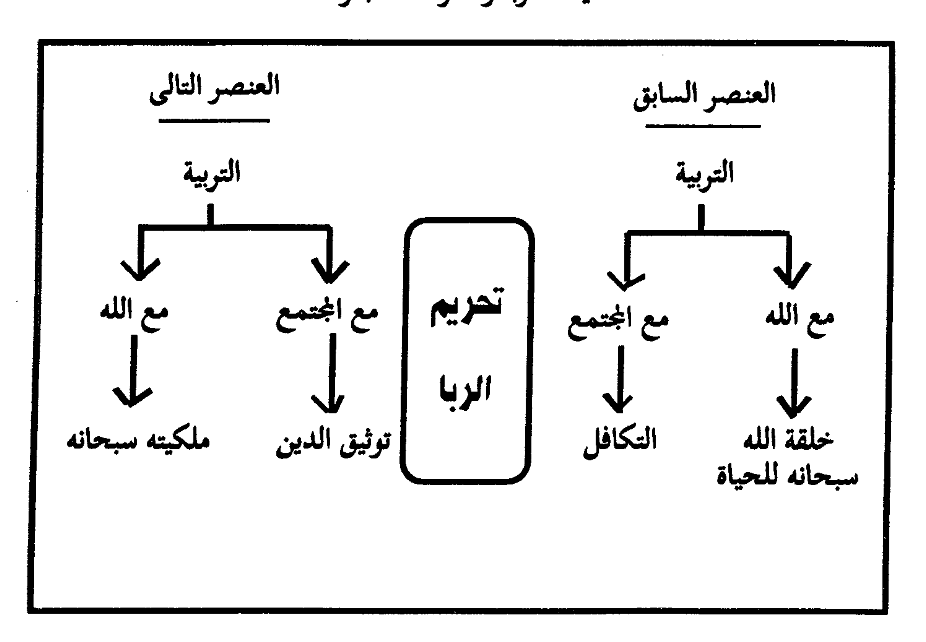
رابعا : الاعجاز فى التربية العقيدية الاقتصادية

يمكن أن يصور بيانيا تحريم الربا بين التربية والضمان وهذا ما تظهره اللوحة البيانية (٣٠) . فى هذه اللوحة يظهر الاطارالسابق وهو إطار التربية ويشتمل على عنصرين التربية الإيمانية الاقتصادية مع الله سبحانه وتعالى ثم التربية الاجتماعية الاقتصاية مع المجتمع ، ويظهر الإطار التالى وهو إطار الضمان ويشتمل على عنصرين التربية الاقتصادية الاجتماعية وذلك بتوثيق الدين ثم ضمان إيمانى اقتصادى بالاعتقاد بأن الله سبحانه هو المالك الحقيقى ومالك كل شئ .

اللوحة البيانية (٣٠)

التربية العقيدية الاقتصادية فى المنظومة المعرفية

لآيات الربا ولأطرها - البقرة



مجئ تحريم الربا محاطا بهذين الإطارين والمتضمنين للتربية الإيمانية والمجتمعية والضمان البشرى والإلهى يمثل المعقولية الوحيدة فى الصياغة . إن الربا بلاء عرفته البشرية منذ حقب بعيدة فى التاريخ ثم إن الربا كسب سهل بدون عمل ففيه اغراء والنفس السوية هى التى تقاومه . لهذه العوامل ولغيرها فإن اقتلاع الربا يحتاج إلى تربية قوية ، تربية على الإلتزام بالتشريع الإلهي الذى يجئ لتحريم الربا ، وتربية على التآلف والتحاب والتواد مع المجتمع ، لهذا يجئ القرآن بتشريع تحريم الربا مسبوقا بنموذج تربوى كامل .

ثم إن مجئ الربا متلوا بضمانات للمقرض فهذا أيضا يمثل اعلا درجات المعقولية لأن الذى يتنازل عن الربا يحتاج إلى ضمان والآيات التى تلت تشريع الربا جاءت بهذا الضمان وجاء الضمان وافيا بالمقصود ؛ ضمان من المقترض بوثيقة مشهود عليها ومأمور بها من الله ومربى الشاهد اسلاميا وفق ما جاء فى الآية وضمان من الله المالك الذى يقدر إن شاء أن يعوض من ملكه وملكيته المقرض .

يمكن القول أيضا أن مجئ التربية سابقة على التشريع الاقتصادى ثم مجئ الضمان تاليا لتشريع تحريم الربا يمثل نموذج الصياغة الذى لا نظير له ، ذلك أن من الطبيعى أن يربى الانسان أولا لتتهيأ نفسه لقبول التشريع وبعد الإلتزام بالتشريع يؤمن بالضمان.

إن مجئ المنظومة المعرفية للأطر الاقتصادية المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة فى صياغة لا يستطيع العقل البشرى أن ينشئها وإنما كل دوره هو أن يتفهمها ، وبعد هذا التفهم يتفاعل إيجابيا معه ، إن النظم على هذا النحو معجز وهذا إثبات للفكرة التى نلح عليها فى هذه الدراسة وهي الاعجاز في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

خامسا : الاعجاز في تفاعل العناصر الاقتصادية

قوة الاعجاز في الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا تفتح بابا مستمرا لتداعى سلسلة من الافكار حول عناصر جديدة . فى إطار هذا التداعى للأفكار فإنه يقترح أن يعاد تصوير البيانات الواردة في اللوحة البيانية (٣١) بحيث تظهر وتبين ارتباطات جديدة في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

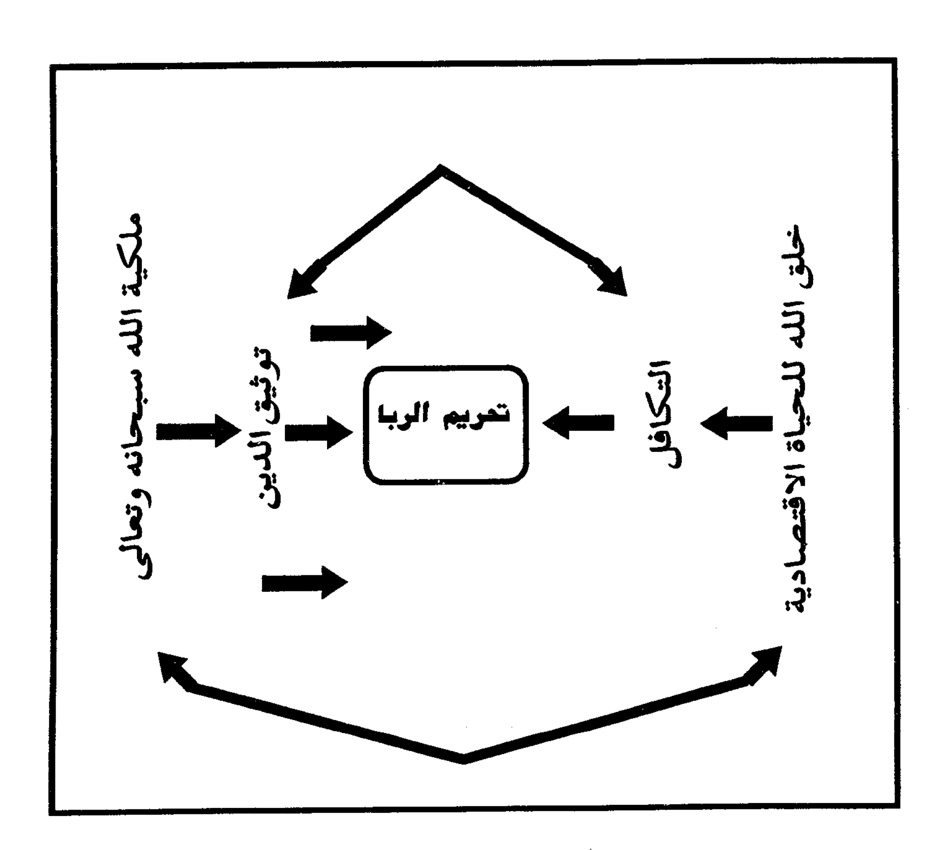
اللوحة البيانية (٣١) تعيد التعبير عن الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا فى سورة البقرة بعناصره الاربعة والتى تجمع فى موضوعين : التربية والضمان . على نحو ما يظهر فى الشكل فإن تحريم الربا تعمل عليه أربعة عناصراقتصادية مرتبطة معا وتتبادل التأثير . العنصر الأول الذى يبدأ به هو عنصر اقتصادى عقيدى وهو أن

الله سبحانه وتعالى هوالخالق للحياة كلها ومنها الحياة الاقتصادية ، هذا العنصر الأول يعمل مباشرة على العنصرالاقتصادى الثاني وهو تشريع التكافل الاجتماعي ، إن الخالق للحياة كلها وللحياة الاقتصادية جميعها يشرع للحياة الاقتصادية التكافلية للمجتمع ثم يشرع للحياة الاقتصادية على مستوى الفرد (تشريع تحريم الربا).

بعد تشريع تحريم الربا يجئ العنصر الاقتصادى الثالث وهو توثيق الدين وهذا العنصر مرتبط بكل الوشائج مع العنصر الاقتصادى الثانى وهو التكافل الاجتماعي لان كلا منهما يستهف الأمن الاقتصادى للمجتع . بعد ذلك يجئ العنصر الاقتصادى الرابع وفيه يتقرر أن الملك كله لله سبحانه وتعالى وهذا العنصر تفريع وترتيب على العنصرالاقتصادى الأول وهو خلق الله سبحانه وتعالى للحياة كلها بما فيها الحياة الاقتصادية .

اللوحة البيانية (٣١)

تفاعل العناصر الاقتصادية فى المنظومة المعرفية لآيات الربا ولأطرها - البقرة



مـجئ المنظومـة المعـرفـيـة لآيات الربا فى سـورة البـقـرة مـصـاغـة بحـيث تعطي الإرتباطات بين عناصرها الاقتصادية على النحو الذى أظهرته المناقشة السابقة يجعلنا نكرر القول بأن المنظومة المعرفية موضع الدراسة فوق طاقة العقل البشرى أن ينشئها وإنما كل دور العقل البشرى معها أن يتفهمها ويستوعبها ثم يعملها وهذا وجه للإعجاز المعرفى للقرآن الكريم .

سادسا : الاعجاز فى التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية

التفاعل بين العناصر الاقتصادية فيه بعد آخر بجانب البعد الذى سبقت دراسته فى (خامسا) ، يتمثل هذا العنصر الجديد فى إن التفاعل متبادل بين العناصر الفاعلة فى الإطار .

تظهر اللوحة البيانية (٣٢) هذا التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية . خلق الله للحياة الاقتصادية له ارتباطه بالانفاق للتكافل الاجتماعى وهو التشريع الاقتصادى الذى يسبق مباشرة آيات الربا وقد سبقت مناقشة لهذا الارتباط . خلق الله للحياة الاقتصادية له ارتباطه ايضا بتوثيق الدين ، إن خالق الحياة الاقتصادية بما فيها من موارد وسلوكيات الكائن البشري الاقتصادية هوالذى شرع توثيق الدين على النحو الذى جاء فى الآيات . إن خالق الحياة الاقتصادية يضبطها بأسباب ويضبط العلاقات الاقتصادية بين مخلوقاته من البشر بأسباب وتوثيق الدين هو واحد من الأسباب العاملة على ضبط العلاقات الاقتصادية بين البشر .

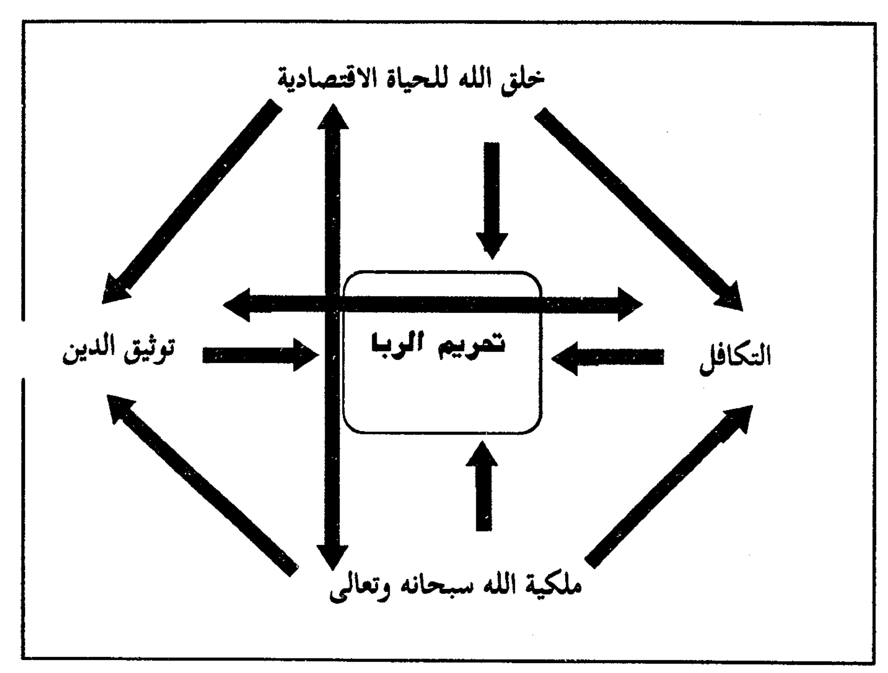
ملكية الله سبحانه وتعالى المطلقة لكل ما فى السموات والأرض لها ارتباطها بكونه الخالق للحياة ومنها الحياة الاقتصادية ، الملكية المطلقة لله لها ارتباطها بالتشريع للانفاق التكافلى ، إن للمالك أن يشرع فيما يملك منظما له على الوجه الذي يراه ، لقد خلق الله سبحانه وتعالى فقراء واغنياء وربط بينهم بأسباب منها تشريع التكافل ، إنه المالك المطلق فله التصرف المطلق .

ملكية الله المطلقة لها ارتباطها بتوثيق الدين ، إن كلامنهما يعمل على الضمان الاقتصادى للدائن ولدينه ، وليس هذا هو الجانب الوحيد الذى يربط بينهم إن الإيمان بإن الله سبحانه وتعالى له الملكية المطلقة يمثل ضمانة للدين أكبر من توثيق الدين نفسه.

إن هذا يمثل فهما للارتباطات القائمة بين عناصر الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا فى سورة البقرة . لا شك أنه لا يمثل الفهم الوحيد ، إنه ليس أكثر من فهم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الفهم فاتحة لأفهام أخرى تقدم عن هذا الموضوع فى القرآن الكريم وعن غيره من الموضوعات .

اللوحة البيانية (٣٢)

التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية فى المنظومة المعرفية لآيات الربا ولأطرها-البقرة



مجئ الإطار الإقتصادى المحيط بآيات الربا مكونا من عناصر توجد بينها هذه السلسة من الإرتباطات المتبادلة - هذا الأمر فوق كل القدرات المتصورة للعقل البشرى، وهذا أحد أوجه الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

سابعا : الاعجاز فى الهيكل العام للأطر

هذا الفرع الخامس مخصص لاستنتاج أوجه اعجاز تجميعية في الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة . عرضت ست فقرات في هذا الفرع لمناقشة هذا العمل التجميعى . الوجه الاعجازي التجميعى الذى نري أن نعرضه أخيرا يتعلق بالهيكل العام لموضوعات الأطر المحيطة بآيات الربافى سورة البقرة . سلسة الأطر المحيطة

بآيات الربا فى سورة البقرة تقسم إلى قسمين : قسم سابق على الآيات وقسم تال لها .القسم السابق يشمل على موضوعين . الموضوع الأول عقيدى : الألوهية بصفاتها القاهرة ، الموضوع الثانى اقتصادى : ويتكون من عنصرين : افكار اقتصادية عامة وتشريع اقتصادى .

القسم التالى : ويشتمل على موضوعين ، الموضوع الأول اقتصادى : ويتكون من عنصرين : تشريع اقتصادى وأفكار اقتصادية عامة . والموضوع الثانى عقيدى : الإيمان بالله وبما أنزل .

بدون إعادة المناقشة السابقة عن هذه الموضوعات والارتباطات بينها فإننا نستنتج أن الهيكل العام لموضوعات الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة مثل صيغة لمنظومة يعجز عنها البشر وهذا هو الاعجاز المعرفى الآيات الربا فى القرآن الكريم .

الفرع السادس : إعادة ترتيب الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة

اقتضت الدراسة أن نتدرج فى دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة وفى غيرها من السور ، وقد جاء التدرج على النحو الآتى : دراسة آيات الربا أولا ، ثم الانطلاق منها إلى الآيات المحيطة بها . بعد أن استكملت هذه الدراسة المتدرجة نرى من الضرورى أن نعيد ترتيب الأطر ؛ بمعنى أن نعطى ترقيما جديدا للأطر .

لعمل هذا الترقيم الجديد فإننا سنعيد العرض فى لوحة بيانية بحيث تعطي ما نستهدفه فى هذه الفقرة . اللوحة البيانية (٣٣) هي اللوحة المنشودة التى نعبر بها عن إعادة الترقيم للأطر . تظهر اللوحة أن العنصر العقيدى البحتِ يمثل الإطار الأول أما الإطار الثانى فهو عقيدى اقتصادى (فكرة اقتصادية عامة) ثم يجئ الإطار الثالث وهو عقيدى اقتصادي (تشريع اقتصادى) .

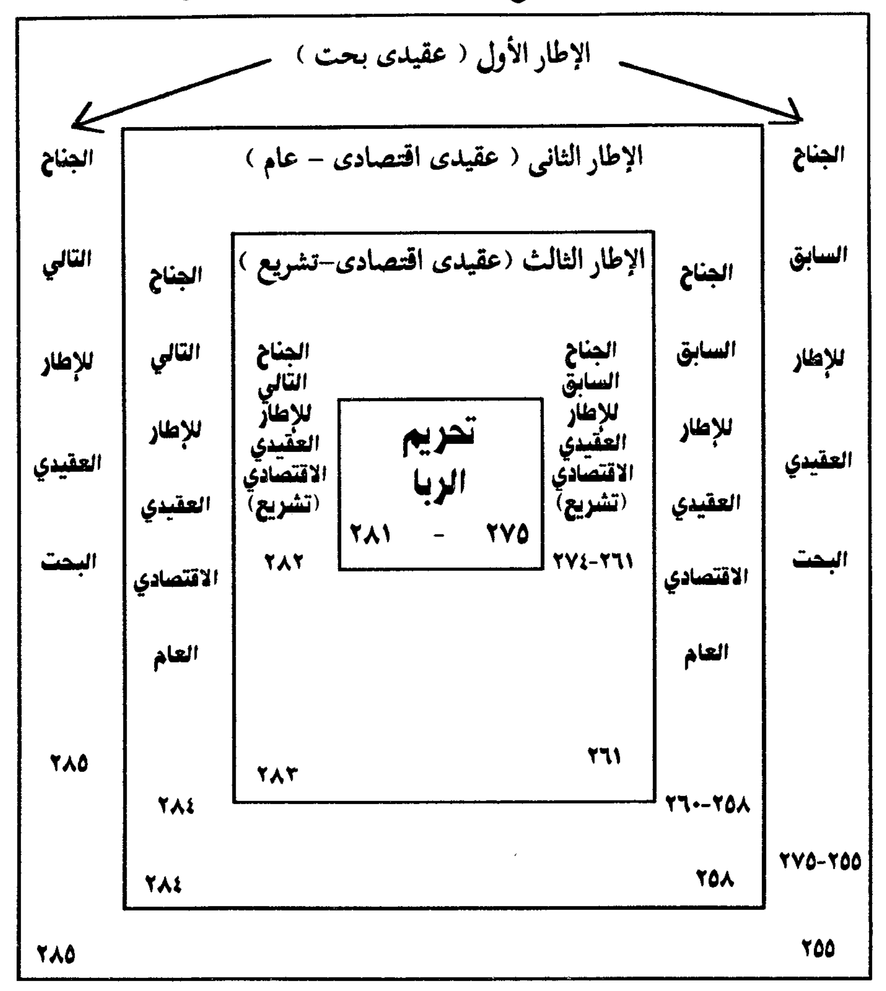
تعطي اعادة الترقيم النتائج التالية :

١- العقيدة هي الموضوع الحاكم ، إنها الإطار العام وهى التى يبدأ بها وينتهى بها.

٢- الأطر بها تدرج لموضوع العقيدة : عقيدة بحتة ، عقيدة مع اقتصاد عام ، عقيدة مع اقتصاد تشريعى . هذا التدرج يقف العقل أمامه مسلما تسليما كليا بأنه لاتدرج غيره يمكن أن يوجد .

اللوحة البيانية (٣٣)

الترتيب الصحيح للأطر المحيطة بآيات الربا - البقرة



٣- الموضوع الاقتصادي به أيضا تدرج من اقتصاد عام إلى تشريع اقتصادى ثم الوصول إلى الربا الذى هو ايضا تشريع اقتصادى .

هذه النتائج الثلاثة مجتمعة تعطى النتيجة العامة التالية : إننا أمام منظومة معرفية معجزة ، والاعجاز متمثل فى الموضوعات وفى الترتيب بين الموضوعات بل وفى الترتيب فى التدرج فى الموضوع الواحد . هذا الاعجاز هو الفرضية التي نعمل على اثباتها فى هذه الدراسة .

مبحث ختامى
عناصر جديدة في المنظومة المعرفية
لآيات الربا في القرآن الكريم

أولا : العنصر العقيدى فى المنظومة المعرفية .

ثانيا: العنصر الاقتصادى فى المنظومة المعرفية .

ثالثا : العنصر الحربي فى المنظومة المعرفية .

رابعا : ترتيب العناصر فى الأطر المحيطة بآيات الربا .

يخصص هذا البحث لعرض بعض عناصر جديدة التى يرى أن تختتم به الدراسة . ولم تختتم الدراسة بنتائج وذلك للأسباب الآتية :

١- كل مبحث من المباحث الثلاثة السابقة تحمل مناقشته النتائج صراحة أو ضمنا .

٢- يعتقد أن العناصر التى تمت مناقشتها تمثل فى ذاتها نتائج ، لذلك إذا خصص مبحث للنتائج فقد لا يكون هذا متلائما مع سير هذ الدراسة .

٣- مع صحة العنصرين السابقين فإنه رؤى أن يعقد مبحث ختامى تناقش فيه عناصر تجمع بين السور الثلاث التى خصص لكل منها مبحث مستقل وبعض العناصر التى سوف تعرض في هذا المبحث سبق عرضها إلا أن الجديد فيها أنها تناقش من وجهة نظر تجميعية مقارنة بين آيات الربا فى السور الثلاث وهذا هو الذى يبرر إعادة مناقشتها .

أولا : العنصر العقيدى فى المنظومة المعرفية

يتبين من الدراسة التى سبقت فى المباحث الثلاثة أن السياق الذى جاء فيه موضوع الربا فى السور الثلاث يبدأ بإطار عقيدى . يعنى هذا أن العقيدة تمثل الأمر الحاكم والمسيطر . إن العنصر العقيدى مثل الإطار الذى ضم فى داخله الأطر الأخرى التى أحاطت بآيات الربا كما ضم فى داخله أيضا آيات السياق الداخلى .

مجئ العنصر العقيدى على هذا النحو بداية ونهاية يكون فى تلائم مع الفكرة الإسلامية التى تجعل الأمور كلها تنطلق من العقيدة ، بل إن الأمر يمكن أن يطور لأبعد من هذا فيقال إن آيات الربا بالسياق الذى جاءت فيه وكون هذاالسياق فى كل السور التى ذكر فيها الربا يحاط بدائرة عقيدية ، هذا الأمر على هذا النحو هو دليل على الفكرة القائلة بأن أمور الإسلام كلها تنطلق بداية من العقيدة .

هذا الاكتشاف الرائع لحاكمية العنصرالعقيدى وللترتيب الذى جا فيه فى السورالثلاث يثبت الفرضية التى افترضتها دراستنا وهى أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن جاءت على نحو معجز فى صياغتها وفى الموضوعات التى ربطت بالربا أو ربط بها الربا وفى ترتيب هذه الموضوعات . إن الأمر كله جاء فوق طاقة العقل البشرى أن ينشئه وإنما كل عمل العقل البشرى فى هذاالمجال هو محاول أن يتفهم هذه المنظومة على النحو الذى جاءت فيه .

يمكن أن نتقدم بعد هذاالإثبات العام عن العنصر العقيدى لدراسة تفصيلية عنه على النحو الذى جاء عليه فى السور الثلاث .

تبين عند مناقشة آية الربا فى سورة الروم أن الإطار الذى يحيط بها يظهر فيه العنصر العقيدى بتركيز ووضوح شديدين . بل إن العنصر العقيدى شديد القرب مكانيا من آية الربا .

فى سورة آل عمران العنصرالعقيدى موجود فى كل ثنايا الإطار الذى أحاط بآيات الربا . ومع أن الموضوع الظاهر للإطار هو موضوع الحرب (غزوة بدر وغزوة أحد) إلا أن الآيات التى تكون الإطار تضمنت عناصر عقيدية حاكمة لموضوع الحرب ولموضوع الربا .

فى سورة البقرة العنصر العقيدى متضمن فى الآيات كلها إلا أن الإطار الذى يحيط بآيات الربا له ثلاثة مستويات مكانية . الإطار الملاصق مباشرة طبيعته الظاهرة طبيعة اقتصادية تشريعية ،الإطار الثانى يتداخل فيه العنصر العقيدى والعنصر الاقتصادى ، أما الإطارالثالث فيخلص بالكامل للعنصر العقيدى .

فهم الطبيعة التى جاء عليها العنصر العقيدى فى السورالثلاث وكذلك موقعه المكانى من آية أو آيات الربا – هذا الفهم يكشف عن بعد إعجازى جديد فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

سورة الروم مكية ، ومكة بمرحلتها فى حياة المسلمين كان الشغل الشاغل هو العقيدة واخلاصها لله وغرسها فى نفوس المسلمين . لم يكن مجتمع مكة عند تنزيل سورة الروم مجتمعا قد خلص للمسلمين ، لهذا لم تكن طبيعة المرحلة أن يشغل المسلمون بتشريعات للتطبيق الاقتصادى ، ولقد جاءت آية الربا بإطارها المحيط أشد ما تكون ملائمة مع الدعوة الإسلامية التى يحتاج إليها فى ذلك الوقت . أيضا العنصر العقيدى فى سورة الروم يعمل على محاور ذات رنين من طبيعة خاصة ؛ وجاء فى آيات قصيرة وشديدة التتابع وذات إيقاع سريع . هذا كله هوالذى كان يتلائم مع ماعليه المجتمع المكى وما عليه حال المسلمين .

سورة آل عمران مدنية نزلت وللمسلمين مجتمعهم الذى بدأوا إقامته وتشكيله وفق الخصائص والمقومات الإسلامية . يمكن القول أن أمرالعقيدة الصحيحة ككل قد استقر فى منطقة المدينة وبدأ المسلمون يستعدون للطور التالى فى تطورالدعوة إلى الإسلام وهو الانتقال به إلى مناطق أخرى ، فى هذه المرحلة كان التحدى الواضح والواقع فعلا هو تحدى حربى

الإطار الذى يحيط بآياتالربا فى سورة آل عمران يظهر بالكامل طبيعة هذه المرحلة فى حياة المسلمين وفى حياة الدعوة الإسلامية . يقطع بالقول أنه لا يوجد إطار آخر يمكن أن يقبل غيرالإطار الذى جاء على هذه الطبيعة العقيدية الحربية . وهذا هوالإعجاز .

قيل عن آيات الربا فى سورة البقرة أنها من آخر آيات القرآن نزولا . يعنى هذا أن الآيات نزلت بالمدينة وفى المرحلة الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . فى هذه المرحلة كان أمر العقيدة قد استقر وتدعمت أركان مجتمع المسلمين فى المدينة المنورة وتنزلت آيات القرآن الكريم بالتشريعات ومنها التشريعات الاقتصادية وذلك ليطبقها المسلمون ولتحكم حياتهم . فيما يتعلق بالعنصر الحربى فلم يعد كما كان سابقا أمر حياة أو موت بل أصبح أمر نشر الدعوة .

الإطار المجاور المحيط بآيات الربا فى سورة البقرة يتضمن تشريعات اقتصادية واضحة . الإطار التالى جا على طبيعة يتداخل فيها العنصر الاقتصادى مع العنصر العقيدى . أما الإطار الأخير فإنه يخلص بالكامل للعنصر العقيدى . يمكن القول أن الأطر تبدأ بإطار عقيدى ثم يتدرج الأمر إلى أن يصل إلى آيات الربا .

مجئ العنصر العقيدى فى الترتيب المكانى الذى جاء فيه بل ومجيئه بالإيقاع الذى تنزل به فى السور الثلاث يعطى نموذجا للإعجاز فى صياغة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم ، الخطاب فى الآيات جاء على مقتضى الحال بما لا يمكن أن يتصور له بديل أو صياغة أخرى .

جاء نظم العنصرالعقيدى فى الآيات فى سياقها الداخلى وفى إطارها المحيط بها بحيث يسلم العقل تسليما كاملا أنه لا نظم آخر غير النظم الذى جاءت عليه الآيات .

الترتيب المكانى للعنصرالعقيدى فى السور الثلاث هو أيضا نموذج للإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا . أهمية العنصر فوق أن تناقش ، لكن وظف ترتيب ورود هذا العنصر فى الإطار بحيث يعكس الحالة القائمة وبحيث يعطى التوجيه المطلوب . ولا ترتيب آخر يمكن أن يصلح بديلا عن الترتيب الذ جاء فى الآيات وهذا هو معنى الإعجاز .

الموضوع العقيدى له مفرداته وله موضوعاته التى تعبر عنه وتفسره وتظهر جلاءه . إن مقارنة مفردات العنصر العقيدى وموضوعاته فى الإطار المحيط بآية الربا فى سورة الروم بمثيلاتها فى سورة البقرة يكشف عن وجه آخر للإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا . فى سورة الروم العنصر العقيدى يعرض فى صياغة أن الله يذيق الرحمة ويصيب بالسيئة وأنه يحاسب ، فى مقابل ذلك فإن العنصر العقيدى فى سورة البقرة

يعرض من خلال أن الله هوالخالق والمالك . إن المفردات والموضوعات الموظفة فى كل من السورتين لا يمكن تغييرها مع الاحتفاظ بنفس المعنى وبنفس التأثير وبنفس الهدف ومراعاة المرحلة التى كان عليها المسلمون . وهذا هو الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

الموضوع العقيدى فى الإطار المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران له طبيعة خاصة ، إنه جاء فى سياق الحديث عن الحرب ، لذلك جاءت العناصر العقيدية بحيث تعمل على هذا الموضوع وتتوافق أو تنسجم معه . من العناصر العقيدية التى جاءت فى هذاالسياق ولاية الله ورقابته ، وأن الملك له سبحانه وحده ، وأنه يبتلى لصهرالنفس المؤمنة ، وأن نتائج الأعمال كلها بيده سبحانه .. هذه بعض العناصرالعقيدية التى جاءت فى الإطار الحربى المحيط بآيات الربا فى سورة آل عمران ، تتبين الملائمة القوية بين هذه العناصر وموضوع الحرب . وهذا دليل يضاف لأدلة الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

ثانيا : العنصر الاقتصادى فى المنظومة المعرفية

يوجد العنصر الاقتصادى فى الأطر المحيطة بآيات الربا فى السور الثلاث الروم وآل عمران والبقرة . تضمنت المباحث السابقة مناقشة تفصيلية لهذا العنصر . بينت المناقشة أن مجئ العنصر الاقتصادى فى الموضع الذى جاء فيه وبالطبيعة التى جاء عليها يمثل إعجازا معرفيا يضاف لأشكال الإعجاز القرآنى التى كانت معروفة .

ليس مستهدفا إعادة عرض ما سبق أن قيل عن العنصرالاقتصادى وإنما المستهدف فى هذه الفقرة هو تجميع الصورة العامة التى جاء عليها العنصرالاقتصادى فى السور الثلاث معا والمقابلة بينها ثم الانتقال لاستنتاج الطبيعة التى جاء عليها فى المنظومة العامة لآيات الربا فى القرآن الكريم . هذا العمل التجميعى المقارن يعتبر إضافة للمناقشة التى جاءت فى المباحث السابقة .

الصورة العامة للعنصرالاقتصادى فى آيات الربا تجمع على النحو التالى :

١- يظهر العنصر الاقتصادى على نحو مفصل فى سورة الروم فى مستويين أو باللغة المستخدمة فى هذه الدراسة فى إطارين ، فى الإطار الملاصق مكانيا لآيات الربا ثم فى الإطار التالى له مباشرة . فى سورة البقرة جاء العنصر الاقتصادى فى إطارين بنفس الترتيب ؛ أى الإطار الملاصق مكانيا لآيات الربا وفى الإطارالتالى له مباشرة . يمكن أن نستنتج عند هذه المرحلة من المناقشة أن المنظومة المعرفية العامة لآيات الربا فى القرآن الكريم منظورا إليها من حيث الموضع الذى جاء فيه العنصر الاقتصادى تشبع كل شروط التناسق والانسجام والتآلف والتناغم وكل ما يمكن قوله

عن وحدة الصياغة بين آيات الربا فى القرآن الكريم . إن هذا يعطى نتيجة مؤكدة هى أن التناسق والانسجام أو التوحد فى الصياغة يجعل آيات الربا فى القرآن الكريم بالأطر التى أحاطت بها قد جاءت منظومتها المعرفية على نحو معجز . إن الفاصل الزمنى واسع بين نزول آيات الربا فى سورة الروم وآيات الربا فى سورة البقرة ، كما أن الاختلاف فى طبيعة المجتمع المكى وما كان عليه المسلمون فيه وطبيعة المجتمع فى المدينة المنورة وما أصبح عليه المسلمون ، هذا الاختلاف كبير . مع هذا الفاصل الزمنى ومع هذاالاختلاف فى طبيعة المجتمع تتنزل آيات الربا فى مكة وفى المدينة محتفظة بهذاالقدر اللانهائى من التناسق والانسجام والتآلف وذلك من حيث الظهور المكانى للعنصر الاقتصادى . هذا الأمر كله هو مثال واضح للاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

٢- أظهرت المناقشة فى المباحث السابقة أن العنصر الاقتصادى الذى جاء فى آيات الربا وفى الأطر المحيطة بها يشتمل على ثلاثة موضوعات : التكافل وتوجيهات اقتصادية عامة وتشريعات اقتصادية .

٣- يستحسن تحديد معنى التوجيهات الاقتصادية العامة والتشريعات الاقتصادية قبل إجراء مناقشة تفصيلية عنهما .

يقصد بالتشريع الاقتصادى وجود حكم فى الآية أوالآيات محل الدراسة ، ولهذا الحكم درجته ؛ فرض أو مندوب إلى غير ذلك مما هو معروف من أنواع الحكم . أما التوجيه الاقتصادى العام فإنه أمر يقصد به التربية ؛ تربية الوجدان والمشاعر ، تربية العقلية التى تنظر فى نعم الله ومخلوقاته الاقتصادية فتوجه بذلك إلى الصراط المستقيم. هكذا يكون التوجيه الاقتصادى العام مقصودا به تشكيل العنصرين المحركين للإنسان وهما العقل والعاطفة .

٤- التشريعات الاقتصادية التى جاءت بآيات الربا أو بالأطر المحيطة بها تشتمل على ثلاثة تشريعات وذلك غير التشريع الخاص بالربا ، التشريع الأول خاص بالتكافل والتشريع الثانى خاص بتوثيق الدين والتشريع الثالث خاص بالزكاة

أ- التشريع الخاص بالتكافل الاجتماعى جاء فى السور الثلاث الروم وآل عمران والبقرة ، التشريع الخاص بالزكاة والخاص بتوثيق الدين جاءا فى سورة البقرة . نحاول أن نتفهم هذا الأمر ثم ننتقل منه إلى دلالة ذلك فى المنظومة المعرفية موضع الدراسة .

التكافل بين المسلمين بدأ منذ اللحظة الأولى للإسلام واستمر ما بقى إسلام ومسلمون ، لهذا جاء تشريع التكافل فى السور الثلاث أى بدأ مع القرآن المكى واستمر فى المدينة مع كل المراحل التى مر بها الإسلام والمسلمون .

الزكاة تشريع الدولة بمؤسساتها طرف فيه بسبب ذلك لم تظهر الزكاة كتشريع إلا بعد قيام دولة للإسلام فى المدينة المنورة . لهذا جاء هذا الأمر مع سورة البقرة . أما ما جاء بسورة الروم عن الزكاة فإن الزكاة لم تكن قد فرضت بعد ، لهذا يوجه الأمر إلى الصدقة بالمعنى العام . توثيق الدين له ملاءمته مع اكتمال التشريعات العاملة على الربا، ولهذا لم يظهر هذا الأمر إلا فى آيات سورة البقرة ، وهى آخر آيات القرآن تنزيلا . لم يظهر توثيق الدين فى آيات سورة آل عمران مع أنها مدنية لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن قد استكمل التشريع العامل على الربا .

العقل يقف مستسلما كلية أمام ورود التشريعات الاقتصادية الثلاثة فى السور الثلاث على النحو الذى جاءت فيه . وهذا هو الإعجاز القرآنى وهو أحد أوجه الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

ب – مراجعة موضوع التكافل على نحو ما جاء فى السور الثلاث يجعله يحتاج إلى مزيد مناقشة . إن التكافل بين المسلمين ظهر فى السور الثلاث ولكن اختلف ترتيبه .

فى سورة الروم جاءالتكافل داخل سياق آية الربا وفى سورة آل عمران جاء التكافل مكملا للسياق الدخلى لآيات الربا وفى سورة البقرة جاء التكافل فى الإطار المحيط بآية الربا .

مجئ التكافل بين المسلمين على هذا النحو فى السور الثلاث يعطى دلالة. فى مكة المكرمة كان الأمر الشاغل هو العقيدة . إن المرحلة كانت مرحلة غرس للعقيدة واستنبات لها . لهذا جاءت الأمور المتعلقة بالشريعة متداخلة . ومجئ التكافل فى السياق الداخلى لآية الربا هو مثال على ذلك الأمر . فيما بين السنة الثانية والثالثة للهجرة كانت العقيدة غرست واستطال نبتها ، لهذا اعطيت مساحة فى التنزيل لأمورالشريعة ، ومجئ التكافل مكمل للسياق الداخلى لآيات الربا هو مثال على ذلك . آيات الربا فى سورة البقرة من آخر آيات القرآن نزولا والوقت كان وقت استكمال الشريعة لهذا جاء الربا على نحو مفصل وجاء التكافل على نحو مفصل ممثلا إطارا لآيات الربا .

فهم الأمر على هذا النحو يعطى الحق فى القول الآتى :

المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم تمثل أدق صياغة لمقتضى الحال ، ولا يتصور صياغة أخرى تعبر عن مقتضى الحال أو تراعيه مثل هذه الصياغة . وهذا هو الإعجاز للمنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم ، وهو وجه من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم .

جـ - التشريعات العاملة على التكافل بين المسلمين فى آيات الربا وفى الأطار المحيط بها تتضمن تشريعين ؛ الزكاة والصدقة الاختيارية . الزكاة بالمعنى الاصطلاحى وردت فى سورة البقرة وحدها وقد وردت مجرد إشارة عابرة . من المعروف أن الزكاة تمثل التشريع الرئيسى والأساسى والفعال فى مجال التكافل بين المسلمين ، أهمية الزكاة هى على هذا النحو ، لذلك فمجيئها فى مجرد إشارة عابرة يحتاج للتفكير فيه للتعرف على الحكمة من ذلك .

الزكاة ركن من أركان الإسلام وهى التشريع المالى الأول والأساسى والرئيسى للعمل على التكافل بين المسلمين ، الزكاة تشريع متعدد الأبعاد ، متعدد الآثار ، الزكاة فى ذاتها تشريع

مجئ مجرد إشارة عابرة عن الزكاة فى السياق الداخلى لآيات الربا فى سورة البقرة هو للتذكيز بأنها من أدوات التكافل الاجتماعى لمجتمع يخاطب بتحريم الربا . المجتمع الذى يخاطب بتحريم الربا أحوج ما يكون إلى الخطاب بالتكافل الاجتماعى . إذن الزكاة كان المقصود بها فى هذا السياق هو هذا الأمر . وقد أدى مجرد الإشارة إلى الزكاة الوظيفة المطلوبة ، بعبارة أخرى إنه لم يكن مقصودا الحديث عن الزكاة كموضوع .

فهم الأمر على هذا النحو يمكن من القول بأن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم قد صيغت بحيث راعت ورود الموضوعات اللازمة ودرجة التفصيل فيها وذلك على أدق ما يكون الأمر . وهذا وجه من وجوه الإعجاز .

د . آيات توثيق الدين التى جاءت تالية لآيات الربا فى سورة البقرة تضيف للمنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم عنصرا إعجازيا . آية الربا فى سورة الروم ليس بها ذكر لموضوع توثيق الدين وكذلك آيات الربا فى سورة آل عمران . مع آيات الربا فى سورة البقرة استكمل التشريع العامل على الربا . الربا يمس علاقة الدائنية والمديونية . لذلك فمع الآيات التى استكمل بها التشريع العامل على الربا علمنا القرآن الكريم أن مقتضى الحال أن يجئ ما ينظم توثيق الدين فجاءت الآيات التالية مباشرة لآيات الربا فى سورة البقرة منظمة لهذا الموضوع .

العقل البشرى له حدوده فى تصور ترتيب الموضوعات بعضها على بعض . ربط توثيق الدين بآيات الربا فى سورة البقرة وحدها هو ترتيب فوق أن يفطن إليه العقل البشرى وحده . نحن الآن تعلمنا من القرآن الكريم أن الربا يثير قضية الدائنية والمديونية وأن الأمر يستدعى تنظيم توثيق الدين .

مراعاة مقتضى الحال فى مجئ آيات توثيق الدين تالية للآيات التى استكمل بها التشريع العامل على الربا هذا الأمر فوق طاقة العقل البشرى . وهذا هو الإعجاز القرآنى وهو اعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا وللأطر المحيطة بها .

٥— التوجيهات الاقتصادية العاملة على الربا جاءت فى سورة الروم وفى سورة البقرة .

أ- موضوع التوجيهات الاقتصادية العاملة على الربا فى سورة الروم هو إثبات أن الله هو الخالق الرازق وأنه ليس له شريك فى ذلك ، كما أن هذه التوجيهات تخبر عن أن الله يذيق الرحمة ويصيب بالسيئة وأن الفساد قد انتشر بسبب ما اكتسبه الناس وأن العذاب واقع بسبب هذا .

التوجيهات الاقتصادية العاملة على الربا فى سورة البقرة تمثل خطابا للمؤمن ليعمل عقله فى خلق الله فيطمئن قلبه ، وفى موضع آخر تمثل التوجيهات الاقتصادية دليلا يستدل به المؤمن فى مواجهة غير المؤمن على وجود الله وأنه الخالق وليس له شريك .

ب – يمكن القول أن التوجيهات الاقتصادية الواردة فى سورة الروم تخاطب عقلا غير مؤمن ، بينما التوجيهات الاقتصادية فى سورة البقرة تخاطب عقلا مؤمنا . لقد جاء القرآن الكريم على هذا النحو ونحاول تفهم هذا الأمر حتى تتشكل عقليتنا وفق ما جاء عليه القرآن الكريم فنستطيع أن نتفاعل معه .

مجتمع مكة عند ظهورالإسلام كان مجتمع غير مؤمن لذلك جاءت التوجيهات الاقتصادية المحيطة بآية الربا فى سورة الروم تخاطب عقلية غير مؤمنة بحيث تثمر هذه التوجيهات فى قبول هذه العقلية للإيمان بالله .

التوجيهات الاقتصادية المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة تنزلت على مجتمع مؤمن ، لذلك فإن الطبيعة التى جاءت عليها هذه التوجيهات هى أن تتلائم للخطاب مع هذه العقلية المؤمنة . إن التوجيهات من طبيعة الأدلة التى تدعم الإيمان فى قلب المؤمن (ليطمئن قلبى) كما أنها من الأدلة التى يستدل بها المؤمن فى مواجهة غيرالمؤمن .

مجئ التوجيهات الاقتصادية فى كل من السورتين على النحو الذى جاءت عليه يشبع كل شروط مقتضى الحال . العقل البشرى أيا كانت قدراته لا يستطيع أن يجئ بما يتلاءم مع مقتضى الحال على النحو الذى جاءت عليه هذه التوجيهات . هذا هو الإعجاز وهو إعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم ولأطرها المحيطة بها .

جـ - تحليل التوجيهات الاقتصادية التى أحاطت بآيات الربا فى كل من سورتى الروم والبقرة يبين أن هذه التوجيهات قد اشتملت على كل العناصر المطلوبة للعمل على الربا ، إن التوجيهات الاقتصادية يمكن أن تت]دد وتتنوع ، لكن القضية أننا أمام حالة محددةلوهى حالة الربا ، والمطلوب بالضبط نزع الربا من نفوس تعودت عليه وألفته . الحالة بالضبط هى٤حالة نفوس مثل لها التعامل بالربا قوة اقتصادةٍ وسطوة سياسية. الحالة بالضبط هى غرس تشريع٣الله الذى تنزلت به آيات القرآن الكريم . إنهه إذا احتفظنا بتوصيف الحالة على هذا النحو واستحضرنا التوجيهات الاقتصادية التى أحاطت بآيات الربا فإننا نستنتج على وجه يقينى قاطع أن التوجيهات الاقتصادية موضع الدراسة قد جاءت مشتملة على كل العناصر الملائمة للعمل على هذه الحالة ، والحالة تنوعت بين حالة مجتمع مؤمن ومجتمع غير مؤمن . يمكن من هذه النقطة استنتاج التالى : إن التوجيهات الاقتصادية المحيطة بآيات الربا صالحة للعمل فى كل الاحتمالات الممكنة وهى بهذا صالحة لقيادة أمر العقلية الإسلامية للأبد . الأمر وهو على هذا النحو يثبت أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم جاءت على نحو معجز .

ثالثاً: العنصر الحربى فى المنظومة المعرفية

موضوع الإطار الحربى الذى أحاط بآيات الربا فى سورة آل عمران وربطه بآيات الربا فى سورة البقرة فيه مثال للإعجاز القرآنى . يظهر هذا الإعجاز من المناقشة التالية :

١- هذا الإطار بجناحيه موضوعه الحرب ؛ موضوع الجناح السابق غزوة بدر وموضوع الجناح التالى غزوة أحد . مجئ الإطار (الحربى) على هذا النحو ولينطبق بجناحيه على الآيات المتعلقة بالربا والتى سميت فى هذه الدراسة بآيات السياق الداخلى ، الأمر على هذا النحو فيه اتساق وتناسق وتسلسل يخرج عن أن يكون نظماً عادياً إنه نظم معجز .

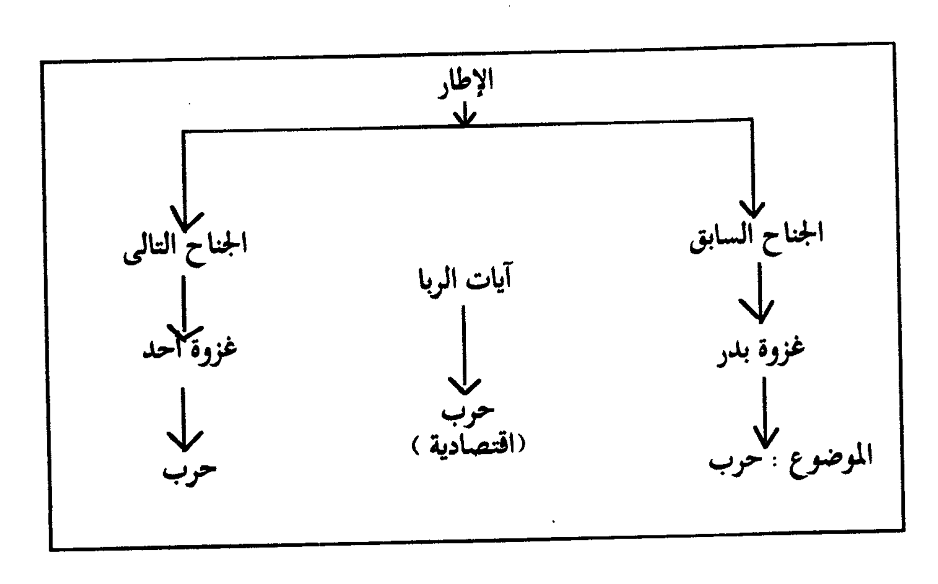
٢- الربا حرب اقتصادية ؛ سواء نظر إلى الربا على المستوى المحلى أو على المستوى الدولى ، علي المستوى المحلى هو حرب بين أفراد المجتمع الواحد ، وعلى المستوى الدولي بين الدول . ويتلخص الأمـــرفى القول الآتى : إن الربا حرب على النوع الإنسانى .

النظر إلى الربا علي أنه نوع من الحرب يتيح عرض عنصر اعجاز جديد فى المنظومة المعرفية لآيات السياق الداخلى ولآيات الإطار بجناحيه السابق واللاحق . موضوعات العناصر الثلاثة تصبح كما تظهرها اللوحة البيانية (٣٤)

يتبين من البيانات التى تظهرها اللوحة أن الأمر كله حرب ، فى الجناح السابق وفى السياق الداخلى وفى الجناح التالى . صياغة منظومة الموضوعات على هذا النحو هو مثال للإعجاز المعرفى القرآنى .

اللوحة البيانية (٣٤)

العنصر الحربى فى السياق الداخلى للربا ولآيات الإطار المحيط بها فى سورة آل عمران



٣-يحسن فى هذا الصدد الإشارة إلى فكرة . قد يبدو لمن يقرأ آيات الربا في سورة آل عمران ويحاول ربطها بالآيات التى قبلها وبالآيات التى بعدها انه لا توجد صلة لموضوع الربا بموضوع الآيات السابقة وكذلك بموضوع الآيات اللاحقة . المناقشة التى سبقت والتى يلخصها الشكل (٣٤) تفند هذه الفكرة ، أى تقطع بخطأ هذا الرأى . ذلك أنه قد تبين أن الأمر كله حرب ، سواء حرب عامة بمعناها التقليدى المتعارف أوحرب خاصة فى إطار الاقتصاد .

٤- أمر الربا فى تاريخ النوع الإنسانى شديد التعقيد والتشابك ، بل إن تاريخ الربا مع النوع الإنسانى تاريخ مظلم ، ففى كثير من المجتمعات القديمة كان الربا سبباً رئيسياً للاسترقاق ، وكان الأسترقاق على مستوى الأفراد . وفى التاريخ الحديث فإن الربا (الاقتراض) بفائدة ، كان سبباً فى احتلال بعض المجتمعات . والأحتلال هو شكل حديث للاسترقاق ، والمصيبة فيه أنه استرقاق لمجتمع بأسره . الاحتلال لا يكون

إلا من خلال حرب وحرب عامة ، بمعناها التقليدى المتعارف عليه . إذن فإن حقيقة الربا إنه حرب حقيقية بمعناها التقليدى المتعارف عليه . وعلى هذا تكون موضوعات الإطار السابق والسياق الداخلى والإطار التالى على النحو الآتى : حرب - حرب - حرب . علي هذا فإن موضوعات الآيات تمثل منظومة متناسقة تناسقاً كاملاً . هذا يعطى دليلاً جديداً للفكرة التى ألح عليها في هذه الدراسة وهى أن آيات الربا فى سياقها الداخلى وفي الإطار المحيط بها بجناحيه السابق واللاحق تشكل منظومة معرفية معجزة في صياغتها ، وأنها بهذا تمثل وجها من وجوده الإعجازالمعرفى القرآنى .

٥- ذكر الربا فى القرآن الكريم فى أربع سور . آيات الربا فى سورة البقرة نزلت تالية لآيات الربا فى سورة آل عمران . ربط آيات الربا فى السورتين يظهر عنصراً جديداً فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم . فى سورة آل عمران ذكر الربا محاطا بإطار حربى . فى سورة البقرة أصبح الربا سبباً للحرب بل أصبح فى ذاته حربا . يمكن القول أن الحرب انتقلت من أن تكون إطارا لآيات الربا إلي أنها أصبحت فى آيات الربا ذاتها . الأمر كله علي هذا النحو معجز. يظهر الإعجاز من المناقشة التالية :

أ- القرآن الكريم استهدف تربية الإنسان وقد استخدم أسلوب التدرج والترقى فى هذه التربية . آيات الربا فى سورة آل عمران وفى سورة البقرة تعطى مثالاً لهذا المنهج التربوى ؛ أى منهج التدرج والترقى . لقد نبهت آيات سورة آل عمران فى أن الأمر مع الربا قد يصبح حرباً . جاء هذا التنبيه من إحاطة آيات الربا باطار حربى . آيات الربا التالية فى النزول هى آيات سورة البقرة والتى جعلت الربا حرباً . إن نزول آيات الربا علي هذا النحو وبحيث تشكل سلسلة فى المنهج القرآني التربوى ، أوبعبارة أخرى تشكل نموذجاً للمنهج القرآنى التربوى ، وهو المنهج الذى يعتمد أسلوب التدرج والترقى، الأمر كله علي هذا النحو هو نموذج للإعجاز المعرفى القرآنى .

ب- يمكن القول إن آيات الربا في سورة آل عمران تصف حرباً بين البشر بعضهم مع بعض فى مقابل هذا فإن آيات الربافى سورة البقرة تجعل الربا حرباً من الله . الحرب من الله تشمل الحرب مع البشر وفوقها حرب بل حروب أخرى ، إنها حرب شاملة عامة ، إنها حرب فى الدنيا والآخرة ، إنها حرب بدنية ونفسية ، مادية ومعنوية، إنها حرب في الاقتصاد وفى غيره . إن الأمر على هذا النحو هو مثال للمنهج القرآنى في التربية باستخدام أسلوب التدرج والترقى . لقد نبهت سورة آل عمران بأن الربا قد

يصبح أمر حرب وذلك بإحاطة آياته بإطار حربى بين البشر، ثم نزلت بعد ذلك آيات الربا فى سورة البقرة تنقل أمر الربا من حرب بين البشر إلى حرب من الله .

ج- ندخل فى التحليل آية الربا فى سورة الروم . هذه الآية تخلو من الإشارة إلى الحرب من أى نوع . من المعروف أن هذه الآية أسبق فى التنزيل من آيات الربا في سورة آل عمران . سورة الروم مكية وفي مكة كان الأمر الشاغل هو اخلاص العقيدة لله، كما أن المسلمين لم يكن قد أصبح لهم دولة ، أى أن الوقت كله لم يكن وقتاً ملائماً للإنشغال بقضية الحرب ، سواء بين البشر أو من الله .

اللوحة البيانية (٣٥) تجمع آيات الربا في السور الثلاث . يعطى هذا الشكل صورة مجمعة وهى تجسد المنهج القرآنى فى التربية وهو المنهج المؤسس على التدرج والترقي. يظهر الشكل ماسبق استنتاجه من أن الحرب كانت أمرا مسكوتاً عنه في سورة الروم ، ثم نزلت آيات سورة آل عمران فربطت للمرة الأولي بين الربا والحرب بين البشر ، ثم نزلت آيات سورة البقرة خاتمة بأن الربا حرب من الله .

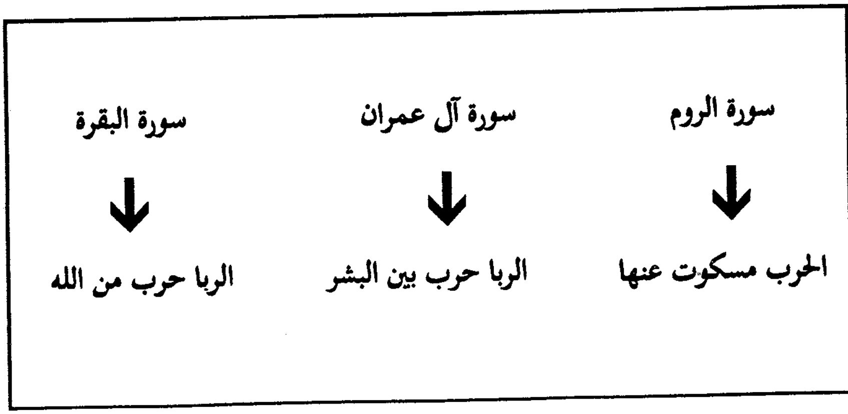
مجئ المنظومة المعرفية التجميعية لآيات الربا في القرآن الكريم على هذا النحو هو أمر يعجز عنه البشر وهذا هو الإعجاز المعرفى القرآنى .

سلسلة الأفكار تتوالى باستمرار مع كل نظر جديد فى القرآن الكريم . الإعجاز المعرفى القرآنى والتى تظهره آيات الربا في السور الثلاث يتأكد ويتجسد الإعجاز فيه عندما يربط الأمر مع حالة المجتمع الإسلامى . إن حال المسلمين فى مكة معروف وقد

اللوحة البيانية (٣٥)

العنصر الحربى فى آيات الربا فى السور الثلاث

(الروم - آل عمران - البقرة)



علمنا القرآن الكريم أن الوقت لم يكن ملائما للحديث عن الحرب من أى نوع وفى هذه الحالة جاءت سورة الروم . عند نزول آيات سورة آل عمران فإن الحرب كانت قائمة بالفعل بين البشر ، بين المسلمين والمشركين ويعلمنا القرآن أنه فى هذا الوقت يكون ملائما الحديث عن الحرب بسبب الربا . ثم تجئ آيات سورة البقرة خاتمة للتنزيل عن الربا ، وما دام الموقف أمرختام أو ختم لهذا يعلمنا القرآن الكريم أنه فى هذه الحالة لابد أن يعطى التوجيه الأخير وتقضى المعقولية بأن التوجيه الأخير لمن تنزلت لهم كل الآيات السابقة يتضمن أن المخالفة بعد كل ذلك ترتب أو تنتج الحرب من الله .

٦- المناقشة التى سبقت عن العنصر الحربى مؤسسة على أن المسلمين في المدينة المنورة وعند نزول آيات الربا فى سورة آل عمران واجهوا غزوة بدر ثم غزوة أحد . التحليل العميق لآيات الربا فى سورة آل عمران بإطارها الحربى المحيط بها يجعلنا نفهم أن القرآن الكريم يعلمنا أن المسلمين في هذا الوقت قد واجهوا حربا ثالثة داخلية فى المدينة المنورة مع اليهود وأبرز عناصر هذه الحرب هو الاقتصاد وأبرز عنصر اقتصادى عرف به اليهود هو الربا ، أى أن المسلمين وكما تخبر آيات الربا فى سورة آل عمران واجهوا ثلاثة حروب : غزوة بدر والحرب الاقتصادية مع اليهود وأبرز عناصرها الربا وغزوة أحد .

هكذا يمكن أن تحلل وتفهم آيات الربا في سورة آل عمران بإطارها الحربى بافتراض حالتين . الحالة الأولى أن المسلمين واجهوا عند نزول هذه الآيات غزوة بدر وغزوة أحد . هذه هى الحالة التى أجريت المناقشة عنها . الحالة الثانية هى أن المسلمين واجهوا عند نزول هذه الآيات ثلاثة حروب : غزوة بدر والحرب الاقتصادية مع اليهود وأبرز عناصرها الربا وغزوة أحد ، هذه هي الحالة التي نشير إليها الآن ونحاول تقديم مناقشة عنها .

إجراء المناقشة مؤسسة على أن آيات الربا فى سورة آل عمران تخبر عن حرب ثالثة كان المسلمون يخوضونها عند نزول هذه الآيات - اجراء المناقشة على هذا الأساس يجعلنا نستنبط عناصر جديدة فى آيات الربا فى هذه السورة وفى الإطار المحيط بها .

أ- الصور العامة لآيات الربا فى سورة آل عمران وفى الإطار المحيط بها هى على النحو الآتي: غزوة بدر - الحرب الاقتصادية مع اليهود وأبرز عناصرها الربا - غزوة أحد . بناء علي هذا فإن موضوع آيات الربا والإطار المحيط بها بجناحيه السابق واللاحق هو الحرب وهي حرب كانت قائمة فى أرض الواقع . اللوحة البيانية (٣٦) تجمع هذه الصورة .

المنظومة المعرفية لآيات الربا في سورة آل عمران والآيات السابقة عليها واللاحقة لها هى منظومة مستوفاة كل الشروط التي يمكن تصورها للتناسق والاتساق والوحدة . لقد جاءت صياغة المنظومة على نحو معجز وهذا هو الاعجاز المعرفى الذى نلح عليه ونعمل على ابرازه في هذه الدراسة .

اللوحة البيانية (٣٦)

الحروب الثلاثة التى واجهها المسلمون عند نزول آيات الربا - آل عمران

الآيات ١٢١ - ١٢٩	الآيات ١٣٠ - ١٣٨	الآيات ١٣٩ - ١٧٥
↓	↓	↓
غزوة بدر	الحرب الاقتصادية مع اليهود (أبرز عناصرها الربا)	غزوة أحد

ب- ترتيب الحروب علي النحو الذى جاء فى الآيات يستحق مناقشة . يعلمنا التاريخ أن حرب اليهود للمسلمين فى المدينة المنورة سابقة على غزوة بدر وممتدة بعد غزوة أحد . إن غزوة بدر كان لها وقت محدد وكذلك غزوة أحد بينما الحرب الاقتصادية مع اليهود كانت قبل هذه الحروب ومعها وبعدها . مجئ آيات الربا التى تخبر عن هذه الحرب الثالثة بين الحربين هى صياغة معرفية تترجم عن الزمن على أدق وأحسن ما يكون ، إن التعامل مع الزمن على النحو الذى جاءت عليه الآيات هو أمر معجز ؛ أى هو مثال للاعجاز القرآنى ، وهو الاعجاز الذى يعبر عنه باعجاز المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

جـ- غزوة بدر كانت حربا ظاهرة معلنة ويمكن حساب عواملها والتعامل معها وكذلك غزوة أحد كانت حربا ظاهرة معلنة ويمكن حساب عواملها والتعامل معها . الحرب الاقتصادية مع اليهود شديدة التعقيد . لقد جرت فى كثير من وقائعها خفية غير معلنة وامتدت لفترات طويلة ثم إنها تمس الاقتصاد وهو عصب الحياة المادية ثم إن اليهود كانت لهم سيطرة اقتصادية فى المدينة ، هذه العوامل وغيرها تجعل الحرب مع اليهود تحتاج إلى اعداد من نوع خاص ، إنه اعداد لحرب طويلة ومعقدة ، اعداد لحرب المجتمع أحوج ما يكون فيها إلى التكافل . مراجعة آيات الربا فى سورة آل عمران وهى الآيات التي تسمى فى هذه الدراسة آيات السياق الداخلى تخبرنا أن القرآن الكريم

اعد المسلمين لهذه الحرب الاقتصادية المعقدة علي أحسن ما يكون الاعداد واحسن ما تكون المواجهة .

نحيل إلى المناقشة التى قدمت فى هذه الدراسة عن آيات السياق الداخلى للربا فى سورة آل عمران وحيث تبين الدراسة العناصر الكثيرة التى تضمنتها هذه الآيات والتي تدخل فى اعداد المسلمين للحرب الاقتصادية مع اليهود . من العناصر التى سبقت مناقشتها تقوى الله وطاعته واعتبار الفلاح لكل من الدنيا والآخرة وطلب الرحمة المادية والروحية .

كما قلنا عن المبحث الختامي الذى نقدمه الآن إنه ليس لتجميع الآراء السابقة أو الاستنتاج منها إنما المراد به تقديم عناصر جديدة تضاف للعناصر التي نوقشت فى المباحث السابقة . الجديد الذي نري تقديمه عن آيات الربا فى سورة آل عمران والتي تخبر بالحرب الثالثة التي واجهها المسلمون مع اليهود وهي حرب من طبيعة اقتصادية فى الدرجة الأولى – هذا الجديد يتلخص فى الآتى :

القرآن الكريم يعد المسلمين لهذه الحرب بتوجيهات وتشريعات تعمل على محاور ثلاثة . المحور الأول هو الفرد وتتضمن الآيات تربية فاعلة لاعداد الفرد ماديا وروحيا . من عناصر هذه التربية تقوى الله وابتغاء الرحمة المادية والروحية واعتبار الفلاح مع الله فى الدنيا والآخرة . إن هذه عوامل فاعلة على تربية الفرد المسلم لمواجهة عنيفة تتعدد اسلحتها والاقتصاد سلاح فاعل فيها .

المحور الثانى في التربية التى تعمل عليه الآيات هو محور المجتمع . إن المجتمع الذى يواجه حربا أو تحديا يكون العنصر الفاعل فيه هو الاقتصاد ، هذا المجتمع احوج مايكون إلي التكافل ، لهذا جاء التكافل واعتبر ضمن آيات السياق الداخلي للربا فى سورة آل عمران . آية التكافل فى هذا السياق هى :

" الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين " آل عمران . تعمل هذه الآية على التكافل بين المسلمين من جانبيه المادى والمعنوى ، ففى الجانب المادي الانفاق وفى الجانب المعنوى كظم الغيظ والعفو والاحسان . إن الآية التى نحن معها تستوعب العناصر الفاعلة في اعداد المجتمع تكافليا لحرب من طبيعة اقتصادية.

المحور الثالث هو محور العبرة التاريخية التي تعمل على الفرد والمجتمع . الآية العاملة على ذلك هى :

" قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " .

إن التخويف فى الآية قوى بل عنيف ، التخويف موجه إلى المكذبين . إن المسألة حرب ووعد بنصر فيها إذا التزم بالتوجيهات والتشريعات التي ذكرت فى الآيات .

تأسيس المناقشة على أن آيات الربا في سورة آل عمران تخبر عن حرب ثالثة واجهها المسلمون مع اليهود فى المدينة المنورة وتوجيه الآيات بحيث تفهم على النحو الذى عرضت به فى المحاورالثلاثة ثم توظيف ذلك كله في بيان طبيعة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرن الكريم – هذا الأمر كله ينتج ما يلى .

المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم مع الإحالة في هذ الموقف إلي آيات الربا فى سورة آل عمران والتى تخبر عن حرب اقتصادية جاءت صياغتها تعلم المسلمين عن العوامل الفاعلة للنصر في حرب طبيعتها اقتصادية ، كما تعلم المنظومة عن الوحدات المستخدمة فى هذه الحرب وهما الفرد والمجتمع. ولقد جاءت المنظومة في آيات محددة كما رتبت المنظومة على نحو لا يتصور له بديل .

المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم والتى جاءت علي النحو المشار إليه هى فوق قدرات العقل البشرى ، أى أنها عمل معجز ، وهذا هو الأمرالذي نلح عليه في هذه الدراسة وهو أن المنظومة المعرفية لآيات الربا في القرآن الكريم نموذج للاعجاز القرآنى .

رابعاً: ترتيب العناصر فى الأطر المحيطة بآيات الربا

يمكن القول أن الآيات التي تمثل الأطر المحيط بآيات الربا فى القرآن الكريم تتضمن بصفة رئيسية ثلاثة عناصر ، العنصر العقيدى والعنصر الاقتصادى والعنصرالحريبي. نحاول أن نجري مناقشة عن الترتيب الذى جاءت عليه هذه العناصر الثلاثة وذلك في السور الثلاث التى قدمت دراسة عنها وهذه المناقشة مقصود بها تفهم ابعاد جديدة فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

في سورة الروم جاء العنصر العقيدى ملاصقا مباشرة لآية الربا أما في سورة آل عمران فإن العنصرالحربى هو الملاحق مباشرة لآيات الربا بينما في سورة البقرة فإن العنصر الاقتصادى هو الملاصق مباشرة لآيات الربا. تحاول المناقشة التالية أن تقدم تفسيرا لترتيب العناصر في الأطر المحيطة بآيات الربا على النحو الذى جاء به فى السورالثلاث .

سورة الروم مكية وفى مكة كما هو معروف فإن العقيدة مثلت الشاغل الأول . إن المرحلة كانت مرحلة غرس عقيدة الإيمان بالله ، غرس عقيدة التوحيد واقتلاع الشرك ، إن التحدى الذى واجه المسلمين فى هذه الفترة كان تحديا يعمل مباشرة علي العقيدة . فى هذا المناخ تجئ آية الربا فى سورة الروم محاطة بآيات موضوعها العقيدة حتى وإن جاء فيها عنصر اقتصادى ، إن العنصر الاقتصادي الذى جاء في الآيات الملاصقة مباشرة لآية الربا فى سورة الروم موظف بالكامل توظيفا عقيديا . لا نقول إن الآيات على هذا النحو تعكس فحسب المرحلة التى كان عليها المسلمون بل إنها تعلم المسلمين أيضا أولوية المرحلة . إن المواجهة مع المشركين في مكة كانت تدور محوريا حول العقيدة ، لهذا جاء القرآن المكى يحفظ المسلمين فى حالة تعبئة كاملة حول العقيدة .

سورة آل عمران مدنية وتنزلت في السنوات الأولى للمسلمين بالمدينة المنورة . يمكن القول أن عقيدة الإسلام قد غرست بل أصبح لها دولة تضعها موضع التطبيق وتحميها وتدافع عنها . يعلمنا القرآن أن الخطر الذى واجه المسلمين فى هذه المرحلة كان من طبيعة حربية إن دولة الإسلام قامت ، والمواجهة بين المسليمن و كفار قريش أصبحت مواجهة حربية ، جيوش تتقاتل وتعبئة مادية ، لذا جاء الإطار الملاصق مباشرة لآيات الربا فى سورة آل عمران إطارا حربيا ؛ فى جناحه السابق حديث عن غزوة بدر وفى جناحه التالى حديث عن غزوة أحد .

سوة البقرة مدنية وآيات الربا فيها من آخر آيات القرآن نزولا . يعنى هذا أن هذه الآيات تنزلت في السنوات الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فى هذه المرحلة كان خطر مشركى العرب قد زال أو حيد تحييدا كاملا على الأقل ، يعلمنا القرآن الكريم أن هذه مرحلة استكمال التشريعات التى تحقق استقرار المجتمع ، وقد علمنا القرآن هذا بمجئ الإطار الملاصق مباشرة لآيات الربا في سورة البقرة وموضوعه تشريعات اقتصادية تستكمل البناء المدنى للمجتمع .

اللوحة البيانية (٣٧) تلخص أو تجمع الحالات الثلاث التى مر بها المسلمون والتى تخبر بها آيات الربا فى السور الثلاث .

المناقشة السابقة عن ترتيب العناصر الثلاثة العقيدى والحربى والاقتصادى فى آيات الربا فى السور الثلاث تجعلنا نستنتج الآتى : العقل البشرى له حدوده فى العمل بل له حدوده فى التصور . وترتيب أولويات العناصر الثلاثة فى السور الثلاث هو فوق قدرات التصور العقلى للإنسان وأقصى مايستطيعه الإنسان في هذ المجال هو أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم عن هذا الموضوع . وهذا الأمر كله على هذا النحو هو مثال أو دليل على الفكرة التي نعمل عليها فى هذه الدرسة وهى أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم جاءت صياغتها على نحو معجز ، والاعجاز في هذه المنظومة هو مثال للإعجاز القرآنى .

اللوحة البيانية (٣٧)

اعتبار حالة المجتمع فى ترتيب العناصر فى آيات الربا فى السور الثلاث (الروم - آل عمران - البقرة)

السورة	حالة المجتمع
- آيات الربا فى سورة الروم	- حالة الخطر على العقيدة
- العنصر العقيدى ملاصق	- الشاغل هو الأمر العقيدى
- آيات الربا فى سورة آل عمران	- حالة الخطر على المجتمع
- العنصر الحربى ملاصق	- الشاغل هو الدفاع عن المجتمع وحمايته
- آيات الربا فى سورة البقرة	- حالة استقرار العقيدة والمجتمع آمن
- التشريع الاقتصادى ملاصق	- الشاغل هو التشريعات الاقتصادية المنظمة لعمل المجتمع

المحتويات